

مجلة

مجمع اللغة العربية دمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ربيع الآخر ١٤١٥ هـ
تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٤ م

مجلة
مجمع البعث العربي الإسلامي

مجلة المجمع الإسلامي العربي سابقاً
ص . ب ٢٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي
بدءاً من مطلع العام ١٩٩٤ م

١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية	}
١٠ دولارات أميركية في البلدان العربية	
١٠٢ دولاراً أميركياً في البلدان الأجنبية	

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة) :

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابتها المقالات الأصيلة التي يحرصون بها ويقصرونها عليها .
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها .
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية .
- ينهي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح ، أو مطبوعة على الآلة الراقية .
- المقالات التي لا تنشر لا ترد إلى أصحابها .
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة ، مع مقالته ، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره ، وعنوانه .

مجلة

مجمع اللغة العربية بمسوق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا »



ربيع الآخر ١٤١٥ هـ
تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٤ م

مطبعة الضيف

دمشق - هاتف ٢٢٢١٥١٠

كتب الأنساب العربية

١٥

الدكتور إحسان النص

كتاب الإكليل

للسان اليمين أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني

المعروف بابن الحائك

٢٨٥ - بعد سنة ٣٥٥هـ

المؤلف (*) :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المعروف بابن الحائك . وقد أطلق المؤلف على نفسه لقب « لسان اليمين » فعرف بذلك . وقبيلة همدان تنتمي إلى كهلان ، أحد جذمي قحطان . وهي قبيلة ضخمة

(*) من مصادر ترجمته : مقدمة كتاب الإكليل تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوخ وكتابه عن المؤلف « لسان اليمين » ؛ معجم الأدباء لياقوت ٢٣٠/٧ ؛ روضات الجنات للخوانساري ص ٢٣٨ ؛ تلخيص ابن مکتوم ص ٥١ ؛ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص ٥٨ ؛ طبقات ابن قاضي شهبة ٣١٩/١ ؛ ترجمة مفصلة للمؤلف في كتاب إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ وفي كتابه أخبار الحكماء ص ١١٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص ٢١٧ ؛ بحث للأستاذ حمد الجاسر حول الجزء العاشر من الإكليل في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٥ الجزء الأول ص ٦٢ .

كثيرة البطون وتتفرع إلى فرعين كبيرين هما : حاشد وبكيل ، وإلى بكيل ينتسب المؤلف .

وقد علّل القفطي سبب تلقيبه بابن الحائك فقال : « فأما تلقيبه بابن الحائك فلم يكن أبوه حائكاً ولا أحد من أهله ولا في أهله ولا في أصله حائك ، وإنما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر ، وكان جدّه سليمان بن عمرو المعروف بذي الدمينه شاعراً ، فسُمّي حائكاً لحوكه الشعر »^(١) .

ولد المؤلف بصنعاء عام ٢٨٠ هـ - حسبما حققه الأستاذ الأكوع بعد أن وقف على المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة »^(٢) - وفيها انكبّ على طلب العلم ، فأخذ الفقه والأدب وعلم النسب والجغرافية والتاريخ عن جلة من الشيوخ ، وكان شيخه في علم النسب أبا نصر المهري نسبة حمير ، ومن شيوخه أيضاً محمد بن أحمد الأوساني الحميري . وكان إلى ذلك يتجوّل في البلاد فدخل حضرموت واتّصل بعلمائها وتعرّف معالمها وجاب بلاد الحجاز ونجد وجاور بمكة زمناً وأخذ عن مشايخها وأخذ الناس عنه . وكانت صلته قوية برجالات اليمن وملوكها وأمرائها .

استقرّ بمدينة ريدة مدة من الزمن واتّصل بسلسلتها أبي جعفر الضحّاك سيّد همدان في زمنه ، ثم غادرها إلى مدينة صعّدة فأقام بها عشرين سنة ، قال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ... »^(٣) وقد تعرض الهمداني للسجن مرتين - حسبما حقق الأستاذ الأكوع - أولاهما بصعّدة ، سجنه

(١) إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ .

(٢) انظر : مقدمة كتاب الإكليل ٥١/١ في الحاشية .

(٣) الإكليل ٢٧٥/١ .

الناصر لدين الله أحمد بن يحيى العلوي ، ولا يعرف سبب سجنه على وجه التحقيق ، ذكر بعضهم أنه لهج بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان وحقّر ما عظم الله وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله^(٤) .

واضطّر الناصر إلى اطلاق سراحه لأن قبائل خولان تألّبت عليه بسببه ، ويشير الهمداني إلى سجنه واطلاق سراحه بصعدة فيقول في سياقة نسب سعد بن خولان : « فأولد عبدُ الله يحيى بن عبد الله سيّد أكيل ، وأمّه بنت عبد الله بن محمد بن عبّاد ، وهو - أي يحيى بن عبد الله - أحد من قام في فكّ الهمداني من سجن العلوي بصعدة وأوجب فيه ، وكان رجل خولان ولسانها وذا رأسها^(٥) . »

وبعد اطلاق سراحه انتقل الهمداني إلى صنعاء ، وهناك تعرض للسجن مرة ثانية ، سجنه ملك حمير أبو حسان أسعد بن أبي يعفر الحوالي بإيعاز من الناصر أحمد العلوي . ومن الأسباب التي أوردتها الأخباريون عن سبب سجنه بصنعاء أنه قال شعراً يهجو فيه الناصر ويثلبه ، فكتب هذا إلى أسعد بن أبي يعفر ، وهو بصنعاء ، أن يسجنه . فأوعز إلى أخيه أبي الفتح أمير صنعاء فسجنه^(٦) ، وقيل أيضاً إن مهاجاة وقعت بينه وبين شعراء مدينة صعدة فلما أوجعهم بهجائه دسّوا له عند الناصر فكتب إلى أسعد بن أبي يعفر يطلب إليه سجنه^(٧) . والسبب الأخير هذا قد يعلل سبب سجنه بصعدة أما سجنه بصنعاء فسببه ، فيما يبدو لي ، هجاؤه الناصر لحبسه إياه بصعدة . وقد مكث الهمداني في سجن صنعاء ست سنوات من سنة ٣١٥ هـ حتى سنة ٣٢١ هـ .

(٤) الإكليل ٦٢/١ .

(٥) الإكليل ٣١٢/١ .

(٦) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص ١٦ .

(٧) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص ١٧ .

وقد تحدّث الهمداني عن سجنه في صنعاء في سياقة نسب
صُحار بن خولان فقال : « حتى سجن الهمداني بيد أسعد بن أبي يعفر ،
فطلبوا فيه ، فأعلمهم أنه لم يسجنه ، وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه إليه ،
فركب منهم الحسن بن محمد بن أبي العباس إلى أبي حسان طالباً فيه ،
فاعتذر وقال : إنما كتب إليّ فيه الناصر أن أسجنه له ، فهو في سجنه
عندي ، فاطلبوا إليه ، فإذا أنعم ، فيكتب إليّ حتى أطلقه . فانصرف
وعادوا جماعة العشيّين الناصر في الطلب ، وأعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم
وأغلظ لهم ، فأغلظوا له وتباعدوا أمرهم ، وأظهروا له الخلاف ، وقاد له
الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله بمصنعة كتفى ، فسأل الناصر وجوه
خولان أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني - أي أطلق
سراحه - »^(٨) . فكذا نرى أن قبيلة خولان القضاعية - وهي ليست
قبيلة المؤلف - كان لها فضل إطلاق سراحه من سجنه في صنعاء وصنعاء ،
وكان الهمداني مدّاحاً لرؤسائها وأشرفها . وقد انتقم الهمداني من أبي حسان
أسعد بن أبي يعفر بهجائه بقصيدة مطوّلة سمّاها « قصيدة الجار » وقد
أوردها المحقق في الإكليل^(٩) .

يذكر القفطي أن الهمداني كان رجلاً محسّداً في أهل بلده وارتفع له
صيت عظيم وصحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم ، ومن العلماء
الذين كان يكتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ،
وأبو عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبو عبد الله الحسين بن خالويه . ومن
كان يكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقّه إسماعيل بن إبراهيم النّبعي
الحميريّ^(١٠) .

(٨) الإكليل ٤٢٦/١ .

(٩) انظر : الإكليل ٦٣/١ .

(١٠) انباه الرواة ٢٨٠/١ - ٢٨١ .

ويصفه القفطي ويثني على علمه وسعة اطلاعه فيقول : « نادرة زمانه ، وفاضل أوانه ، الكبير القدر ، الرفيع الذكر ، صاحب الكتب الجليلة ، والمؤلفات الجميلة . لو قال قائل : إنه لم تخرج اليمن مثله لم يزل ، لأن المنجم من أهلها لاحظ له في الطب ، والطبيب لا يد له في الفقه ، والفقيه لا يد له في علم العربية وأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، وهو قد جمع هذه الأنواع كلها وزاد عليها »^(١١) .

ووصفه الخزرجي^(١٢) بقوله : هو الأوحـد في عصره ، الفاضل على من سبقه ، المبرز على من لحقه ، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ، ولساناً وشعراً ، ورواية وفكراً ، واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة والفلك »^(١٣)

عرف الهمداني بعصبيته الغالية للقحطانية وقد جرّت عليه هذه العصبية عداوة النزارية ، وقيل إنه عرض بالرسول عليه السلام أثناء تعرضه للعدنانية وأنه سجن بسبب ذلك . وهو أمر مستبعد ، وربما كان في الأمر دسيسة من قبل شعراء صعدة الذين هاجم الهمداني . وبدافع هذه العصبية قال قصيدة طويلة سماها « الدامغة » يفاخر فيها بالقحطانية ويعارض قصيدة الكميث التي فخر فيها بالعدنانية والتي أوّلها :

ألا حِيَّتِ عِنا يا مَدِينا وهل بأسٌ نَقول مُسَلِّمينا

(١١) إنباه الرواة ٢٧٩/١ .

(١٢) الخزرجي هو علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢هـ) من أعلام المؤرخين اليمنيين . من كتبه : « طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن » و « العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية » و « العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن » .

(١٣) بغية الوعاة للسيوطي ٤٩٨/١ .

ومطلع قصيدة الهمداني :

ألا يسا داراً لولا تنطقيننا فإننا سائلوك فخبيرينا
كما أنه وقف الجزء الثالث من كتاب الإكليل على ذكر مفاخر
قحطان .

لا تعرف سنة وفاة الهمداني ومكانها على وجه التحقيق ، فقد ذكر
القاضي صاعد في « طبقات الأمم » ما نصّه : « وجدت بخط أمير المؤمنين
الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمد الهمداني
توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة »^(١٤) . وقد تابع صاعداً
في هذه الرواية طائفة من الباحثين القدامى والمحدثين . وأغفل آخرون ذكر
سنة وفاته . على أن القفطي الذي أورد خبر صاعد ذكر ما يناقض هذا
الخبر وهو قوله : « وسار في آخر زمانه إلى ريّدة من البون الأسفل من أرض
همدان ، وبها قبره وبقية أهله »^(١٥) ، فهذا الخبر يناقض خبر صاعد أنه توفي
في السجن بصنعاء ، لأنه سار في آخر حياته إلى ريّدة ، ومن هنا يستدل
على أنه توفي بريّدة ودفن فيها . وقد استبعد الشيخ حمد الجاسر أن يموت
الهمداني في صنعاء ثم ينقل جثمانه إلى ريّدة وهي تبعد عنها مسافة ٢٠
ميلاً ، أي ما يقارب من مسيرة يوم للإبل ، إذ ليس من عادة العرب نقل
موتاهم إلا في حالة الحرب^(١٦) ، وهو يرجح لهذا السبب ولأسباب أخرى
أن يكون الهمداني قد عاش مدة من الزمن بعد خروجه من السجن . وإلى
هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الأكوغ محقق الإكليل واستند إلى خبر

(١٤) طبقات الأمم ص ٥٩ ، إنباه الرواة ٢٨٤/١ .

(١٥) إنباه الرواة ٢٨٠/١ .

(١٦) مجلة المجمع المجلد ٢٥ ص ٦٨ .

مروّي في الجزء الثاني من الإكليل هذا نصه : « قال أبو محمد عبد الله بن سليمان الحلبي : رويت عن محمد هذا - أراد به محمد بن أحمد الأوساني شيخ الهمداني - سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وهو من عمره في ثمانين ، وكتبت عنه . وقتل في سنة ستين وثلاثمئة ، رحمه الله »^(١٧) ، فأيراد الهمداني هذا الخبر في كتابه يدل على أنه عاش إلى سنة ستين وثلاثمئة على الأقل .

مؤلفاته :

للهمداني مؤلفات كثيرة ولكن أكثرها مفقود ومنها كتاب « المسالك والممالك باليمن » و« السير والأخبار » و« اليعسوب » . وقد ذكر القفطي أنه « في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد وعمل العرب فيه وغريب ذلك ونحوه والشعر فيه ، وهو كتاب جيد جداً مفيد للمتأدبين »^(١٨) ، وكتاب « القوى » في الطب ، وكتاب « الجواهر العتيقة » ، وكتاب « الزيج » .

ومنها القصيدة النونية « الدامغة » في فضائل قحطان ، وقد شرحها ولده ، وهي التي أحدثت له العداوة من الزارية ، وله ديوان شعر في ستة أجزاء .

من مؤلفاته التي انتهت إلينا كتاب « الإكليل » الذي سأحدث عنه فيما يأتي ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » وهو من أجود كتبه ، وصف فيه معالم جزيرة العرب ، ولا سيما القسم الجنوبي منها ، وصفاً يعتمد على المشاهدة لا على السماع والنظر في المؤلفات فحسب . إذ كانت له جولات شملت جميع هذه البقاع . والكتاب مطبوع بمصر بتحقيق المؤرخ محمد بن

(١٧) الإكليل ٣٣٢/٢ .

(١٨) إنباه الرواة ٢٨٢/١ .

عبد الله بن بليهد النجدي . ومنها كتاب « سرائر الحكمة » في علم النجوم ، ويذكر الأستاذ الأكوخ أنه وقف على المقالة العاشرة منه واستخلص منها زمن ولادة الهمداني^(١٩) .

الكتاب :

كتاب « الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير » هو أعظم كتب الهمداني ، ومما يؤسف له أن بعض أجزاءه العشرة مفقود ، ووصلنا منه فقط الأجزاء الأول والثاني والثامن والعاشر ؛ وقد طبعت^(٢٠) .

وقد تحدّث القفطي عن هذا الكتاب وعن موضوعات أجزاءه العشرة فقال : « وكتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله المسمّى بالإكليل ، وهو عشرة أجزاء ، الجزء الأول في المبتدأ ونسب مالك بن حمير ، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادير من أخبارهم ، والجزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قحطان ، والجزء الرابع في سيرة حمير الأولى ، والجزء الخامس في سيرة حمير الوسطى ، والجزء السادس في سيرة حمير الأخيرة إلى الإسلام ، والجزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المستحيلة ، والجزء الثامن في القبوريات وعجائب ما وجد في قبور اليمن ، وشعر علقمة بن ذي جَدَن وأُسعد تُبَع ، والجزء التاسع في كلام حمير وحكمهم وتجاربهم المروية بلسانهم والموضوع للرتانة عندهم ، والجزء العاشر في معارف همدان وأنسابها ونتاج من أخبارها .

(١٩) انظر مقدمة الجزء الأول من الإكليل ص ٧٥ .

(٢٠) حقق الأستاذ محمد بن علي الأكوخ الجزأين الأول والثاني ونشرهما ، وحقق الجزء الثامن ونشره الأب أنستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩٣١ م ، ثم أعاد تحقيقه ونشره الأستاذ نبيه أمين فارس سنة ١٩٤٠ م في برنستن ، وحقق الجزء العاشر ونشره بالقاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٦٨ هـ .

وهو كتاب جليل جميل ، عزيز الوجود ، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إليّ من اليمن وهي : الأول والرابع يعوزه يسير ، والسادس ، والعاشر والثامن . وهي على تفرقتها تقرب من نصف التصنيف ، ووصلت في جملة كتب الوالد المخلفة عنه ، حصلها عند مقامه هناك . وقيل إن هذا الكتاب يتعذر وجوده تماماً لأن المثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن وأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب وتبعوا إعدام النسخ منه ، فحصل نقصه لهذا السبب^(٢١) . وفي الجملة الأخيرة خلل فخبر (لأن) غير مذكور ، ولعل مرد الخلل إلى الناسخ .

ونستخلص من نص القفطي كذلك أن بعض أجزاء الكتاب كانت مفقودة منذ زمنه (القرن السابع الهجري) وأن سبب ذلك تعريض المؤلف ببعض قبائل اليمن . وفي ظني أن الجزء الثالث فقد بسبب تعريض المؤلف بالعدنانية فيه وتطاوله عليهم بسبب عصبيته القحطانية .

ومما تقدم يتبين لنا أن كتاب الإكليل ليس كتاباً في الأنساب فحسب وإنما يشتمل على موضوعات أخرى ، وسوف أقصر حديثي على الأجزاء الحاوية للأنساب وهي الأول والثاني والعاشر .

ففي الجزأين الأول والثاني تناول المؤلف الأنساب الحميرية ، وفي الجزء العاشر ذكر أنساب كهلان بن سبأ - الجذم الثاني من قحطان - وأنساب همدان خاصة .

وكان الجزآن الأول والثاني مفقودين إلى أن عثر عليهما الأستاذ محمد بن علي الأكوع لدى أحد أصدقائه فحققهما ونشرهما وأضاف إلى الكتاب حواشي وافية . وقد سرد في مقدمة الجزء الأول تفصيل عثوره على

هذين الجزأين ، وكان قد عثر على مخطوطة في برلين تشتمل على هذين الجزأين ولكنها نسخة رديئة فيها بياض في مواضع كثيرة ، فنشر الجزء الأول اعتماداً عليها ، وبعد عثوره على الجزأين في اليمن أعاد نشر الجزء الأول فصحح ما وقع فيه من أغلاط في الطبعة الأولى نبه إليها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في مقالات نشرها في مجلة العرب وكذلك نبه الشيخ محمد بن علي الأشول إلى بعض الأخطاء فتداركها في هذه الطبعة ، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٩٦٦ م .

على أن النسخة التي عثر عليها الأستاذ الأكوخ لدى القاضي محمد بن عبد الله العمري ليست في الواقع عين كتاب الإكليل ، وإنما هي قسم من كتاب ألفه الأمير اليمني محمد بن نشوان بن سعيد الحميري ، وأبوه نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) هو أحد ملوك اليمن ومؤلف مشهور له كتاب « شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم » ومؤلفات أخرى ، وابنه الأمير محمد من أعيان علماء اليمن وشعرائها ، صنّف جملة من الكتب منها كتاب اختصر فيه كتاب أبيه شمس العلوم وسمّاه « ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم » ، وكان على خلاف حولان صعدة ثم قامت بينه وبين الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة حرب شارك فيها أنصارها وانتهت بالموادعة بينهما ، ولا تعرف سنة وفاة محمد هذا .

ومما يدل دلالة صريحة على أن الكتاب لمحمد بن نشوان ما جاء في مقدمته ، بعد البسملة والحمدلة وهو قوله : « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري : الحمد لله موجد الأشياء بعد العدم ، والمنفرد بأوصاف الوجدانية والقدم ... سألت أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها ، وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت ، وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤتمناً بما ذكره

الشيخ الفاضل المؤمن لسان اليمن ، وفائق من كان فيه من الزمن ،
الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، رحمه الله ، مما صحّحه من علمه
الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل ...» .

وبعد أن يثني على الهمداني وعلمه الغزير يقول : « فثبت في النسب
ما أتى به ذاكراً لما ذكره في كتابه ، غير أنني اختصرت شيئاً مما ذكره في
النسب ، ليس هو من جملة محتسب » (٢٢) .

وفي الكتاب أكثر من إشارة دالة على أن مؤلف الجزأين الأول والثاني
الذين عثر عليهما المحقق في اليمن ليسا عين كتاب الإكليل وإنما هما من
تأليف محمد بن نشوان ، ومن ذلك مثلاً ما نجده في ص ٢٩٨ من الجزء
الأول وهو : « وهم الذين ذكرهم الهمداني في برية القسي » ، فهو يتحدث
عن الهمداني بصيغة الغائب . وكتاب محمد بن نشوان هو اختصار لما ذكره
الحسن بن أحمد الهمداني من أنساب حمير ، وقد أضاف إليه إضافات
يسيرة . على أن تصرّح محمد بن نشوان بأنه نقل ما في الإكليل بنصه لم
يكذ يغير فيه إلا أشياء يسيرة يأذن بأن ينظر إلى هذين الجزأين على أنهما
صورة لكتاب الإكليل للهمداني ، وهذا ما فعله محقق الجزأين . وقد ألف
محمد بن نشوان كتابه تلبية لطلب صديق له طلب إليه بيان أنساب
حمير (٢٣) .

تحدث الهمداني في الجزء الأول عن أنساب حمير ولكنه بدأ أولاً
بذكر مبدأ الخلق وتناسل ولد آدم حتى بلغ أبناء نوح ومن تناسل منهم ، ثم
ذكر نسب هود عليه السلام واختلاف أقوال النسابين في نسبه واختلافهم

(٢٢) الكتاب ١/ ٨١ .

(٢٣) الكتاب ١/ ٨٠ .

كذلك في نسب قحطان وهل هو من نسل إسماعيل أو لا ، حتى انتهى إلى نسب حمير .

وفي ذكره لأنساب حمير وقف أولاً عند نسب قبيلة قضاة ، وهي حميرية عند جمهور النسابين ، ففصل القول في نسبها وعدد قبائلها وبطونها ، ووقف وقفة مطوّلة عند قبيلة خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة . وبذلك انتهى الجزء الأول . .

وفي الجزء الثاني استمر المؤلف في سرد الأنساب الحميرية ، وذكر الخلاف بين النسابين في نسب « الصّديف » . وهل هم من حمير أو من حضرموت أو من كندة ، ثم أخذ في سرد نسب من تناسل من الهميسع بن حمير ، فلما فرغ من الهميسع انتقل إلى مالك بن حمير الفرع الثاني من حمير وأخذ في سرد نسب قضاة بن مالك بن حمير على وجه الإيجاز ، ولكنه حينما بلغ قبيلة خولان وقف عندها وقفة طويلة وقال في ذلك : « قد ذكرنا قبائل قضاة ذكراً مجملاً لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها ، وعمران قلوبهم بها وأسماعهم ، سوى خولان فإننا رأينا أن نشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوانها من قضاة ، ونحرص أن نأتي من ذلك بما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمن ونجران . ومن يبلغه رحلتهم ويبلغهم رحلته . ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث - أي الحديث النبوي - لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء ، فهذه الآن بطوتها على ما روى خولان وحمير بصعدة ، وقد سكنت بها عشرين سنة فأطلت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطلت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجل محمد بن أبان الخنفرّي المتوارث من الجاهلية » (٢٤) .

فهذا النص يطلعنا على أحد الدوافع التي حملت الهمداني على العناية بنسب خولان فقبيلة خولان كانت بصعدة ، ولذلك لم تعرف كما عرفت القبائل التي نزلت صنعاء . على أن هناك سبباً آخر وراء عناية الهمداني بأنساب خولان ، وهو تلك الرعاية التي أحاطته بها قبيلة خولان ورؤساؤها ابان أقامته بمدينة صعدة ، ونهوضها لمؤازرته حين سجنه الإمام العلوي حتى اضطر إلى اطلاقه .

ومما يلفت النظر هنا أن الهمداني ذكر قبيلة خولان المنحدرة من جذم قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وخولان هذه لا ذكر لها في جمهرة ابن الكلبي وكتب من تابعه من النسّابين ، أمّا خولان الأخرى المعروفة بفكل فهي تنتسب إلى كهلان بن سبأ .

وفي سياق سرده لأنساب خولان يستطرد الهمداني إلى ذكر نسب قبيلة عَنز بن وائل لصلتها ببعض رجال خولان ، ثم يعود إلى خولان فيتم سرد أنسابها . وقد استغرق ذكر نسب خولان وحدها ستين ومئتي صفحة من الجزء الأول .

والجزء الثاني وقفه المؤلف على نسب الهميسع بن حمير . ومن المحقق أن كتاب الإكليل هو أوسع مصدر لهذا النسب ، وقد استغرق نسب الهميسع الجانب الأكبر من هذا الجزء ، ولما فرغ منه أورد مشجرة لهذا النسب ، ثم الحق بنسب حمير أبواباً تتصل بالأسماء الحميرية : ما اتفق من أسمائها في الحروف وما اختلف ، وكذلك ما اتفق في أسمائها مع أسماء قبائل أخرى ، ونحو ذلك . وبذلك تم الجزء الثاني من الكتاب .

وفي الجزء العاشر - وهو الأخير - من الكتاب ينصرف الهمداني إلى ذكر أنساب كهلان بن سبأ ، وهو الجذم الثاني من قحطان ، فيذكر أولاً

تفرّع كهلان فروعاً ثلاثة : عربياً ، ومالكاً ، وغالباً ، ثم يسرد الأنساب المتفرعة من هؤلاء . ومنها قبيلة خولان العالية (فُكُل)^(٢٥) التي تنتسب إلى عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن كهلان .

ونسب كهلان في هذا الجزء غاية في الاختصار ، باستثناء همدان ، فالمؤلف اكتفى بذكر قبائلها في صفحات قليلة ، ولم يعن بتفصيل أنسابها ، على خلاف ما صنع في ذكر الأنساب الحميرية . أمّا همدان فقد فصل القول في أنسابها تفصيلاً لا مزيد عليه . ولا غرابة في ذلك فهي قبيلته . ويكاد يكون الجزء العاشر وفقاً على أنساب همدان .

نهج المؤلف في ذكر الأنساب :

جرى الهمداني على النهج الذي سلكه جُلّ النسابين في التفرّيع من الأصول بأسلوب الجملة الفعلية التي يبدوها بلفظ (أولد) أو (وُلد) .

ولكن المؤلف لم يقتصر على ذكر الأنساب وإنما أضاف إليها أشعاراً وأخباراً واستطرادات كثيرة حتى لتكاد هذه الإضافات تملأ من الصفحات أكثر مما ملأته الأنساب . وجلّ الأشعار التي أوردها هي لشعراء يمانين وقلة منها لشعراء عدنانيين ، والمؤلف نفسه كان شاعراً والكتاب يشتمل على طائفة كبيرة من أشعاره .

مصادر الكتاب وقيّمته :

للكتاب في طبعته التي انتهت إلينا مقدمتان متداخلتان ، أولاهما

(٢٥) خولان هذه غير خولان القضاعية التي ذكرها الهمداني في الجزء الأول ، وكانت منازل خولان العالية في مخلاف يقع جنوبي صنعاء ، أما خولان قضاة فكانت منازلها في صعدة وما حوّلها ، وهي التي نزل المؤلف فيها .

محمد بن نشوان الحميري ، وقد ذكر فيها أنه أخذ ما في كتاب الإكليل من أنساب حمير وأثبتته في كتابه ، وتليها مباشرة مقدمة الهمداني لكتاب الإكليل ، وقد ذكر فيها مصادره في الأنساب الحميرية ، فقد أخذ جُلَّ هذه الأنساب عن نسبة حمير أبي نصر البهري محمد بن عبد الله بن سعيد الحميري ، كما أخذ عن شيخ آخر هو محمد بن أحمد الأوساني ، واستمدَّ كذلك من سجلِّ كان يحتفظ به الصعديّون من قبيلة خولان القضاعية . وهو سجل محمد بن أبان الخنفرى المتوارث من الجاهلية . وقد ذكره المؤلف مرّات في كتابه^(٢٦) . وأخذ كذلك عن علماء آخرين وعن نسّابي القبائل التي اتّصل بها . وهو يأخذ على النسّابين الكلبيين (مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام) أنهم استقصوا أنساب القبائل الحميرية التي اتصلوا بها والتي تمّت في نسبها إلى مالك بن حمير - ومنها قضااعة - في حين أنهم أغفلوا أنساب الهميسع بن حمير ، يقول في ذلك : « لم أزل كلفاً بالبحث عن الأنساب ، والفحص على صحيحها ، والوقوف على سقيمها ، والتصنّف لما أتى به النّسّاب ، فأخذنا عن ناسب كل قبيلة متقناً لأنساب من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى عنه بالغيب ، يجمع من سيرهم الحقير ، ومن أنسابهم اليسير ، ومن علمهم وحكمهم التّزر من الكثير . ويزلّ عنه منها الجّم الغفير . ورأيت نّسّاب تلك النواحي - ولا سيما الكلبيين - استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير ، لما كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عفر ، لا دارس فيعفو ، ولا بين فييدو ، لما قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن ، فتتف ذلك واختصر ذا ، وأتوا من أنسابها بعنق يختلف عنها بدنها ، وكذلك غيرهم من

(٢٦) انظر مثلاً ١/٢٧٤ .

النَّسَاب ، حتى إن محمد بن إسحاق أتى ، فيما سمعنا عنه ، بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر ، فقلت : أين ممن لم يزل بعدهم مُوجفاً (يقصد نفسه) يغور وينجد ، ويقرب ويبعد . في طلب من يعلم ذلك على كماله . مثل شيخ حمير ونابها وعلامتها وسامل سفرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها ، من مكنون علمها ، وقارىء مساندها ، والمحيط بلغاتها ، أبي نصر محمد بن عبد الله بن سعيد ... ويشهر بصنعاء بأبي نصر الحنبي ... فما أخذته عنه ما أثبتته في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدة الأذواء ، وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجلّ خولان القديم بصعدة ، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وحيوان ، وما خبرني به الآباء والأسلاف » (٢٧) .

لكتاب الإكليل قيمة كبيرة في بيان أنساب حمير وهمدان ، فليس بين أيدينا مصدر عنهما أوفى مما ذكره الهمداني في كتابه . وابن الكلبي لم يعن في كتابه إلا بأنساب مالك بن حمير ، أما نسب الهميسع بن حمير فهو غاية في الإيجاز ، وقد علل الهمداني جهله به بعدم ارتحاله إلى اليمن واتصاله بنسبها ، وقد أتىح للهمداني من مصادر الأنساب الحميرية ما لم يتح لسواه من علماء النسب .

إلى ذلك نجد في الأجزاء التي تحدثت عنها أخباراً عن اليمن وملوكها وأحداثها وأشعاراً لشعراء اليمن الذين استقرّوا فيها ولم يرتحلوا إلى مواطن أخرى ، وأشعاراً لغيرهم . فهو إذن مرجع في الأنساب والتاريخ والأدب لا نظير له في مصنفات اليمنيين .

تحقيق الكتاب يفتقر إلى مزيد من العناية ، فقد وقع المحقق في أخطاء كثيرة لا موضع لتعدادها هنا ، وكذلك لم يخل الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ محيي الدين الخطيب من بعض الأخطاء ، وقد نبه الأستاذ حمد الجاسر إلى طائفة منها في مقاله في مجلة المجمع^(٢٨) ، والإنصاف يقتضينا أن نشيد بما بذله المحققان من جهد كبير في التحقيق ، فليس من اليسير تحقيق كتب علماء اليمن لغرابية ما فيها من أسماء أعلام الأشخاص والأماكن وصعوبة الثبت من ضبطها ، بالقياس إلى قبائل شمالي الجزيرة وبلاد الشام . ونرجو أن يسعف الدهر بالعثور على سائر أجزاء الكتاب المفقودة فهو على الجملة موسوعة عظيمة الفائدة عن اليمن وقبائلها وأخبارها ولغاتها وشعرائها .

(٢٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٥ الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ص ٦٢

وما بعدها .

علم العربية في المراحل القرآنية(*)

الدكتور عوض الفوزي

بلغت اللغة العربية درجة النضج اللغوي قبل نزول القرآن الكريم ، وأدرك أهلها ما تتميز به لغتهم من حيث الشمول والقدرة على احتواء المعاني ، وتفاضل المتكلمين بها في الفصاحة ، وعن طريق اتصال العرب في الحج والاسواق عرفت العربية البلغاء والشعراء وتمايز العرب في لهجاتها ، كما عرفت أيضاً علو شأن لغة قريش ، وسيطرتها في الساحة اللغوية والأدبية ، واعجاب العرب من غير قريش بما وصلت إليه قريش من فصاحة اللسان وهيمنة اللغة .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذه الحقيقة فكان في عمومها بلغة قريش ، فقد روي : عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه أوصى أن يكتب القرآن بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم^(١) ، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٢) ، أفحم البلغاء وتحداهم ببيانه فما استطاعوا أن يأتوا بعشر سور مثله^(٣) ، بل لقد عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله^(٤) . ونزول القرآن بهذا الإعجاز أضاف إلى

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١٣/١ .

(٢) سورة الشعراء الآية/١٩٥ .

(٣) قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ، وَاذْعُوا

مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة هود ، الآية/١٣ .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ

وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة البقرة ، الآية/٢٣ ، وقال جل

العربية رصيماً تقوياً به بلاغتها ، وتحتكم إليه فصحاؤها . تلقاه الصحابة ، رضوان الله عليهم ، مشافهة من رسول الله ﷺ ، وكان بعضهم يكتب آياته ، ولكن أكثرهم كان يعتمد على الحفظ دون الكتابة . ثم لما لحق الرسول عليه السلام بالرفيق الأعلى ، ولحق به خلق كثير من حفظة الكتاب العزيز ، خاصة بعد معركة اليمامة^(٥) ، خاف المسلمون أن يُقضى على القرآن بالقضاء على حفظته في حروب الفتح . فهرعوا إلى أبي بكر ، يعرضون الأمر عليه ، ويلتمسون الحل لديه ، وكان في مقدمتهم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشرح لخليفة رسول الله ، أن القتل قد استحرَّ بالقراء يوم اليمامة ، ويخشى أن يستحرَّ القتلُ فيهم في المواطن كلها ، فيذهب كثير من القرآن ، واقترح أن يُجمع القرآن بحال ، وتُرَدَّد أبو بكر ، رضي الله عنه ، وهاب الإقدام على عمل لم يفعله رسول الله ﷺ ، وأخذ عمر يراجع ويقتعه بجدوى جمع القرآن ، حتى شرح الله صدره لما كان قد شرح له صدر عمر ، فوكل أبو بكر تلك المهمة إلى زيد بن ثابت وقال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتبع القرآن واجمعه ، قال زيد : فوالله لنقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي من الذي أمرني به من جمع القرآن^(٦) . ولنا أن نسأل : لماذا هرع المسلمون إلى أبي بكر يطلبون منه جمع القرآن ؟ لِمَ لَمْ يتطوع أحدهم أو بعضهم

== ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ ، فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ ، سورة يونس ، الآية / ٣٨ .

(٥) بعد وفاة النبي ﷺ ارتد بعض قبائل العرب عن الإسلام ، فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت أسمى المعارك ضراوة على المسلمين تلك التي خاضوها مع المرتدين في اليمامة سنة اثني عشرة للهجرة ، انظر معجم البلدان ، (ج ٥ ، ص ٤٤٢ ، اليمامة) .

(٦) انظر الفهرست : ٢٤ .

بذلك ؟ ، الجواب أن القرآن وإن كان الله قد حفظه^(٧) فإن مسؤولية رعايته في الأرض نيّطت بمن يتولى أمر المسلمين ، وأن عليه مسؤوليته ، وأطر المسلمين إلى أحكامه . ونظام الإسلام جعل للحاكم الطاعة وعليه الرعاية لما يصلح أمر المسلمين ، ومن إصلاح حالهم المحافظة على كتاب الله نوراً يهديهم . لذلك ما كان أحد ليجرؤ على عمل يتصل بالقرآن غير أبي بكر ، ولو كان ذلك في مقدور أي أحد لكان عمر جديراً بالإقدام عليه وتنفيذه ، ولأنه عمل يتصل بالأمة كلها ، كان خليفة المسلمين هو المسؤول عنه . وجمع القرآن من الرقاع ، واللخاف ، والعُشب ، وصدور الرجال ، وبقيت صحفه عند أبي بكر حياته ، وانتقلت إلى عمر بن الخطاب حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة ابنة عمر ، رضي الله عنهما . وخلال هذه المدة أخذ المسلمون في نشر الدعوة الإسلامية شرقاً وشمالاً وغرباً ، وكان الفاتحون يقرؤون كتاب الله كل بالحروف التي بلغتهم ، وطبيعي أن تظهر بينهم اختلافات في القراءة ، لكن تلك الاختلافات أخذت تشتد عندما اجتمع في غزو أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون القرآن ، فلاحظوا اختلافاً ، وتنازعوا حتى كاد بعضهم يكفر بعضاً^(٨) ، ثم إن حذيفة بن اليمان ، قدم على عثمان بن عفان ، فقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، وأبلغه خلاف الناس في القراءة ، ففرع عثمان لذلك فرعاً شديداً ثم أرسل إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ،

(٧) قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر/ ٩ .

وقال سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ سورة البروج/ ٢١ - ٢٢ .

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد/ ١١ (م) .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر رضي الله عنه ، زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، حتى إذا نسخ المصحف ، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق مصحفاً ، وأمر بكل ما سوى ذلك من القرآن أن يحرق^(٩) . إن جمع الناس على مصحف واحد ليس بالأمر اليسير ، ولقد كان من جلائل الأعمال ، ولولا إرادة الله المتمثلة في حفظ كتابه ، ثم لولا سلطة الخلافة ، لما استطاع عثمان جمع الأمصار على مصحف واحد ، لا سيما وقد عبروا على قراءة ما يخالفه مدة ليست بالقليلة ، فضلاً عن أنهم تلقوه من ثقاة إن في الشام أو في العراق . وهذه الخطوة في خدمة القرآن ما كانت لتقوم بها قوة غير قوة الولاية لأمر المسلمين ، وهي لا تقل في خطرها عن سابقتها التي تمثلت في جمعه في الصحائف بعد أن كان مبعثراً في صدور الرجال .

وما إن يُقضى على مشكلة حتى تقوم أخرى ، ويكون على ولي أمر المسلمين مواجهتها بما يلائمها من الحلول ، فما إن عولجت قضية اختلاف القراءة حتى ظهرت قضية هي من الخطر بمكان ، وأعني بها قضية اللحن في قراءة القرآن . هذه القضية نشأت وكبرت بتزايد الداخلين في دين الإسلام من الأمم الأخرى غير العربية ، فكانوا يقرؤون القرآن لا يقيمون حروفه لصعوبة ذلك عليهم ، وكان عليهم أن يقرؤوه كما تعلموه وكما أنزل ، فكان طبيعياً أن يدفعهم الحرص على قراءة القرآن إلى التماس كل ما من شأنه تذليل تلك الصعوبة . يضاف إلى ذلك أن الحياة الجديدة أخذت تجذبهم إلى تعلم العربية باعتبار أنها لغة الدين الذي ارتضوه ، ولما لم يكن أمامهم من وسيلة لحذق هذا اللسان غير المشافهة ، رأيت اللحن يسري في كل ناحية ،

(٩) انظر المصدر السابق/ ١١ ، والفهرست/ ٢٤ - ٢٥ .

وأدركوا فضل العرب على من سواهم ، وشرعوا في طلب العربية بكل سبيل يؤدي إلى فهم الكتاب العزيز ، وإقامة حروفه ، وفهم معانيه وأسراره ، وأدركوا أن الوصول إلى ذلك لا يتحقق إلا عن طريق حذق العربية ، فقد حدث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال : كنت عند ابن هبيرة الأكبر ، قال : فجرى الحديث حتى ذكر العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان دينهما واحد ، وحسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، قال : فقلت : أصلح الله الأمير ، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، رأيت الآخرة ما باله فضل فيها ؟ ، قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل الله ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال : قلت : صدق الأمير وبر^(١٠) .

ولم يقف أمر اللحن عند الأعاجم ومن في حكمهم ، بل تعدى إلى الناشئة العربية ، وأصبح يشكل ظاهرة تدفع إلى التندر تارة ، وإلى التخوف على مستقبل الفصاحة العربية تارة أخرى .

وأخذ اللحن ينتشر حتى بين سراة القوم فأروه هجنة على الشريف ، ونظروا إليه فكان في أنظارهم أقبح من آثار الجدرى في الوجه^(١١) ، وهو في الكتاب أقبح منه في الخطاب ، ولذلك عندما تلقى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كتاباً من الحصين بن أبي الحر^(١٢) ، فلحن في حرف منه ، كتب عمر إليه أن قنع كاتبك سوطاً^(١٣) ، وكان عبد الملك بن مروان

(١٠) إرشاد الأريب ١/٨٣ - ٨٤ .

(١١) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٦ ، العقد الفريد ٢/٤٧٨ .

(١٢) قيل إن الذي بعث بالكتاب إليه هو أبو موسى الأشعري ، انظر أدب

الكتاب/١٢٩ .

(١٣) البيان والتبيين ٢/٢١٦ - ٢١٧ .

يقول : اللحن أقبح من التفتيق في الثوب النفيس^(١٤) ، وتخرج بعضهم من مساءلة شيخه ، وما كان له من سبب غير أن لحنه يمنعه^(١٥) . ويصل الحال ببعضهم إلى أن يتقزز من سماع اللحن ، فعمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن^(١٦) ، وكان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما كان يضربهم على تعليم القرآن^(١٧) وكان سراة القوم لا يتركون تفقد أبنائهم ومتابعة تلقينهم الفصاحة والأدب فهذا معاوية ، رضي الله عنه ، يكتب إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلمه ، فوجده يلحن ، فردّه إلى زياد ، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول : أمثل عبيد الله بضئع^(١٨) ، ويقف عبد الملك بن مروان على لحن ابنه الوليد بن عبد الملك ، فيلوم نفسه في ذلك قائلاً : أضرت بنا في الوليد حُبنا له ، فلم نلزمه البادية^(١٩) ، بل إنهم ليعدون سريان اللحن إلى ألسنة الأبناء نتيجة لتفريط الآباء وإهمالهم ، فهذا أبو جعفر المنصور وهو من هو في الشرف والمجد ، عندما سمعه الأعرابي يلحن قال لآخر كان يجلس إلى جانبه : ما كان أهون هذا القرشي على أهله^(٢٠) ، ولم يعدوا اللحن في الرجل السري نقصاً فحسب ، بل تجاوزوا بذلك إلى أنهم أصبحوا لا يرون للاحن

(١٤) عيون الأخبار ١٧٣/٢ .

(١٥) انظر البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

(١٦) انظر الأضداد/٢٤٥ .

(١٧) انظر : إرشاد الأريب ١/٨٩ ، والأضداد/٢٤٤ .

(١٨) المحكم في نقط المصاحف/٣ ، إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٩ - ٤٠ ،

روي الجاحظ أنه كانت في عبيد الله لكثرة ، لأنه كان نشأ بالأساورة (وهم قوم من العجم

بالبصرة) مع أمه مرجانة . انظر البيان والتبيين ٢/٢١٠ .

(١٩) انظر العقد الفريد ٢/٣٠٩ . وكان الوليد بن عبد الملك لحناً .

(٢٠) انظر : إرشاد الأريب ١/٨٥ .

حرمة^(٢١) ، وإن كان إماماً أُخِّر^(٢٢) ، وأن الرجل - وإن بهر الآخرين بمظهره - فإنه إذا لحن يخف في أعينهم^(٢٣) ، ولا أدل على ذلك من تقدير الأعرابي لأبي جعفر المنصور ، وعندما سمعه يكثر من اللحن قال : أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر^(٢٤) ، ويرى بعضهم أن اللحن لو كان من الذنوب لعدّ من الكبائر^(٢٥) ، وقد يعدّون استماع اللحن مؤدياً إلى تردّي الحال الصحية لمريض لا يطيق سماعه^(٢٦) ، بل يصل الأمر ببعضهم إلى أن يستغفر الله إذا وقع في اللحن^(٢٧) .

هذا إذا كان اللحن في الكلام العادي فما بالك به وقد وقع في القرآن الكريم ، إنه بلا شك أمر يستوجب استنهاض الهمم ويدعو إلى الاستنكار ، وهالك بعض المواقف التي استنكر فيها الأعراب لحناً سمع في بعض حروف القرآن الكريم ، روى ابن قتيبة قال : « سمع أعرابي إماماً يقرأ ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾^(٢٨) بفتح تاء تُنْكِحُوا ، فقال : سبحان الله ، هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ؟ ف قيل له : إنه لحن ، والقراءة ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا ﴾ فقال : قبحه الله ، لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه يحل ما حرم الله^(٢٩) » ثم قصة ذلك الأعرابي الذي قدم في زمان عمر بن الخطاب

(٢١) انظر إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ٤٨/١ .

(٢٢) العقد الفريد ٣٠٨/٢ .

(٢٣) إرشاد الأريب ٨٣/١ .

(٢٤) انظر : المصدر نفسه ٨٥/١ ، وانظر : عيون الأخبار ١٧٥/٢ .

(٢٥) أدب الكاتب/١٣٢ .

(٢٦) انظر : المصدر السابق/١٣٢ .

(٢٧) انظر : المصدر نفسه/١٢٩ ، إيضاح الوقف والابتداء ٣٣/١ .

(٢٨) سورة البقرة ، الآية ٢٢١ .

(٢٩) عيون الأخبار ١٧٥/٢ .

يطلب أن يقرئه بعضهم شيئاً مما أنزل على محمد ، فأقرأه رجل « براءة » فقال « أن الله بريء من المشركين ورسوله » بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله !؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي ، فدعاه وبين له صواب القراءة ، فما كان من الأعرابي إلا أن قال : وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه^(٣٠) .

وتدور الخواطر في أذهان المفكرين من الأمة ، كل يريد أن يصنع شيئاً يقيم به اللسان الذي فارق سبيل العرب في أصواتها وإعرابها ، على غرار ما نرى من أبي الأسود عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي فقال : « هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو علمناهم الكلام »^(٣١) .

وبالمقابل ترتفع الدعوة إلى تعلم الإعراب ، وهو سبيل العرب في الإبانة عن أغراضها ، يقول مالك بن أنس : « الإعراب حَلْيُ اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حلها »^(٣٢) ، ويأتي الخث على التماس الإعراب في قراءة القرآن على وجه الخصوص ، فيقول عمر ، رضي الله عنه ، مثلاً : « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه »^(٣٣) ، ويروى عن ابن مسعود أنه قال : « جرّذوا

(٣٠) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٣٨/١ - ٣٩ ، وفي رواية أن الأعرابي لما سمع اللحن في القراءة قال : والله ما أنزل الله هذا على نبيه محمد ، فبلغ الأمر عمر ، رضي الله عنه ، ولم ينكر الأعرابي مقولته المبنية على ما سمع من لحن القارئ ، فقال عمر : صدق الأعرابي ، إنما هي « ورَسُولُهُ » انظر إيضاح الوقف والابتداء ٣٧/١ - ٣٩ ، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ٢٤/١ .

(٣١) انظر أخبار النحويين البصريين ١٨/١ .

(٣٢) انظر : المصدر نفسه ٢٣/١ .

(٣٣) إيضاح الوقف والابتداء ٣٥/١ .

القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه ، فإنه عربي ، والله يحب أن يُعْرَبَ»^(٣٤) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « أعربوا القرآن »^(٣٥) .

وتتواتر الآثار عن صحابة رسول الله ، ﷺ ، في الحث على إعراب القرآن ، وما يترتب على إعرابه من الثواب^(٣٦) ، ويرقى ذلك إلى عهد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فعن أبي بن كعب ، رضي الله عنه ، أنه كان يقرئ رجلاً فارسياً ، فكان إذا قرأ عليه ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾^(٣٧) قال : « طَعَامُ الْيَمِينِ » فمر به النبي ، ﷺ ، فقال : « طَعَامُ الظَّالِمِ » ففصح به لسانه ، فقال النبي ، ﷺ ، لأبي بن كعب : قوم لسانه وعلمه ، فإنك مأجور ، وإن الذي أنزله لم يلحن فيه ، ولا الذي نزل به ، ولا الذي أنزل عليه ، وإنه قرآن عربي »^(٣٨) .

إن الفصاحة مطلب عظيم ، والعرب تتوخى مواطنها بين البدو الخلفى ذوى السليقة السليمة ، فتلحق أبناءها وهم في طور الاكتساب وطراوة اللسان بتلك القبائل التي تميزت بالإعراب والبيان ، وكان الموسرون من قريش يبعثون أولادهم إلى البادية لهذا الغرض ، ولا أدل على ذلك من

(٣٤) المصدر نفسه ١٦/١ ، تفسير القرطبي ٢٣/١ وفيه « جودوا القرآن ... » وأظن الرواية الأولى أصح ، لأن المعنى يفرضي إلى تجريد القرآن مما كان بعض الصحابة ينبت في مصحفه من تفسير لغريبه ، أو نحو ذلك .

(٣٥) تفسير القرطبي ٢٣/١ .

(٣٦) انظر : المصدر السابق ٢٣/١ ، إيضاح الوقف والابتداء ١٦/١ ، ميزان

الاعتدال ٥٤١/٤ ..

(٣٧) سورة الدخان الآية/٤٣ .

(٣٨) مقدمتان في علوم القرآن/٢٢٩ - ٢٣٠ ، وانظر حديثاً آخر في إيضاح

الوقف والابتداء ١٦/١ .

إيفاد محمد بن عبد الله ، ﷺ ، وهو صغير إلى بني سعد واسترضاعه حليلة السعدية ، وهناك بدأ نشأته الطيبة ، واكتسب الفصاحة ، ونجا مما قد يصيب ناشئة مكة من فساد السليقة نظراً لما يلابسهم من الرقيق والخدم^(٣٩) . وكان عليه السلام يفخر بذلك الاسترضاع ، فيقول لأصحابه : « أنا أغربكم ، أنا قرشي ، واسترضيت في بني سعد بن بكر »^(٤٠) ، وقد مرّ بنا تأسف عبد الملك بن مروان على فساد سليقة ابنه الوليد لعدم إلزامه البادية .

ولما كانت العربية هي المروءة الظاهرة التي ترفع الوضيع إلى مراتب الأشراف^(٤١) ، وأن الفصاحة إحدى المروءتين^(٤٢) ، وأن تعلم النحو جمال للوضع^(٤٣) . كان الإقبال على التحلي بحليتها كبيراً ، والتنافس على بابها شديداً ، وكان على مفكري الأمة وقادتها أن يستجيبوا لرغبات الرعية ، ويحافظوا على ما تقيم به ألسنتها عند قراءة كتاب ربهما .

لقد انطلق علم النحو من منطلق قرآني ، والذي وضع أول لبنة فيه ما كان ليخطر بباله أنه يؤسس لعلم سيصبح له خطره وشأنه في الثقافة العربية الإسلامية ، ولم يدر بخلده وهو يضع تلك الإشارات على أواخر الكلمات القرآنية أنه قد أعرب المصحف - على ما تعارفت عليه الأجيال من بعده - . نظر مؤسسو النحو إلى الإعراب بمعناه الواسع المتضمن للإبانة ، أو قل طريق العرب في التعبير ، فحرصوا على تمكين إخوانهم

(٣٩) انظر سيرة النبي ، ﷺ ، ١/١٧٢ - ١٧٨ ، حياة محمد/٧١ .

(٤٠) سيرة النبي ، ﷺ ، ١/١٧٨ .

(٤١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١/٤٥ - ٤٦ .

(٤٢) انظر المصدر السابق ١/٤٧ .

(٤٣) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٩ .

المستعربين من تلك الآلة وبالأخص عند قراءة كتاب الله الكريم ، لم ينظروا إلى إكساب غير العربي فصاحة العربي وبلاغته ، ولكنهم أخذوا على عاتقهم وضع علامات يهتدي بها غير العربي فينطق الحرف صحيحاً كما ينطقه العرب ، ليحموا الناس من الوقوع في شيء من اللحن في كتاب الله ، أو قل ليحموا كتاب الله من لحن اللاحنين .

وسواءً اتفقت الروايات أو اختلفت فيمن وضع تلك اللبنة الطيبة وأسس للدراسة النحوية ، فإنه لا خلاف في أن نقط الإعراب كان أول خطوة في هذا الميدان^(٤٤) .

وهذا العمل وإن بدا بسيطاً في نظر المتأخرين ، فلقد كان جليلاً لم ينهض به إلا رجل كئيب ، وهبه الله الفطنة ، ويسر له من ولاة الأمر من يشد أزره ويعينه على مهمة إعراب القرآن الصعبة . ولئن كانت فكرة الإعراب هذه هاجس المسلمين الغيورين على كتاب الله ، لا سيما وقد تفتشى اللحن ، وسمعوه في بعض حروف القرآن ، إن أحداً لن يجروا على عمل شيء في كلام الله تخرجاً من أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا ، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا الموقف لا يستطيعه فرد ، ولكن مسؤوليته تتعلق بولي أمر المسلمين . ثم لما شرح الله لها الصدور ، قيص الله لها أن تكون ، يستوي في ذلك إن كانت هذه الخطوة بتأييد من الخليفة عمر^(٤٥) ، أو كانت بتوجيه

(٤٤) الآراء في هذه القضية ثلاثة :

الأول : يرى أن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، هو أول من صنع شيئاً .

الثاني : يرى أن أبا الأسود هو صاحب الخطوة الأولى دون غيره .

الثالث : يتردد بين أبي الأسود ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر .

انظر : مراتب النحويين/ ٣٢ ، الفهرست/ ٣٩ ، أخبار النحويين البصريين/ ١٣ ، ١٥ ، إنباه الرواة ٤/١ - ٥ ، نزهة الألباء/ ٤ .

(٤٥) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٣٩/١ .

من علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤٦) ، أو كانت بأمر من زياد^(٤٧) أو من عبید الله بن زياد^(٤٨) المهم أن مرحلة نقط الإعراب هذه ما كانت لتقوم لولا أنه كان للحاكم يد في تأييدها .

غَبَرَ الناس على ذلك بضع سنين ، وقد استبشروا بالتغلب على مشكلة اللحن في كتاب الله . لكن ذلك لم يدم طويلاً حيث ظهرت مشكلة أخرى ، تستدعي بذل جهد جديد ومواجهة جديدة ، تلك هي قضية التصحيف ؛ وتبدو هذه القضية أكثر خطراً من سابقتها لأنه قد يقع في التصحيف العربي الصليب ، وقد يرتكبه في القرآن من تسعفه سليقته بالمرادف اللفظي الذي يوافق التنزيل في المعنى وفي الرسم ففي مثل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا .. ﴾^(٤٩) فيقرأها « فَمَتَّبَسُوا » ، وفي قوله تعالى ﴿ مَا نُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(٥٠) تقرأ (تُنَزَّلُ) ، أو (تُنَزَّل) ولئن كانت هذه الحروف قد قرأت بها القراء ، إن بعض التصحيف يذهب بعيداً عن الروايات المتواترة في وجوه القراءات ، وهذا لا يقره مسلم ، حتى ولو كان موافقاً للرسم والمعنى ، لأن القراءة سنة ،

(٤٦) انظر نزهة الألباء/ ٤ .

(٤٧) انظر أخبار النحويين البصريين/ ١٦ .

(٤٨) المصدر السابق/ ١٧ .

(٤٩) سورة النساء الآية/ ٩٤ .

(٥٠) سورة الحجر ، الآية/ ٨ . وهناك حروف كثيرة وقعت في القرآن الكريم تختمل هجاءين وقراءتين منها ﴿ هنالك تَبْلُو (تَتْلُو) كل نفس ما أسلفت ﴾ الحجرات/ ٦ ، وقوله تعالى : ﴿ تَقَامِسُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّنَنَّهَ (لَنُبَيِّنَنَّهَ) ﴾ النمل/ ٤٩ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا ﴾ (تَحْسَبُوا) ﴿ الحجرات/ ١٢ ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَنَمِ لَعْنًا كَثِيرًا ﴾ (كَثِيرًا) ﴿ الأحزاب/ ٦٨ ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصِرٍ جَنَفًا (حَيْفًا) ﴾ البقرة/ ١٨٢ ، وغير ذلك في القرآن الكريم كثير .

فمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ » ، وعن علي رضي الله عنه « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرُوا الْقُرْآنَ كَمَا عَلَّمْتُمْ »^(٥١) . قال أبو عمرو بن العلاء : « لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا : كذا ، وحرف كذا : كذا »^(٥٢) .

إن مما يدعو إلى التصحيف في العربية تشابه بعض الحروف الهجائية شكلاً ، وهذا ما يجعل قراءة بعضها مُشْكِلاً ، خاصة وأن الوجه المملفوظ قد يصل إلى المعنى نفسه وإن اختلف القصد ، ولعل في ما يلي من الأمثلة ما يكشف عن خطر التصحيف ، وكان في مثله دافع للمهتمين بالعربية إلى التماس مخرج يجنبهم مزلق التصحيف .

يروى أن امرأة جاءت إلى الفرزدق تستنجد به قائلة : إن ابني مع تميم بن زيد القيني بالسند ، وقد اشتقت إليه ، فإن رأيت أن تكتب إليه في أن يقفله إليّ ، فكتب إلى تميم :

تَمِيمَ بْنَ زَيْدٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي يَظْهَرُ فَلَا يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا
أَتُنْتَبِئُ فَعَادَتْ يَا تَمِيمُ بِعَالِبٍ وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تَرَابُهَا
فَهَبْ لِي (خُنَيْسًا) وَاتَّخِذْ فِيهِ مَنَةً أَهْبَهُ لَأُمٍّ لَا يَسُوغُ شَرَابُهَا

فلما ورد الشعر إلى تميم أشكل عليه الاسم ، لفقدان النقط على الحروف ، فقال : أوقفوا كل من اسمه خنيس ، أو حبيش ، أو حنيش ، أو حشيش ، أو خشيش ، فعدوا فكانوا ثمانين رجلاً^(٥٣) .

(٥١) انظر السبعة/٤٦ ، ٤٧ .

(٥٢) المصدر السابق/٤٨ ، وانظر ما روي عن الحجاج بن يوسف من كتابة بعض

الحروف في مصحف عثمان . كتاب المصاحف/٤٩ - ٥٠ .

(٥٣) الأضداد/٢٥٦ .

ويروى أن أبا نواس تهكم برجل فقال :

رَأَى الصَّيْفَ مَكْتُوباً فَظَنَّ بِأَنَّهُ لَتَصْحِيفِهِ (صَيْفٌ) فَتَقَامُ يَوْمَئِذٍ^(٥٤)

حقاً لقد رُصدت مثل هذه الأمثلة بعد معرفة الإعجام ونقط الإعراب ، وما سبق مرحلة الإعجام كان بلا شك أكثر وأوسع ، ولعله لما وقع في قراءة القرآن أو أحاديث رسول الله ﷺ ، هُرِعُوا لصنع شيء تقيم به العامة لسانها . قال الحسن : « أهلكتم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيعني بوجوهها حتى يفترى على الله »^(٥٥) ، ولعلنا نتصورهم سمعوا قارئاً يقرأ :

« وَلَا يَعْوْثَ وَيَعْوُقَ وَبِشْرًا »^(٥٦) ، أو يقرأ : « جَعَلَ السَّفِينَةَ فِي رِجْلِ أَحِيهِ »^(٥٧) ، أو يقرأ : « وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْحَوَارِجِ مَكَلِّينَ »^(٥٨) أو يقرأ : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا زَيْتَ فِيهِ »^(٥٩) ، فما تراهم يفعلون إزاء مثل هذا؟! ما تراهم صانعين إزاء فقيه يقرأ قوله : « وَلَا يَكُونُ النَّذْرُ إِلَّا فِي قَرَبَةٍ » وهو يعني « قُرْبَةٍ »؟ أو آخر يتحدث بقول الشافعي فيقول : « وَيُسْتَحَبُّ فِي الْمُؤَذِّنِ أَنْ يَكُونَ صَبِيًّا » ، فقيل له : ما العلة في ذلك؟ قال : ليكون قادراً على الصعود في درج المئذنة ، وإنما هو « صَبِيًّا » ، من الصوت »^(٦٠) .

(٥٤) انظر : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف / ٢٠ . وهناك أمثلة مشابهة لهذا

كثيرة .

(٥٥) مقدمة ابن عطية / ٢٦١ .

(٥٦) سورة نوح ، الآية / ٢٣ .

(٥٧) سورة يوسف ، الآية / ٧٠ .

(٥٨) سورة المائدة ، الآية / ٤٨ .

(٥٩) البقرة ، الآية / ٢ .

(٦٠) انظر تصحيح التصحيف / ١٦ .

ليس ثمة من علاج غير صنع علامات يفرّق بها بين تلك الحروف المتشابهة . وقد روي لذلك أن السبب في نقط المصاحف أن الناس غيروا يقرؤون في مصاحف عثمان رحمة الله عليه نيفاً وأربعين سنة ، إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج إلى كُتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات^(٦١) .

وليس يهمننا في هذا المقام ذكر من قام بهذه المهمة الصعبة من العلماء ، بقدر ما يهمننا أن هذه الخطوة لم تكن لتقوم لولا اهتمام ولي الأمر بشأن القرآن الكريم ، والحرص على حمايته من تحريف التصحيف . على أن بعضهم يرتفع بتاريخ النقط هذا إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم^(٦٢) ، لكن يبدو أن هذا كان خاصاً ببعضهم ولم يكن عليه الإجماع .

وكما كان أمر جمع القرآن في مكان صعباً ، وكُتبه في مصحف أصعب ، كما لم يكن نقطه بالإعراب أقلّ منهما خطورة ، كذلك فإن نقط الإعجام ليس أقلّ خطراً من الجميع ، وما أثر عن المسلمين من خلاف في واحد من الأمور السابقة بقدر ما أثر عنهم من الخلاف في الإعجام ، وينطلق اختلافهم هذا من الخوف من زيادة حرف في القرآن أو نقص آخر منه ؛ ولذلك كانوا يحبون أن يُجرّد القرآن ، وألا يخلط بشيء ، فالحسن البصري وابن سيرين كانا يكرهان أن ينقط المصحف بالنحو^(٦٣) ، وروي أن مالك بن أنس كان قد سئل : هل ينقط المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتابة الأولى^(٦٤) ، ويصل الأمر إلى حد

(٦١) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف/١٣ .

(٦٢) انظر المحكم في نقط المصاحف/٢ - ٣ .

(٦٣) انظر المحكم في نقط المصاحف/١٠ ، وغيرهم كثير ، انظر

المصاحف/١٤١ .

(٦٤) انظر الإتقان ، ١٦٧/٢ .

الخرج واستفتاء بعضهم فيه ، فيروى أن مالكا سئل عن نقط القرآن فقال :
 أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزداد في المصاحف ما لم
 يكن فيها ، أما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان ، وألواحهم فلا
 أرى بذلك بأساً^(٦٥) وأخذ الذين يُرغَّبون الناس فيه بالحث عليه وقالوا :
 العَجْمُ نورُ الكِتَابِ^(٦٦) وهم يسمون النقط (العربية) ، ويرونه عملاً
 مستقلاً عن القرآن ، وهذا الليث يقول : لا أرى بأساً أن ينقط المصحف
 بالعربية^(٦٧) .

وليميزوا بين نقط الإعراب ونقط الإعجام اختاروا لونين مختلفين من
 الحبر ليضعوا كل نقط بلون يخالف لون الآخر ، ومضوا على ذلك زمناً حتى
 جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) الذي كان الغاية في
 استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس ، مع زهد في الدنيا وانقطاع إلى
 العلم^(٦٨) ، نظر الخليل إلى الحروف ، فأدرك أنها تختلف بين مشدّد
 ومخفف ، وأن النقط لم يعالج هذه الجزئية فهدي إلى أن يجعل على الحرف
 المشدّد سنيّات ثلاث ، هكذا (ـ) ، مأخوذة من صدر كلمة (شديد) ،
 وعبر عن الحرف الخفيف بوضع حرف الخاء صغيراً عليه (خ) وهو مأخوذ
 من أول كلمة (خفيف)^(٦٩) ، ويبدو أن هذا دفعه إلى التفكير في صنع
 علامات للإعراب يفرق بها بين نقط الإعجام ونقط الإعراب ، ويهون على
 النساخ متاعب الحصول على الألوان المختلفة للحبر ، ويتقدم بالعلم خطوات
 أوسع وأرحب .

(٦٥) انظر المصاحف/١٤٢ - ١٤٣ ، المحكم في نقط المصاحف/١١ .

(٦٦) المحكم في نقط المصاحف/١٣ .

(٦٧) المصدر السابق/١٣ .

(٦٨) أخبار النحويين البصريين/٣٨ .

(٦٩) انظر المحكم في نقط المصاحف/٧ .

فقد روى أبو الحسن بن كيسان عن أبي العباس المبرد أن الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة بعض الواو ، والفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء^(٧٠) ، قال أبو الفتح : « كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا على طريق مستقيمة »^(٧١) .

ويظهر أن عمل الخليل هذا كان ذاتياً دون أن يكون وراءه أمر من سلطان أو مساندة من والٍ ، وقد تقبلته النفوس ، لأنه انطلق من رجل عُرف بذكائه وفطنته وسعة علمه بالعربية وأسرارها ، يضاف إلى ذلك ما اتصف به من زهد وورع أكسبه ثقة الناس جميعاً ، فتقبلوا عمله دون تردد ، اقتناعاً برجاحة عقله ، بالإضافة إلى ما لمسوا في عمله هذا من تدليل لل صعوبات التي يعجز النقط عن معالجتها . ثم إنه لم يضيف جديداً إلى ما استقر ، ولكنه أجرى تعديلاً لما هو قائم ، منتقلاً به من مرحلة لا تخلو من اللبس والاضطراب ، ليلبغ مرحلة من النضج والتطور ، معالجا لقضايا لم يكن نقط أبي الأسود ليصنع فيها شيئاً .

الخطوات المار ذكرها كانت بمثابة اللبنة الأولى في علم العربية لكن لم يسمها أحدٌ بما عرف بعد بالنحو ، وبالرغم من عظم أمرها في الدرس النحوي فإن النحو تجاوز تلك الحدود ، إذ أخذ ينمو بسرعة أذهلت الناظرين في مجال تطور العلوم ، ودعت بعض الغربيين إلى الشك في نشأته ، ودفعت الظنون بعضهم إلى أن ينسبوا الخطوات الأولى فيه إن لم يكن كله

(٧٠) انظر المصدر السابق/٧ ، سر صناعة الإعراب ١٧/١ .

(٧١) انظر سر صناعة الإعراب، ١٧/١ ، وانظر نتائج الفكر/٨٤ .

إلى غير العرب^(٧٢) ، في حين لم يعد من ردّ ذلك الزعم ، مثبتاً أن النحو العربي « أثر رائع من آثار العقل العربي ... ويحق للعرب أن يفخروا به »^(٧٣) .

ولم تقف الجهود عند هذا الحد في مجال خدمة القرآن الكريم ، فهم يدرسون ألفاظه ، ويبينون غريبه ، ويفسرون معانيه ، ومنهم من استعان بالشعر في توضيح معاني بعض ألفاظه ، لأن الشعر ديوان العرب ، كما أن الفقهاء اهتموا باستخراج الأحكام الشرعية منه ، وتأييد ما جاء فيه بشيء من سنة الرسول ﷺ .

وباختصار لقد اشتغلوا بالقرآن تعليماً ودرساً . ونتج عن اهتمامهم هذا تلك العلوم الجليلة ، من تفسير ، وقراءات ، ونحو ، ومن النحو انبثقت علوم مختلفة أهمها علم التجويد ، وعلم الأصوات ، ودراسة اللهجات ، والبلاغة وغيرها .

وعلم النحو لم ينفصل عن القرآن إلا بعد مرور زمن ليس بالقصير ، تخلّاه عناية العلماء بجمع اللغة ، ومشافهة الأعراب في أماكن الفصاحة ، ورصد الظواهر اللغوية لاستخراج القواعد المبنية على الاطراد والانسجام ، ثم معرفة كثير من خصائص اللهجات العربية المختلفة ، وهكذا بدأ علم العربية يتصل بروافد أخرى غير القرآن الكريم ، إذ اتجه العلماء إلى الشعر والموروث اللغوي عند القبائل الموثوق بفصاحتها ، المشهود بخلوها من شوائب العجمة ومخالطة الأمم الأخرى . وفي هذا الخضم الكبير من اهتمام العرب والمستعربين

(٧٢) انظر الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية/ ٩٠ .

(٧٣) انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام/ ٥٧ ، وانظر أيضاً مقدمة ابن

بجمع اللغة من مصادرها الصافية وسلائق القبائل العربية أخذ علم النحو يتشكل ، وأخذت مصطلحاته تظهر ، وقواعده ترسم ، ليصبح علماً له كيانه وقوانينه ورجاله ، وبدأت الكتب تؤلف في علم شب عن طوق نقط الإعراب والإعجام أو حركات أواخر الكلم ، ليشكل ذاتاً مستقلة شمخت فوق تلك البذرة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي ، وأصبحت دوحة عظيمة يتفاخر الناس بمعرفتها ، ويتسابقون إلى كنفها ، إدراكاً منهم بفضيلة من تحلى بحليتها ، ولذلك قال بعضهم :

النَّحْوُ يَسْطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَانِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا عِنْدِي مُقِيمُ الْأَلْسُنِ (٧٤)

بل إنهم أخذوا يتفاخرون بالفصاحة وسلامة ألسنتهم من اللحن ، يقول بعضهم مفاخرأ :

إِمَّا تَرِنِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسَجِ كَثَّانٍ
فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هِمَاتِي وَفِي لُغَتِي عُلُوبِيَّةٌ ، وَلِسَانِي غَيْرُ لِحَانٍ (٧٥)

أخذ الناس - عربهم وعجمهم - في تعلم النحو ، وحرصوا على تقويم الألسنة بتعلم قوانينه إدراكاً منهم بأن تعلمه جمال للوضع ، وتركه هجنة على الشريف (٧٦) ، ورحم الله الكسائي إذ قال في فضل النحو ، والفرق بين صاحب النحو ومن لا نحو عنده :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُتَّفَعُ
وَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعُ

(٧٤) انظر عيون الأخبار ، ١٧٢/٢ - ١٧٣ .

(٧٥) المصدر السابق ١٧٥/٢ ، إرشاد الأريب ٨٥/١ .

(٧٦) انظر العقد الفريد ٤٧٨/٢ ، البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

وَأَثَقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعٍ
وَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ الْفَتَى خَافَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا فَانْقَمَعَ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْلَمُ مَا صَرَفَ الْإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعَ
فَتَرَاهُ يَخْفِضُ الرَّفْعَ وَإِنْ كَانَ مِنْ نَصَبٍ وَمِنْ خَفِضٍ رَفَعَ
وَإِذَا يُصِرُّهُ يَقْرؤُهُ وَإِذَا مَا شَكَّ فِي حَرْفٍ رَجَعَ
نَاطِرًا فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ فَإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعُ^(٧٧)

وهناك قول الآخر في وصف النحو :

اِقْتَبَسَ النَّحْوَ فَنِعِمَ الْمُقْتَبَسُ وَالنَّحْوُ زَيْنٌ وَجَمَالٌ مُلْتَمَسٌ
صَاحِبُهُ مُكْرَمٌ حَيْثُ جَلَسَ مَنْ فَاتَهُ فَقَدْ نَعَمَى وَانْتَكَسَ
كَانَ مَا فِيهِ مِنَ الْعِيِّ خَرَسٌ شَتَانٌ مَا بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفُرْسِ^(٧٨)

وأخذ طلاب العربية يتسابقون إلى علمائها ، ويشدون الرحال إليهم ، ما كان لأحد طلبة إلا تعلم هذا العلم الذي أصبح طلبه من المروءة ، قال الزهري : « ما أحدث الناس مروءة أحب إلي من تعلم النحو »^(٧٩) ، وارتفع شأن أهل هذا العلم لعلو شأنه ، وأصبحت مجالس الولاية لا تنتظم إلا بهم ، وإذا أنشد الشاعر قصيدة كان لا يخشى إلا من النحوي ، وموقف عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مع الفرزدق أشهر من أن يذكر . بل إن بعض النحاة فضل النحو على الفقه ، وما ذاك إلا لما في النحو من توسيع للنظر والفكر ، وما يتمتع به النحوي من القدرة على القياس والاستنتاج^(٨٠) ، وهذه النظرة استطاعوا أن يتبوأوا مكانة مرموقة في

(٧٧) انظر الورقة/٢٥ ، تاريخ بغداد ٤١٢/١١ .

(٧٨) إرشاد الأريب ٧٨/١ .

(٧٩) المصدر السابق ٧٨/١ .

(٨٠) المصدر نفسه ١٥/١ .

بلاط الولاية ودواوين الوزراء ، فقد أثار أن أبا يوسف القاضي أستاذ محمد بن الحسن الشيباني ، وأحمد بن حنبل وغيرهما ، أثار أنه دخل يوماً على الرشيد والكسائي النحوي يمازحه ، فقال أبو يوسف : هذا الكوفي قد استفرعك ، وغلب عليك ، فقال : يا أبا يوسف ، إنه ليأتينني بأشياء يشتمل عليها قلبي ، فأقبل الكسائي على أبي يوسف وقال : يا أبا يوسف ، هل لك في مسألة ؟ قال : نحو أو فقه ؟ قال : بل فقه ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله ، ثم قال : تلقني على أبي يوسف فقهاً ؟! قال : نعم ... « (٨١) » ، بل إن الولاية أخذوا في التنافس على فضلاء النحاة واستقطابهم إلى كنفهم رغبة منهم في أن يُحَلُّوا مجالسهم بالأدب ، وأن يقوموا على تأديب أبنائهم وتعليمهم ، فذلوا لهم الصعاب ، وهونوا عليهم مؤونة طلب الرزق ، وخصَّصوهم بالاهتمام والرعاية ؛ ليتفرغوا للكتابة والتأليف . وأخذت كتب النحو تنتشر شرقاً وغرباً ، وبانتشارها كثر العلماء حتى أصبحت لهم مذاهبهم المختلفة ومدارسهم المتخصصة ، وكان لكتاب سيبويه في النحو النصيب الوافر من اهتمام الناس في كل زمان ومكان ، حتى إنهم أطلقوا عليه اسم « قرآن النحو » ؛ إذ حظي هذا الكتاب بإقبال الطلاب عليه درساً وحفظاً وشرحاً وتعليقاً واستدراكاً ، ولا يزال هذا الكتاب إلى يوم الناس هذا هو الإمام في كتب النحو ، كما أن صاحبه إمام النحاة .

بقيت كلمة أخيرة أود أن أختم بها المقام وهي أن اهتمام النحاة بتجويد قواعدهم وأقيستهم ، وتشدهم في بعض الأحكام ، وتجويزهم بعض الروايات الشعرية دون بعض ، وتوجيههم لبعض المأثور الشعري ولو بدا متكلفاً ، هذا الموقف جعل بعض الناس يُحجم عن النحو والنحاة ،

(٨١) انظر طبقات النحويين واللغويين/١٢٧ .

ويرغب عن النحو ، بل أدى الموقف إلى التهكم بالنحاة وبصناعتهم ، قال بعضهم :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ قِيَّاسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
 إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بَكْرًا يَكُونُ بِهَا بَيَّتَ خِلَافَ الَّذِي قَاسُوهُ أَوْ ذَرَعُوا
 قَالُوا : لَحْنَتْ ، وَهَذَا لَيْسَ مُنْتَصِبًا وَذَلِكَ خَفِضٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
 وَحَرَضُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ حَمَقٍ وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
 كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى إِعْرَابِهِمْ طُبِعُوا (٨٢)

لقد كان خروج النحو إلى مرحلة متطورة من التجريد وراء التبرم بالنحو وأهله ، فليس طلاب العربية على مستوى واحد من تقبل أحكام النحويين التي أخذت تتعقد بتتابع السنين ، لا سيما وقد لابس النحو المنطق والفلسفة ، وغاص في فقه اللغة واكتنه أسرارها ، فمن تجشم بالصبر وثابر على ملازمة أصحاب الصناعة فرما يحصل له مراده من هذا الفن ، لكن من ضاق صدره ، وكلّ ذهنه عن تقبل تلك الأسرار والنظم اللغوية فإنه لا يلبث أن يعزّي نفسه ويردد قول الخليل بن أحمد :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
 حقاً لقد حصل مثل هذا الموقف مع أحد تلاميذ المازني في النحو ، وكان قد قرأ من النحو أبواباً ، حتى إذا جاء عند قول الخليل وأصحابه : إن ما بعد الواو والفاء يكون منصوباً بإضمار (أن) ، ساء فهم الرجل لهذه القاعدة ، ولم يستطع تجاوزها ولا تمثلها ، فكتب إلى أستاذه المازني يشكو صعوبة هذا الباب ، وأن إضمار (أن) في هذا الباب قد اعتاص عليه والتاث أمره :

تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلِلْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنُ

وَأَتَعَبْتُ بِكَرَأٍ (٨٣) وَأَصْحَابَهُ
فَمِنْ عِلْمِهِ ظَاهِرٌ يَبِينُ
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا
خَلَا أَنْ بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَا
وَلِلْوَاوِ بَابٌ إِلَى جَنْبِهِ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَا
أَجِيبُوا ، لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا
وَمَا إِنْ رَأَيْتُ لَهَا مَوْضِعًا
فَقَدْ خِفْتُ يَا بَكَرُ مِنْ طُولِ مَا

قال القالي : قال أبو العباس : فبلغ ذلك المازني فقال : والله ما أحسب أنه سألتني قط ، فكيف أتعيني؟! (٨٤) . ويبدو أن تلك الشكوى منذ أن انطلقت في تلك القرون لم تجد استجابة من النحاة ليتخلصوا من بعض القواعد العويصة التي تنفر طلاب العربية من تعلم النحو والإقبال عليه ، حتى إذا بلغتنا تلقفناها نردها دونما فهم لحقيقتها ، ولم نتعب الذهن ولا البدن لمعرفة ما إذا كانت الصعوبة حقيقية أو غير حقيقية ، ولم نبذل من الجهود ما يستحق الذكر في تعلم هذا العلم الجليل الذي يرقى بعضهم بتعلمه إلى أن يجعله واجبا . وَقَفْتُ جِهْدُنَا عِنْدَ حَدِّ التَّدْمِرِ وَالشُّكْوَى مِنْ صَعُوبَةِ النُّحُوِّ وَالصَّرْفِ ، وَوَقَعْنَا بِوَكْدِ أَنْنَا لَمْ نَبْذُلْ فِي تَعْلَمَهُمَا مَا يَنْتَاسِبُ مَعَ فَضْلَهُمَا ، فَهَلْ أَنْ الْأَوَانَ لِنَبْذِ الشُّكْوَى وَاكْتِنَاهُ أَغْوَارَ هَذَا الْفَنِّ ، وَالرُّجُوعَ إِلَى مَنَابِعِهِ الْأَصِيلَةِ فِي كُتُبِ التَّرَاثِ ، وَعَدَمِ التَّعْوِيلِ عَلَى الْحَوَاشِي وَالْمَذَكَّرَاتِ وَالْمَخْتَصِرَاتِ ؟

(٨٣) بكر بن بقية هو أبو عثمان المازني أستاذه .

(٨٤) أمالي المقالي ٣/١٨٦ ، وانظر عيون الأخبار ٢/١٧١ - ١٧٢ ، إنباه الرواة

المراجع

- * البحث في أصول الإعراب وتاريخ النحو العربي مدين لعدد غير قليل من الباحثين المعاصرين ولعل أبرز الأعمال التي كان لها فضل السبق في هذا الميدان هي :
- (١) تاريخ النحو وأصوله : للدكتور عبد الحميد السيد طلب .
 - (٢) تطور الدرس النحوي : للدكتور حسن عون .
 - (٣) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي : للدكتور عبد العال سالم مكرم .
 - (٤) في النحو العربي : للدكتور مهدي الخزومي .
 - (٥) المدارس النحوية : للدكتور شوقي ضيف .
 - (٦) المدارس النحوية : للدكتور إبراهيم السامرائي .
 - (٧) مدرسة البصرة : للدكتور عبد الرحمن السيد .
 - (٨) مدرسة الكوفة : للدكتور مهدي الخزومي .
 - (٩) من تاريخ النحو : للأستاذ سعيد الأفغاني .
 - (١٠) نشأة النحو : للأستاذ محمد الطنطاوي .
- أما المراجع المباشرة في هذا الموضوع فهي :
- (١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر :
- الشيخ أحمد بن عبد الغني الشهير بالبناء ، صححه وعلق عليه علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
 - (٢) أخبار النحويين البصريين :
- أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، اعتنى بنشره وتهذيبه فرانس كرنكو ، نشر معهد المباحث الشرقية بالجزائر (خزنة الكتب العربية) ١٩٣٦ م .
 - (٣) أدب الكتاب :

- تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . تحقيق محمد بهجة الأثري ، وراجعه محمد شكري الألوسي ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ .
- (٤) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) :
– ياقوت الحموي ، الطبعة الأخيرة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
- (٥) الأضداد :
– تأليف محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- (٦) أمالي القاضي :
– أبو علي إسماعيل بن القاسم ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، بلا تاريخ .
- (٧) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل :
– تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م .
- (٨) البيان في غريب إعراب القرآن :
– أبو البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- (٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة :
– علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
- (١٠) البيان والتبيين :
– الجاحظ عمرو بن بحر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- (١١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
– للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .
- (١٢) الجامع لأحكام القرآن :
– لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧م .

(١٣) حجة القراءات :

- للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١٤) الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية :

- تعريب مصطفى بدر ، دار الفكر العربي .

(١٥) ذيل الأمالي والنوادر :

- أبو علي القالي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، لبنان (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٦م .

(١٦) الرسالة :

- للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م . المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

(١٧) السبعة في القراءات :

- لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية (منقحة) ، دار المعارف بمصر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٨) سر صناعة الإعراب :

- أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن هندراوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٩) سيرة النبي ﷺ :

- لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، راجع أصولها محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .

(٢٠) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف :

- تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(٢١) طبقات النحويين واللغويين :

- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

(٢٢) العقد الفريد :

– تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق الدكتور / مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

(٢٣) عيون الأخبار :

– تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه وطبعه الدكتور يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٢٤) الفهرست :

– ابن النديم ، نشره غوستاف فلوجل ، ليزغ ١٩٨٧م .

(٢٥) المحكم في نقط المصاحف :

– أبو عمرو الداني ، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

(٢٦) معجم البلدان :

– للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، نشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بلا تاريخ .

(٢٧) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :

– تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(٢٨) مقدمة ابن خلدون (المقدمة) :

– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، الطبعة الثالثة ، بولاق ١٣٢٠هـ / ١٩٠٠م .

(٢٩) مقدمتان في علوم القرآن : (مقدمة كتاب المباني – ومقدمة ابن عطية) :

– نشرهما آرثر جفري ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م . مطبعة دار الصاوي بالقاهرة .

(٣٠) نتائج الفكر في النحو :

-- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق الدكتور / محمد إبراهيم البنا ،

منشورات دار الاعتصام ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء :

— أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(٣٢) النشر في القراءات العشر :

.... الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، أشرف علي
تصحيحه علي محمد الضبياع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،
بلا تاريخ .

شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن لمؤلف مجهول

تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن

نال حرفا الضاد والظاء نصيباً وافراً من اهتمام العلماء ، وسبب ذلك صعوبة النطق بهما على مَنْ دخل الإسلام من الأمم المختلفة فضلاً عن قسم من القبائل العربية .

قال الصَّاحِب بن عبَّاد^(١) ، المتوفَّى سنة ٣٨٥هـ : (إذْ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكُتَّاب ، لتقارب أجناسهما في المسامع ، وإشكال أصل تأسيس كلِّ واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما ...) .
وقال ابن مكِّي الصَّقَلِي^(٢) ، المتوفَّى سنة ٥٠١هـ : (فأما العامَّةُ ، وأكثر الخاصة ، فلا يفرِّقون بينهما في كتاب ولا قرآن ..) .

وقال ابن الجَزَري^(٣) المتوفَّى سنة ٨٣٣هـ : (والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، فإنَّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلَّ مَنْ يحسنه ، فمنهم مَنْ يخرج ظاء ، ومنهم من يمزجه

(١) الفرق بين الضاد والظاء ٣ .

(٢) تثقيف اللسان ٩١ .

(٣) النشر في القراءات العشر ٣١٠/١ .

بالذال ، ومنهم من يجعله لاماً مفتحة ، ومنهم من يُشَمِّه الزاي ، وكلُّ ذلك لا يجوز) .

والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصة . ولا يوجد في كلام المعجم إلا في القليل^(٤) .

أمَّا الظاء فهو حرف مجهور ، وهو عربيٌّ تُحصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم^(٥) .

إن ما ورد في القرآن الكريم من الظاء ثلاثة وخمسون وثمان مئة ، ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً .

أمَّا الضاد فقد جاء في أربعة وثمانين وست مئة وألف موضع ، ترجع إلى واحد وثمانين أصلاً^(٦) .

وقد كثرت المؤلفات فيهما ، وقد استقصينا ذلك في مقدمتي كتابي الصقلي^(٧) وابن مالك^(٨) فلا موجب لذكرها .

وأفرد قسم من الباحثين مصنفات مستقلة لذكر ظاءات القرآن الكريم ، ليعلم أن ما عداها إنما هو بالضاد .

ومن هذه المصنفات منظومات شعرية تشتمل على أصول الكلمات الظائية في القرآن الكريم فقط ، وقد اختلفت في عدد أبياتها وأصوحتها^(٩) .

(٤) ينظر : الكتاب ٤٠٦/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢١٣/١ ، والرعاية ١٨٤ .
(٥) ينظر : سر صناعة الإعراب ٢٢٧/١ ، والرعاية ٢٢٠ ، واللسان والتاج (حرف الظاء) .

(٦) منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٦ .

(٧) في معرفة الضاد والظاء ٩ -- ١٠ .

(٨) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٦ -- ١٢ .

(٩) تُنظر في : منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٧ -- ٦٤٢ .

واتسمت هذه المنظومات بالإيجاز ، لذا فقد قام ناظموها أو غيرهم بشرحها ، وبيان مُبهمها ، وذكر الآيات المتعلقة بها .
ومن هذه المنظومات منظومة أبي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، وتقع في أربعة أبيات هي (١٠) :

ظَفِرَتْ سُوَاطُ بِحَظِّهَا مِنْ ظُلْمِنَا فَكَظَّمْتُ غِيْظَ عَظِيمٍ مَا ظَنَنْتُ بِنَا
وَضَعَنْتُ أَنْظُرُ فِي الظَّهِيرَةِ ظُلَّةً وَظَلَلْتُ أَنْظُرُ الظُّلَالَ الحِيفُنَا
وَضَمَمْتُ فِي الظُّلْمِ أَفْئِدَةَ عَظْمِي لَظِي ظَهَرَ الظُّلْمُ لِأَجْلِ غِلَظَةِ وَعَظْمِنَا
أَنْظُرْتُ لَفْظِي كَيْ تَقِظَ فِظَّةً وَحَظَرْتُ ظَهَرَ ظَهْرِيهَا مِنْ ظُفْرِنَا

وقد شرحها بإيجاز الناظم نفسه (١١) . وشرحها ابن الجزري في كتابه : (التمهيد في علم التجويد) (١٢) .

وثمة شرح لمؤلف مجهول وقفنا عليه ضمن مجموع رقمه ٢٥٤٧ ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ويقع في (ق ٥٢ ب - ٥٤ أ) ، في كلِّ صفحة خمسة وعشرون سطراً ، كُتِبَ بخط مغربي يعود إلى القرن العاشر تقديراً ، وعلى المجموع تملك باسم عبد الجليل بن سعد القاضي بالمحاكم الأهلية (١٣) . وقد وافاني به مشكوراً أخي الدكتور صالح بن حسين العائد حفظه الله تعالى .

(١٠) ذكرها الجعبري في كتابه : الإرصاء في شرح المرصاد ق ١ ب ، وابن الجزري في كتابه : التمهيد في علم التجويد ٢١٠ .

(١١) نشر هذا الشرح الدكتور محسن جمال الدين ، رحمه الله ، ببغداد عام ١٩٧٠ بعنوان : (أبو عمرو الداني ورسائله في الظاءات القرآنية) .

(١٢) التمهيد ٢١٠ - ٢١٩ .

(١٣) فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

وقد بذلت جهداً كبيراً لمعرفة هذا الشارح المجهول ، ولكنني لم أوفق في ذلك ، وعسى أن يقف أحد الباحثين عليه فيفيد العلم وأهله .

وتكمن أهمية هذا الشرح في انفراده بشرح ظاءات القرآن الكريم ، وبلغ عدد الآيات التي ذكرها الشارح اثنتين وأربعين ومئة آية ، وترك الباقي مشيراً إليه بقوله : وشبهه ، أو : وما أشبهه ، أو : وما أشبه ذلك .

وعرض المؤلف عند حديثه عن ظاءات القرآن الكريم لنظائر الظاء من الضاد في ثمانية مواضع هي : (حظ وحض ، غيظ وغيض ، ظنّ وضمن ، نظر ونضر ، ظلّ وفضلّ ، العظة والعضة ، فظّ وفضّ ، حظّر وحضر) .

فكلّ لفظة من هذه الألفاظ إذا جاءت بالظاء يكون لها معنى وإذا جاءت بالضاد فيكون لها معنى آخر . وهذا ما يُسمّى بالنظائر ، وقد أفرد ابن مالك الطائي كتابه (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) في هذا الموضوع .

وقد استعمل الشارح مصطلح (مرفوع) لحرف الظاء ، قال : (الظلم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (الكظم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (النظر المرفوع على خمسة معان ...) .

واستعمل مصطلح (مسقوط) لحرف الضاد ، قال : (فأما قوله تعالى : ﴿ وَقِيضْنَا ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : يسّرنا) . وقال : (وأما في هود : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ ، وفي الرعد : ﴿ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ ﴾ فهما مسقوطان ، لأنّهما بمعنى النقصان) . وقال : (فأما قوله تعالى في التكوير : ﴿ بَضْنِينَ ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : بجيل ، وهو في جميع

المصاحف بالضاد المسقوطة ، وقُرئ في السبع بالطاء المرفوع ، بمعنى :
بمتهم . فاعلم ذلك) .

واستعمل مصطلح (ساقط) لحرف الضاد أيضاً في موضع واحد ،
قال : (فأما قوله في الحجر : ﴿ عَضِينَ ﴾ فهو ساقط ، لأنه من العضة ،
وهو القطعة من الشيء ، يعني : أنهم جعلوا القرآن قطعاً ، يؤمنون ببعض
ويكفرون ببعض) .

وجاءت ظاءات القرآن في المنظومة والشرح في اثنين وثلاثين أصلاً ،
وعدد هذه الأصول غير متساوٍ عند الناظرين ، وسبب هذا التفاوت أنهم
ينظرون إلى معنى اللفظ لا إلى مادته وجذره .

فعدد الأصول في منظومة المهدي^(١٤) ، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ هو
تسعة وعشرون أصلاً .

وعدد الأصول في منظومة السرقوسي^(١٥) ، المتوفى نحو سنة
٥٩١ هـ ، هو واحد وعشرون أصلاً .

فالذاتي ذكر من مسادة (ظهر) خمسة ألفاظ ، هي : ظَهَرَ ،
والظهار ، والظهيرة ، والظَّهر ، والظهير .

والمهدي ذكر أربعة ألفاظ ، هي : الظهور ، والظَّهر ، والمظاهرة ،
والظهيرة .

أما السرقوسي فقد ذكر هذه المادة مرةً واحدةً ، وسار على منهج
اللغويين في زدّ مشتقات الكلمة إلى أصل واحد ، فجعل ظاءات القرآن في
منظومته في واحد وعشرين أصلاً .

(١٤) على هذه المنظومة شرح انتهينا من تحقيقه ودفعناه إلى المطبعة .

(١٥) ظاءات القرآن ٢٦٣ .

ورأينا إتماماً للفائدة أن نذكر في مقدمة هذا الشرح عدد المواضع التي جاءت فيها الألفاظ الظائية في القرآن الكريم ، والتي ترجع إلى احدى وعشرين مادة لغوية .

وهذه الألفاظ الظائية هي :

- ١ - مادة (حظر) : وقعت في موضعين .
- ٢ - مادة (حفظ) : وقعت في سبعة مواضع .
- ٣ - مادة (حفظ) : وقعت في أربعة وأربعين موضعاً .
- ٤ - مادة (شوظ) : وقعت في موضع واحد .
- ٥ - مادة (ظعن) : وقعت في موضع واحد .
- ٦ - مادة (ظفر) : وقعت في موضعين .
- ٧ - مادة (ظلل) : وقعت في ثلاثة وثلاثين موضعاً .
- ٨ - مادة (ظلم) : وقعت في خمسة عشر وثلاث مئة موضع .
- ٩ - مادة (ظمأ) : وقعت في ثلاثة مواضع .
- ١٠ - مادة (ظنن) : وقعت في تسعة وستين موضعاً .
- ١١ - مادة (ظهر) : وقعت في تسعة وخمسين موضعاً .
- ١٢ - مادة (عظم) : وقعت في ثمانية وعشرين ومئة موضع .
- ١٣ - مادة (غلظ) : وقعت في ثلاثة عشر موضعاً .
- ١٤ - مادة (غيظ) : وقعت في أحد عشر موضعاً .
- ١٥ - مادة (فظظ) : وقعت في موضع واحد .
- ١٦ - مادة (كظم) : وقعت في ستة مواضع .
- ١٧ - مادة (لظي) : وقعت في موضعين .
- ١٨ - مادة (لفظ) : وقعت في موضع واحد .

١٩ - مادة (نظر) : وقعت في تسعة وعشرين ومئة موضع .

٢٠ - مادة (وعظ) : وقعت في خمسة وعشرين موضعاً .

٢١ - مادة (يقظ) : وقعت في موضع واحد .

فهذه إحدى وعشرون مادة يرجع إليها ثلاث وخمسون وثمانئة لفظة ظائية ، خلافاً لما ذكره أبو عمرو الداني في مقدمة منظومته إذ عدّها ثمانئة واثنين وأربعين ظاء^(١٦) .

وثمة أمر لا بُدَّ أن نشير إليه وهو ما جاء في الصفحة الأولى من المخطوط ، إذ جاء فيها : (قال الشيخ الإمام العالم الفقيه أبو محمد عثمان الداني المقرئ) . ولم نعرف من أبنائه إلا واحداً اسمه (أحمد) ذكره ابن الجزري^(١٧) من بين تلامذة الداني ، كما لم نعرف سبب كنيته بأبي عمرو . فلعلّ ما جاء في المخطوط وهم من الناسخ ، والله أعلم .

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يلهمنا السداد والصواب ، ويجنبنا المزالق والعثرات ، إنّه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

(١٦) وذهب علي النوري الصفاقسي في كتابه (تنبيه الغافلين) ص ٦٥ إلى أنها

ثمانئة وثلاثة وأربعون . وهو وهم أيضاً .

(١٧) غاية النهاية ١/٥٠٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم ص الله على محمد وآله
 وقال المشيخ امام السالم الفقيه
 ابو محمد عثمان الدارمي رحمه الله
 قوله اعلم انه اهلعت كتابات القرآن العظيم ووجدتها
 ثمانية اربعة والثمن واربعين كتابا ووجدتها اصولها التي تدعى
 منها باصولها الثمن وثلاثين اصلا بنصت تلك الاصول
 في اربعة ابيات وضمنت على ابيات منها ان علم
 تسهيلات للكتابين وتفسيرها على اهلها من اهلها
 كما جرت شواكف بحكمها من كلامها وكثيرا مما كتبت عنك ما كتبتنا

فقال الشارح اعلم ان شدة ك الله ان انا عمود رحمة الله تعالى
 في بعبه الوزان ان ياتي بكلم الكفا الوارث في الازمنة وما
 جاءت فيه لان التفسير ايتا توكيد ما بينا في المشور واما قوله
 ابيات ذلك يفان عن لغتها ومعناها الا على وزنها فليس
 يد قوله تعالى في الآية من بعد ان الحركم عليه لا غير شواكف
 سورة الرمز يوسر عليها شواكف من اثارها من اثارها
 بينت الذي في الخبر ان حكاية الازنة نسوا احدا حكاية عنك
 وما الشبهة واما قوله تعالى في الآية وارا
 البحر والخصون فهو مسوقه ما ان معنى التخت على الخبر من
 كلمتها الكلم وما تدور منه مرعوم حيث وقع نحو الكلام ولا تكلم
 وبكلام للعبية والكلمة كفا وشبهة وتكلمت الكلمة وما تدور
 منه مرعوم حيث وقع نحو الكا كتم وهو كتم وهو مكتوم وما الشبهة
 فعبارة كما يقع الذي يعبر القسمة والحر ح هو تسمير من القسمة
 ليقفك به ما يقفك لنا نقا بصوز لها تقفكنا ان الله فانا
 في هود وغيره الباء وفي الرعد وما تقسيرا بار حاتم بها مستوفى
 شأنها من انقض ان حكيم والعلم وما الذي من حاتم

٥٤

في ضح النوم وتمسكهم ايضا كما وهم رفود كما غير ما ما قوله تعالى ونضاضتم
 صيفوا كما ان معناه يمسسنا ويكثت يربح فوارة تعاف ولو كنت فكا عليمك الفلما
 لا غير ومعناه العضاضة والظلمة ما ما قوله لا تبصروا من حر ليد وحق تبصروا
 انعضوا ايدها بليست من الضالكة معناه التوبيز يعني ما بتر فترا والار هو الرجل
 المتحد في موته المتعلكة في قنا صوته وحقه يت يربح يدي: الحظر الذي هو
 مرفوع معناه المنع وهما موضعان في سبحان وما كان عضا، انك فكا سور
 وفي سورة الفجر وكانوا كاشفهم المعتضرا غير في ما الحصر انك فكا سور
 القيمة وهو مستوفى حيث وقع فهو محضون وكل شئ من فخر من اذا احضر
 ادعوا امة ت بلما حرة، وما الشبهه كشمس الكفر من الانس وغيره من سورة
 حيث وقع فوعا كنهها وما كنهها ورا، لم كنهها وما كنهها وغيره من سورة
 كنهها كنهها التكاليف والاضحية وسائر من سورة وغيره من سورة
 معناه التفاضل عليه وسائر من سورة وغيره من سورة وغيره من سورة
 ادد انفق ان يكفر واعينكم، الذي كنهها وظ من كنهها يريد في سورة انفق
 كل من كنهها لا غير انفق كنهها كنهها وسائر كنهها

وتمسكهم ايضا كما وهم رفود كما غير ما ما قوله تعالى ونضاضتم
 صيفوا كما ان معناه يمسسنا ويكثت يربح فوارة تعاف ولو كنت فكا عليمك الفلما
 لا غير ومعناه العضاضة والظلمة ما ما قوله لا تبصروا من حر ليد وحق تبصروا
 انعضوا ايدها بليست من الضالكة معناه التوبيز يعني ما بتر فترا والار هو الرجل
 المتحد في موته المتعلكة في قنا صوته وحقه يت يربح يدي: الحظر الذي هو
 مرفوع معناه المنع وهما موضعان في سبحان وما كان عضا، انك فكا سور
 وفي سورة الفجر وكانوا كاشفهم المعتضرا غير في ما الحصر انك فكا سور
 القيمة وهو مستوفى حيث وقع فهو محضون وكل شئ من فخر من اذا احضر
 ادعوا امة ت بلما حرة، وما الشبهه كشمس الكفر من الانس وغيره من سورة
 حيث وقع فوعا كنهها وما كنهها ورا، لم كنهها وما كنهها وغيره من سورة
 كنهها كنهها التكاليف والاضحية وسائر من سورة وغيره من سورة
 معناه التفاضل عليه وسائر من سورة وغيره من سورة وغيره من سورة
 ادد انفق ان يكفر واعينكم، الذي كنهها وظ من كنهها يريد في سورة انفق
 كل من كنهها لا غير انفق كنهها كنهها وسائر كنهها

استفاد
 استفاد
 استفاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ

قال الشيخ الإمام العالم الفقيه أبو محمد عثمان الداني المقرئ ، رحمه

الله :

الحمدُ لله . اعلمُ أنّي اطّلعْتُ على ظاءاتِ القرآنِ العظيمِ فوجدتها ثمانئةً واثنين وأربعين ظاءً ، ووجدتُ أصولها التي تفرعُ منها اثنين وثلاثين أصلاً ، فنظمتُ تلكَ الأصولَ في أربعة أبيات ، وضمنتُ على كلِّ بيتٍ منها ثمانين كلمة ، تسهيلاً للطالبيين ، وتقريباً على المتحفظين والحافظين ، وهي :

ظَفِرَتْ شِوَاظُ بَحْظِهَا مِنْ ظُلْمِنَا فَكَظَمْتُ غِيْظَ عَظِيمٍ مَا ظَنَنْتُ بِنَا

قال الشارحُ :

اعلم ، أرشدك الله ، أنّ أبا عمرو ، رحمه الله تعالى ، لم يعطه الوزنُ أن يأتي بكلم الظاء الواردة في القرآن على نحو ما جاءت فيه ، لأنّ النظم لا يتأتى فيه ما يتأتى في النثر ، وإنّما أتى في هذه الأبيات بكلم يُقاسُ على لفظها ومعناها ، لا على وزنها .

(ظَفِرَتْ) : يريد قوله تعالى في الفتح^(١) : ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ

عليهم ﴾ ، لا غير .

(١) آية ٢٤ . ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وطاءات القرآن ٢٦٣ .

وظفير : فاز ، والظافر : الغالب .

(شواظ) : في سورة الرحمن^(٢) : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ ، لا غير .

(بِحِطِّهَا) : يعني الذي في آل عمران^(٣) : ﴿حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ ، ﴿فَنَسُوا حِطًّا﴾^(٤) ، ﴿حِطٌّ عَظِيمٌ﴾^(٥) ، «حِطُّ الْأَثْمِينِ»^(٦) ، وما أشبهه^(٧) .

وأما قوله تعالى في الحاقة^(٨) ، وأرأيت^(٩) : ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ ، وفي الفجر^(١٠) : ﴿وَلَا تَحْضُونَ﴾ ، فهو مسقوط ، لأنه بمعنى : الحث على الخير .

(من ظلمنا) : الظلم وما تصرف منه مرفوع حيث وقع ، نحو : ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(١١) ، و﴿بِظُلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١٢) ، و﴿لَظْلُومٌ﴾

-
- (٢) آية ٣٥ . ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وطاءات القرآن ٢٧٢ . والشواظ : اللهب . والنحاس : الدخان . (ينظر : تفسير القرطبي ١٧١/١٧) .
- (٣) آية ١٧٦ . والحِطُّ : النصيب .
- (٤) المائة ١٤ .
- (٥) القصص ٧٩ ، فصلت ٣٥ .
- (٦) النساء ١١ و ١٧٦ .
- (٧) جاءت مادة (حِطَّ) في القرآن الكريم في سبعة مواضع .
- (٨) آية ٣٤ .
- (٩) آية ٣ . وهي سورة الماعون في المصحف الشريف .
- (١٠) آية ٨ . وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر . أما الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي فقرأوا : وَلَا تُحَاصُونَ . (السبعة ٦٨٥ ، المبسوط في القراءات العشر ٤٧٠ - ٤٧١) .

(١١) البقرة ٢٧٩ .

(١٢) آل عمران ١٨٢ ، الأنفال ٥١ ، الحج ١٠ ، فصلت ٤٦ ، ق ٢٩ .

كفَّارٌ ﴿١٣﴾ ، وشبهه (١٤) .

(فَكَّظَمْتُ) : الكَظْمُ وما تصرّف منه مرفوع حيث وَقَعَ ، نحو : ﴿ الكَاظِمِينَ ﴾ (١٥) ، ﴿ فهو كَظِيمٌ ﴾ (١٦) ، ﴿ وهو مَكْظُومٌ ﴾ (١٧) ، وما أشبهه (١٨) .

(غَيِظُ) (١٩) : يعني الذي بمعنى العُضْب والحَرَج ، نحو : ﴿ تَمَيَّزُ من العَيْظِ ﴾ (٢٠) ، ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ﴾ (٢١) ، ﴿ ما يَغِيظُ ﴾ (٢٢) ، ﴿ لنا لغائِظون ﴾ (٢٣) ، ﴿ لها تَغِيظًا ﴾ (٢٤) ، وما أشبهه (٢٥) .

وَأَمَّا في هود (٢٦) : ﴿ وَغِيضَ المَاءِ ﴾ ، وفي الرعد (٢٧) :

(١٣) إبراهيم ٣٤ .

(١٤) جاءت مادة (ظلم) وما تصرّف منها في ثلاثة مئة وخمسة عشر موضعاً ، منها ستة وعشرون موضعاً في الظلام وما تصرّف منه .

(١٥) آل عمران ١٣٤ . والكظم : الحبس .

(١٦) يوسف ٨٤ .

(١٧) القلم ٤٨ .

(١٨) وقعت مادة (كظم) في القرآن الكريم في ستة مواضع .

(١٩) في الأصل : فغيظها .

(٢٠) الملك ٨ .

(٢١) الفتح ٢٩ .

(٢٢) الحج ١٥ .

(٢٣) الشعراء ٥٥ .

(٢٤) الفرقان ١٢ .

(٢٥) وقعت مادة (غيظ) وما تصرّف منها في القرآن الكريم في أحد عشر

موضعاً .

(٢٦) آية ٤٤ .

(٢٧) آية ٨ .

﴿ وما تَفِيضُ الأرحامُ ﴾ فهما مسقوطان ، لأنهما بمعنى النقصان (٢٨) .

(عَظِيم) ، وَالْعَظْمَةُ ، وما اشتقَّ من ذلك مرفوع ، [١٥٣] حيث وقع ، نحو : ﴿ نَبأُ عَظِيمٌ ﴾ (٢٩) ، و﴿ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ (٣٠) ، و﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ (٣١) ، و﴿ أَعْظَمُ أَجْراً ﴾ (٣٢) ، و﴿ عَرْشُ عَظِيمٍ ﴾ (٣٣) ، و﴿ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣٤) ، وشبهه (٣٥) .

(ما ظَنَنْتُ بنا) : الظنُّ المرفوع يكون بمعنى اليقين ، وبمعنى الشكِّ ، فاليقين : ﴿ الذين يظنون أنهم ﴾ (٣٦) ، ﴿ وظنوا أن لا ملجأ ﴾ (٣٧) ، و﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ ﴾ (٣٨) ، وشبهه (٣٩) .

والذي بمعنى الشكِّ نحو : ﴿ إن نُنْظِنُ إِلاَّ ظَنّاً ﴾ (٤٠) ، ﴿ وتَظُنُّونَ

(٢٨) ينظر في الغيظ والغيض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٦٦ ، وزينة الفضلاء ٩٧ ، والاعتقاد في نظائر الظاء والضاد ٤٨ .

(٢٩) ص ٦٧ .

(٣٠) البقرة ٢٥٥ ، والشورى ٤ .

(٣١) التوبة ٢٠ ، والحديد ١٠ .

(٣٢) المزمل ٢٠ .

(٣٣) النمل ٢٣ .

(٣٤) آل عمران ١٧٢ ، ومواضع أخر (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

الكريم ١٣) .

(٣٥) وقعت هذه المادة في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين ومئة موضع .

(٣٦) البقرة ٤٦ و ٢٤٩ .

(٣٧) التوبة ١١٨ .

(٣٨) الحاقة ٢٠ .

(٣٩) وقعت مادة (ظن) في القرآن الكريم في تسعة وستين موضعاً .

(٤٠) الجاثية ٣٢ .

بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿٤١﴾ ، وَ ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ ﴿٤٢﴾ ، وَشِبْهَهُ ﴿٤٣﴾ .
 فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي التَّكْوِيرِ ﴿٤٤﴾ : ﴿بِضْنَيْنِ﴾ فَهُوَ مَسْقُوطٌ ، لِأَنَّ
 مَعْنَاهُ : بِحَيْلٍ ، وَهُوَ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ بِالضَّادِ الْمَسْقُوطَةِ ، وَقُرِئَ فِي السَّبْعِ
 بِالظَّاءِ الْمَرْفُوعِ ﴿٤٥﴾ ، بِمَعْنَى : بُمْتَهُمِ . فَاعْلَمْ ذَلِكَ ﴿٤٦﴾ .

* * *

وَوَطَّعَنْتُ أَنْظُرُ فِي الظُّهَيْرَةِ ظُلْمَةً وَظَلَلْتُ أَنْتَظِرُ الظُّلَالَ لِحِفْظِنَا
 (وَوَطَّعَنْتُ) : يَرِيدُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ ﴿٤٧﴾ ، لَا غَيْرَ .
 (أَنْظُرُ) : النَّظَرُ الْمَرْفُوعُ عَلَى خَمْسَةِ مَعَانٍ :
 مِنْهَا الْمَعَانِيَةُ ، نَحْوُ ﴿وَإِنظُرْ إِلَى إِهْلِكَ﴾ ﴿٤٨﴾ وَ ﴿أَرِنِي أَنْظُرُ
 إِلَيْكَ﴾ ﴿٤٩﴾ ، وَ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ، وَشِبْهَهُ .

(٤١) الأحزاب ١٠ .

(٤٢) الجن ٧ .

(٤٣) ينظر : الأضداد لقطرب ٧١ ، وللأصمعي ٣٤ ، ولابن الأنباري ١٤ ،
 وللتوزي ٢٥ ، ولأبي الطيب اللغوي ٤٦٦ .

(٤٤) آية ٢٤ .

(٤٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، وقرأ باقي السبعة بالضاد .
 (ينظر : السبعة في القراءات ٦٧٣ ، والإقناع ٨٠٥) .

(٤٦) ينظر في الظن والضمن : الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء ٣٤ ،
 والفرق بين الحروف الخمسة ١٥١ ، والاعتاد ٣٨ .

(٤٧) النحل ٨٠ .

(٤٨) طه ٩٧ .

(٤٩) الأعراف ١٤٣ .

(٥٠) القيامة ٢٣ .

ومنها التفكير والاعتبار ، نحو : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ ﴾^(٥١) ، ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ﴾^(٥٢) ، ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ ﴾^(٥٣) ، وشبهه .
ومنها التعطف ، نحو : ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾^(٥٤) ، أي : لا يتعطف عليهم .

ومنها الانتظار ، نحو : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾^(٥٥) ، و ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾^(٥٦) ، و ﴿ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ ﴾^(٥٧) ، وشبهه .

ومنها الاستماع ، > نحو ^(٥٨) : ﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾^(٥٩) ، ﴿ وَاسْمَعْ وَأَنْظِرْنَا ﴾^(٦٠) ، وما أشبه ذلك .

فأما قوله في القيامة^(٦١) : ﴿ وَجِوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ ، وفي الإنسان^(٦٢) : ﴿ لَقَاهُمْ نُضْرَةٌ وَسُرُورًا ﴾ ، وفي المطففين^(٦٣) : ﴿ نُضْرَةٌ

(٥١) الغاشية ١٧ .

(٥٢) الأعراف ١٨٥ .

(٥٣) الطارق ٥ .

(٥٤) آل عمران ٧٧ .

(٥٥) الأعراف ٥٣ .

(٥٦) يس ٤٩ .

(٥٧) الأحزاب ٥٣ .

(٥٨) يقتضيتها السياق .

(٥٩) البقرة ١٠٤ .

(٦٠) النساء ٤٦ . وينظر : الطاءات في القرآن الكريم ٣٠ - ٣٢ .

(٦١) آية ٢٢ .

(٦٢) آية ١١ .

(٦٣) آية ٢٤ . وينظر : التمهيد في علم التجويد ٢١٤ ، ولطائف الإشارات

النَّعِيم ﴿﴾ فهو مسقوط لأنه بمعنى التَّعِيم .

(في الظهيرة) : يريد به حَرْفَيْن : في النور^(٦٤) : ﴿ ثِيَابِكُمْ مِنَ الظهيرة ﴾ ، والرُّوم^(٦٥) : ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ ، لا غير .
 (ظُلَّةٌ) : الظُّلَّةُ مرفوعة حيث وَقَعَتْ ، نحو : ﴿ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٦٦) ،
 و﴿ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾^(٦٧) ، و﴿ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْعَمَامِ ﴾^(٦٨) ،
 وما أشبهه .

(وَظَلَّلْتُ) : يريد ظلَّ الذي بمعنى صار ، وهي مرفوعة : وجملتها

تسعة مواضع :

أولها في الحجر^(٦٩) : ﴿ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرجُونَ ﴾ ،
 وفي النحل^(٧٠) : ﴿ ظَلٌّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ ،
 وفي طه^(٧١) : ﴿ ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ ،
 وفي الشعراء^(٧٢) : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ ﴾ ،
 وفيها^(٧٣) : ﴿ فَظَلَّلَ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ ،

(٦٤) آية ٥٨ .

(٦٥) آية ١٨ .

(٦٦) الأعراف ١٧١ .

(٦٧) الشعراء ١٨٩ .

(٦٨) البقرة ٢١٠ .

(٦٩) آية ١٤ .

(٧٠) آية ٥٨ .

(٧١) آية ٩٧ .

(٧٢) آية ٤ .

(٧٣) الشعراء ٧١ .

- وفي الروم^(٧٤) : ﴿ لَطَّلُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ،
 وفي الشورى^(٧٥) : ﴿ فَيُظَلَّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾ ،
 وفي الزحرف^(٧٦) : ﴿ ظَلَّ وَجْهَهُ ﴾ ،
 وفي الواقعة^(٧٧) : ﴿ فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ هُونَ ﴾ ، لا غير^(٧٨) .
 وما سوى ذلك فهو مسقوط ، نحو : ﴿ ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٧٩) ،
 ﴿ ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾^(٨٠) ، و ﴿ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٨١) ، و ﴿ ضَالِّينَ ﴾^(٨٢) ،
 و ﴿ ضَالًّا فَهْدَى ﴾^(٨٣) ، معناه : الخيرة ، والحيدة عن الطريق الجادة .
 (أَنْتَظِرُ) : الانتظار وما تصرف منه كله مرفوع [٥٣ب] حيث
 وَقَعَ ، نحو : ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ ﴾^(٨٤) ، و ﴿ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾^(٨٥) ،
 ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾^(٨٦) ، وما أشبه ذلك .

. (٧٤) آية ٥١ .

. (٧٥) آية ٣٣ .

. (٧٦) آية ١٧ .

. (٧٧) آية ٦٥ .

. (٧٨) ينظر : الطاءات في القرآن الكريم ٣٣ - ٣٤ ، وطاءات القرآن ٢٦٨ .

. (٧٩) السجدة ١٠ .

. (٨٠) إبراهيم ٣ ، والشورى ١٨ ، وق ٢٧ .

. (٨١) آل عمران ١٦٤ ، ومواضع أخر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

الكريم ٤٢٣) .

. (٨٢) المؤمنون ١٠٦ ، والصفات ٦٩ .

. (٨٣) الضحى ٧ .

. (٨٤) يونس ١٠٢ .

. (٨٥) السجدة ٣٠ .

. (٨٦) الأعراف ٧١ . وفي الأصل : وانتظروا .

(الظلال) : المفرد والمجموع وما تصرف منه مرفوعٌ حيث وقع ،
 نحو : ﴿ في ظلالِ وعيونِ ﴾ (٨٧) ، ﴿ وظلالهم بالغُدُوِّ ﴾ (٨٨) ، ﴿ وظلُّنا
 عليهم ﴾ (٨٩) ، و ﴿ لا ظليل ﴾ (٩٠) ، ﴿ وظلُّ من يحموم ﴾ (٩١) ،
 و ﴿ ظلًّا ظليلاً ﴾ (٩٢) ، وشبهه .

(الحِفظُنا) (٩٣) : الحِفظُ وما تصرف منه مرفوعٌ حيث وَقَعَ ، نحو :
 ﴿ بما حَفِظَ اللهُ ﴾ (٩٤) ، ﴿ ويحفظنَ فُروجَهُنَّ ﴾ (٩٥) ، ﴿ لكلِّ أوابٍ
 حفيظٍ ﴾ (٩٦) ، ﴿ في لوحٍ محفوظٍ ﴾ (٩٧) ، ﴿ فاللهُ خيرٌ حَفِظًا ﴾ (٩٨) .

* * *

وَضَمِئْتُ فِي الظُّلْمَا ففِي عَظْمِي لَطَى ظَهَرَ الظُّهَارُ لِأَجْلِ غِلْظَةِ وَعَظِنَا

(وضمئت) : الظماً مرفوعٌ حيث وقع ، معناه : العطش ، نحو :
 ﴿ ظَمًا وَلَا نَصَبٌ ﴾ (٩٩) ، ﴿ لَا تَظْمَسُوا فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ (١٠٠) ،

(٨٧) الرسائل ٤١ .

(٨٨) الرعد ١٥٠ .

(٨٩) الأعراف ١٦٠ .

(٩٠) الرسائل ٣١ .

(٩١) الواقعة ٤٣ . وفي الأصل : وظل من تدعون . وهو وهم .

(٩٢) النساء ٥٧ .

(٩٣) في الأصل : بحفظنا ، في النظم والشرح . ووقعت مادة (حفظ) في القرآن

الكريم في أربعة وأربعين موضعاً .

(٩٤) النساء ٣٤ .

(٩٥) النور ٣١ . وفي الأصل : وليحفظن ، وهو وهم .

(٩٦) ق ٣٢ .

(٩٧) البروج ٢٢ .

(٩٨) يوسف ٦٤ . وهي قراءة . وفي المصحف الشريف : حافِظًا . (ينظر :

السبعة ٣٥٠ ، وحجة القراءات ٣٦٢ ، وارشاد المبتدي ٣٨٢) .

(٩٩) التوبة ١٢٠ . وفي الأصل : لا ظماً . وهو وهم .

(١٠٠) طه ١١٩ .

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ (١٠١) ، وما أشبهه (١٠٢) .

(في الظلما) : الظلامُ وما تصرف منه مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ،
> نحو < (١٠٣) : ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ (١٠٤) ، ﴿ وَلَا الظُّلُمَاتُ ﴾ (١٠٥) ،
﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ ﴾ (١٠٦) ، ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٠٧) ، ﴿ فَإِذَا هُمْ
مُظْلِمُونَ ﴾ (١٠٨) ، و ﴿ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ (١٠٩) ، وشبهه (١١٠) .

(ففي عَظْمِي) : العَظْمُ : واحدُ العظامِ ، مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ،
نحو : ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ (١١١) ، ﴿ وَهَرَنَ العَظْمُ مِنِّي ﴾ (١١٢) ،
﴿ والمضغَةُ عِظَامًا ﴾ (١١٣) .

(لَظِي) : يريد حرفين ، في سأل سائل (١١٤) : ﴿ إِنَّهَا لَظِي ﴾ ،

(١٠١) النور ٣٩ .

(١٠٢) ليس في القرآن الكريم إلا المواضع الثلاثة التي ذكرها الشارح .

(١٠٣) يقتضيا السياق .

(١٠٤) الزمر ٦ .

(١٠٥) فاطر ٢٠ .

(١٠٦) الأنعام ١ .

(١٠٧) البقرة ٢٠ .

(١٠٨) يس ٣٧ .

(١٠٩) يونس ٢٧ .

(١١٠) تنظر الحاشية رقم ١٤ .

(١١١) الأنعام ١٤٦ . وفي الأصل : وما اختلط . وهو وهم .

(١١٢) مريم ٤ .

(١١٣) المؤمنون ١٤ . ووقع العظم والعظام في القرآن الكريم في خمسة عشر

موضعاً .

(١١٤) آية ١٥ . وهي سورة المعارج في المصحف الشريف .

وفي الليل^(١١٥) : ﴿ نَارًا تَلَّظَى ﴾ ، لا غير .

(ظَهَرَ) : الإظهار والظهور ، وما تصرف منه ، مرفوعٌ حيث وَقَعَ ، نحو : ﴿ عليها يظهرون ﴾^(١١٦) ، ﴿ الظاهرُ والباطن ﴾^(١١٧) ، ﴿ ليُظهِرَهُ على الدينِ كله ﴾^(١١٨) ، و ﴿ ظاهرين ﴾^(١١٩) ، وما أشبهه .

(الظهار) : مأخوذ من الظهر ، وهو في ثلاثة مواضع ، في الأحزاب^(١٢٠) : ﴿ اللّٰثِي تَظْهَرُونَ ﴾ ، وفي المجادلة^(١٢١) : ﴿ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ ، لا غير .

(لأجلِ غِلْظَةٍ) : الغِلْظَةُ وما تصرف منها ، مرفوعٌ حيث وَقَعَ ، نحو : ﴿ عذابٍ غليظ ﴾^(١٢٢) ، و ﴿ واغْلُظْ عليهم ﴾^(١٢٣) ، و ﴿ فيكم غِلْظَةٌ ﴾^(١٢٤) ، ﴿ فاستغلظ ﴾^(١٢٥) ، وما أشبهه^(١٢٦) .

(١١٥) آية ١٤ .

(١١٦) الزخرف ٣٣ .

(١١٧) الحديد ٣ .

(١١٨) التوبة ٣٣ .

(١١٩) غافر ٢٩ .

(١٢٠) آية ٤ . وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . وثمة قراءات أُخر .

(ينظر : السبعة ٥١٩ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١٩٤/٢) .

(١٢١) آية ٢ . والموضع الثالث في المجادلة ٣ : « والذين يظاهرون من نسائهم » .

وينظر في قراءات هاتين الآيتين : السبعة ٦٢٨ ، والتيسير ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(١٢٢) هود ٥٨ ، ولقمان ٢٤ ، وفصلت ٥٠ .

(١٢٣) التوبة ٧٣ .

(١٢٤) التوبة ١٢٣ .

(١٢٥) الفتح ٢٩ .

(١٢٦) وقعت (غلظ) وما تصرف منها في ثلاثة عشر موضعاً .

(وَعَظِنَا) : الْوَعْظُ وَالْمَوْعِظَةُ وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهُ مَرْفُوعٌ حَيْثُ وَقَعَ .
ومعناه : ذكر الخير (١٢٧) ، وانشراح الصدر ، ولين القلب ، نحو :
﴿ وَعَظَّمَهُمْ ﴾ (١٢٨) ، ﴿ فَعِظُواهُمْ ﴾ (١٢٩) ، ﴿ يُوعِظُ بِهِ ﴾ (١٣٠) ، و﴿ لِمَ
تُعْظُونَ قَوْمًا ﴾ (١٣١) ، و﴿ أَوْعِظَتْ أُمَّ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ (١٣٢) ،
وشبهه (١٣٣) .

فأما قوله في الحجر (١٣٤) : ﴿ عِضِينَ ﴾ فهو ساقط ، لأنه من
العِصَّة ، وهو القطعة من الشيء ، يعني : أنهم جعلوا القرآن قطعاً ، يؤمنون
ببعضٍ ويكفرون ببعض (١٣٥) . انتهى .

* * *

أَنْظَرْتُ لَفِظِي كِي تَيْقِظَ فَظُّهُ وَحَظَرْتُ ظَهَرَ ظَهْرَهَا مِنْ ظُفْرِنَا
قوله : (أَنْظَرْتُ) (١٣٦) : الْإِنْظَارُ (١٣٧) وَالنَّظْرَةُ ، وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا

(١٢٧) في الأصل : ومعناه تذكر وانشراح . وما أثبتناه من الظاءات في القرآن
الكريم ٢٧ .

(١٢٨) النساء ٦٣ .

(١٢٩) النساء ٣٤ . وفي الأصل : فعظوهم . وهو وهم .

(١٣٠) البقرة ٢٣٢ .

(١٣١) الأعراف ١٦٤ .

(١٣٢) الشعراء ١٣٦ .

(١٣٣) وقعت مادة (وعظ) ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة وعشرين
موضعاً .

(١٣٤) آية ٩١ .

(١٣٥) ينظر : تفسير الطبري ٦٤/١٤ ، والمحزر الوجيز ١٠/١٥١ ، وتفسير

القرطبي ٥٨/١٠ .

(١٣٦) في الأصل : انتظرت ، في النظم والشرح . والصواب ما أثبتنا .

(١٣٧) في الأصل : الانتظار . والصواب ما أثبتنا .

مرفوع أبداً حيث وَقَعَ ، ومعناه : التأخير والإمهال ، نحو ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْثَرُونَ ﴾ (١٣٨) ، ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (١٣٩) ، ﴿ فَانظُرْهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ (١٤٠) .

(لَفْظِي) : يريد قوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ﴾ (١٤١)

لا غير .

(كي يَنْقُظَ) : يريد [أ٥٤] في ضدّ النوم : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ (١٤٢) ، لا غير .

فَأَمَّا قوله تعالى : ﴿ وَقَبَضْنَا ﴾ (١٤٣) فهو مسقوط ، لأنّ معناه :

يَسْرُنَا .

(فَظَّهُ) : يريد قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ (١٤٤)

لا غير . ومعناه : الفظاظة (١٤٥) والغلظة .

فَأَمَّا قوله : ﴿ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٤٦) ، و ﴿ حتى

(١٣٨) الحجر ٣٦ . وفي الأصل : أنظري . وأثبتنا ما في المصحف الشريف .

(١٣٩) الحجر ٣٧ .

(١٤٠) البقرة ٢٨٠ .

(١٤١) ق ١٨ .

(١٤٢) الكهف ١٨ .

(١٤٣) فصلت ٢٥ .

(١٤٤) آل عمران ١٥٩ .

(١٤٥) في الأصل : الفضاضة ، بالضاد . وهو وَهْمٌ . وينظر : حصر حرف الظاء

(١٤٦) آل عمران ١٥٩ .

يَنْفَضُّوا ﴿١٤٧﴾ ، ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ (١٤٨) ، فليس من الغِلْظَةِ ، معناه :
التفريق ، يعني : لا فترقوا . والأول هو الرجل المتحدد في موته المتغلظ في
شخصيته (١٤٩) .

(وَحَظَرْتُ) (١٥٠) : يريد بها الحَظْر الذي هو مرفوع معناه : المنع ،
وهما موضعان : في سبحان (١٥١) : ﴿وَمَا كَانَ عِطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ، وفي
سورة القمر (١٥٢) : ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ ، لا غير .

فَأَمَّا الحَضُور الذي هو ضدُّ الغيبة فهو مسقوطٌ . حيثُ وَقَعَ ،
نحو : ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ (١٥٣) ، و ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضِرٌ﴾ (١٥٤) ، حتى
إذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ ﴿(١٥٥)﴾ ، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ (١٥٦) ،
وما أشبهه (١٥٧) .

. (١٤٧) المنافقون ٧ .

. (١٤٨) الجمعة ١١ .

(١٤٩) ينظر في اللفظ واللفظ : الفرق بين الحروف الخمسة ١٥٥ ، وزينة الفضلاء
٩٨ ، وظاءات القرآن ٢٦٩ ، والاعتماد ٤٩ . [والعبارة الأخيرة بحاجة إلى تحرير/المجلة] .

(١٥٠) في الأصل : وحضرت ، بالضاد ، وهو سهو .

(١٥١) آية ٢٠ . وهي سورة الإسراء في المصحف الشريف .

(١٥٢) آية ٣١ .

(١٥٣) الروم ١٦ ، ومواضع أخر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

. (٢٠٦) .

(١٥٤) القمر ٢٨ .

(١٥٥) النساء ١٨ .

(١٥٦) الأحقاف ٢٩ .

(١٥٧) ينظر في حضر وحظر : الفرق بين الضاد والطاء ٩ ، زينة الفضلاء ١٠٠ ،

الاعتماد ٢٩ .

(ظَهَرَ) : الظَّهْرُ من الإنسان وغيره مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ (١٥٨) ، و ﴿ عَلَى ظَهْرِهِ ﴾ (١٥٩) ، ﴿ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ﴾ (١٦٠) و ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ (١٦١) ، و ﴿ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ (١٦٢) .

(ظَهَّرَها) : التَّظَاهَرُ والمُظَاهَرَةُ وما تَصَرَّفَ منها ، مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، معناه : التعاون ، > نحو : ﴿ تَنظَّاهِرُونَ ﴾ (١٦٣) عليهم ﴿ (١٦٤) ، و ﴿ سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ (١٦٥) ، و ﴿ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيْرًا ﴾ (١٦٦) ، و ﴿ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ (١٦٧) ، ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ (١٦٨) ، و ﴿ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ ﴾ (١٦٩) .

(من ظُفِّرْنَا) : يريد في سورة الأنعام (١٧٠) : ﴿ كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ ،

لا غير . انتهى .

كامل بحمد الله وحسن عونه .

(١٥٨) فاطر ٤٥ .

(١٥٩) الشورى ٣٣ .

(١٦٠) هود ٩٢ .

(١٦١) الأنعام ٣١ .

(١٦٢) الأنعام ١٣٨ .

(١٦٣) يقتضيتها السياق .

(١٦٤) البقرة ٨٥ .

(١٦٥) القصص ٤٨ .

(١٦٦) الفرقان ٥٥ .

(١٦٧) التوبة ٤ .

(١٦٨) الكهف ٢٠ .

(١٦٩) الأحزاب ٢٦ . وقد وقعت مادة (ظهر) بمشتقاتها في القرآن الكريم في

تسعة وخمسين موضعاً .

(١٧٠) آية ١٤٦ .

تَبَّتْ المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ

- المصحف الشريف

(أ)

- أبو عمرو الداني الأندلسي ورسائله في الظاءات القرآنية : د. محسن جمال الدين ، بغداد ١٩٧٠ .
- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : القلانسي ، محمد بن الحسين ، ت ٥٢١ هـ ، تح عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ١٩٨٤ .
- الإرصاء في شرح المرصاد الفارق بين الظاء والضاد : الجعيري ، إبراهيم بن عمر ، ت ٧٣٢ هـ ، مخطوطة رقمها ١/١٠٢٠٧ في خزانة المتحف العراقي .
- الأضداد : الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦ هـ ، تح هفنز (نشر في كتاب : ثلاثة كتب في الأضداد) ، بيروت ١٩١٢ .
- الأضداد : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨ هـ ، تح أبي الفضل ، الكويت ١٩٦٠ .
- الأضداد : التوزي ، عبد الله بن محمد ، ت ٢٣٣ هـ ، تح د. محمد حسين آل ياسين ، بيروت ١٩٨٣ .
- الأضداد : قطرب ، محمد بن المستنير ، ت بعد ٢١٠ هـ ، تح د. حنا حداد ، الرياض ١٩٨٤ .
- الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي ، ت ٣٥١ هـ ، تح د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ .
- الاعتدال في نظائر الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، محمد ، ت ٦٧٢ هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٤ .
- الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء : أبو عبد الله الداني ، محمد بن أحمد بن سعود ، ت بعد سنة ٤٧٠ هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٧ .
- الاقتاع في القراءات السبع : ابن الباذش ، أحمد بن علي ، ت ٥٤٠ هـ ، تح د. عبد المجيد قطامش ، دمشق ١٤٠٣ هـ .

(ت)

- تاج العروس : الزبيدي ، محمد مرتضى ، ت ١٢٠٥ هـ ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ .
- تشقيف اللسان : ابن مكي الصقلي ، عمر بن خلف ، ت ٥٠١ هـ ،
تح د. عبد العزيز مطر ، القاهرة ١٩٦٦ .
- تفسير الطبري (جامع البيان) : الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ ،
الباي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي ، محمد بن أحمد ،
ت ٦٧١ هـ ، القاهرة ١٩٦٧ .
- التمهيد في علم التجويد : ابن الجزري ، محمد بن محمد ، ت ٨٣٣ هـ ،
تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ .
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله
المبين : الصفاقسي ، علي بن محمد النوري ، ت ١١١٨ هـ ، تح محمد الشاذلي النيفر ،
تونس ١٩٧٤ .
- التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد ، ت ٤٤٤ هـ ،
تح أوتو برتزل ، استانبول ١٩٣٠ .

(ح)

- حجة القراءات : أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ق ٤ هـ ،
تح سعيد الأفغاني ، منشورات جامعة بنغازي ١٩٧٤ .
- حصر حرف الظاء : الخولاني ، أبو الحسن علي بن محمد المقرئ ، ت بعد
٤٨٥ هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن (نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤١ ج ٢) ،
بغداد ١٩٩٠ .

(ر)

- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : القيسي ، مكي بن أبي طالب ،
ت ٤٣٧ هـ ، تح د. أحمد حسن فرحات ، عمان ١٩٨٤ .

(ز)

– زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء : الأنباري ، أبو البركات
عبد الرحمن بن محمد ، ت ٥٧٧ هـ ، تح د. رمضان عبد التواب ، بيروت ١٩٧١ .

(س)

– السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ، ت ٣٢٤ هـ ،
تح د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .
– سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت ٣٩٢ هـ ، تح د. حسن
هنداوي ، دمشق ١٩٨٥ .

(ظ)

– الظاءات في القرآن الكريم : أبو عمرو الداني ، تح د. علي حسين البواب ،
الرياض ١٩٨٥ .
– ظاءات القرآن : السرقوسي ، سليمان بن أبي القاسم ، ت نحو ٥٩١ هـ ،
تح د. حاتم صالح الضامن (مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤٠ ج ١) ، بغداد ١٩٨٩ .

(غ)

– غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري ، تح برجستراسر وبرتزل ، القاهرة.
١٩٣٢ – ١٩٣٥ .

(ف)

– الفرق بين الحروف الخمسة : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد ،
ت ٥٢١ هـ ، تح عبد الله الناصير ، دمشق ١٩٨٤ .
– الفرق بين الضاد والظاء : الصاحب بن عباد ، ت ٣٨٥ هـ ، تح الشيخ محمد
حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٥٨ .
– فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : الرياض
١٩٨٢ .

(ك)

– الكتاب : سيويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠ هـ ، بولاق ١٣١٦ –
١٣١٧ هـ .

– الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : القيسي ، مكّي بن أبي طالب ، تح د. محي الدين رمضان ، دمشق ١٩٧٤ .

(ل)

– لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١ هـ ، دار صادر ، بيروت . ١٩٦٨ .

– لطائف الإشارات لفنون القراءات : القسطلاني ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت ٩٢٣ هـ ، تح الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ١٩٧٢ .

(م)

– المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران الأصهباني ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، ت ٣٨١ هـ ، تح سبيع حمزة حاكمي دمشق ١٩٨٦ .

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية عبد الحق ، ت ٥٤١ هـ ، المغرب ١٩٧٥ – ١٩٩١ .

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي دار مطابع الشعب ، مصر .

– معرفة الضاد والظاء : الصقلي ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي ، ت ؟ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٥ .

– منظومات أصول الظاءات القرآنية : د. طه محسن ، (مجلة معهد المخطوطات م ٣٠ ج ٢) ، الكويت ١٩٨٦ .

(ن)

– النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، تح د. محمد سالم محيسن ، القاهرة .

النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية

في

دراسات المستشرقين الألمان

الدكتور موسى رابعة

مقدمة :

حظي الشعر الجاهلي بدراسات المستشرقين الألمان منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وقد أظهرت هذه الدراسات اهتمامات المستشرقين بتحقيق النصوص ونشرها أو ترجمتها ، هذا بالإضافة إلى اهتمامهم بلغة الشعر الجاهلي واتخاذها مادة مهمة للتعرف على حياة العرب في جوانبها المختلفة .

ولكن دراسة القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري قائم بذاته لم تلق من عنايتهم شيئاً كثيراً في وقت مبكر ، وقد حاولت دراسات عدة أن تقف عند القصيدة الجاهلية منطلقة في ذلك من زوايا نظر مختلفة . وليس هناك من شك في أن أسباباً معينة حالت دون النظر إلى القصيدة الجاهلية نظرة متكاملة ، وأول هذه الأسباب قضية النحل التي شغلت المستشرقين منذ وقت مبكر ، وجعلتهم يشكون في صحة هذا الشعر ، وذلك مثل الدراسات التي قام بها نولدكه ومرغليوث . أما السيب الثاني فهو متعلق برؤية المستشرقين ، وهي رؤية تقوم على أن الشعر العربي لا يتناسب مع

الذوق الأوروبي^(١) . وأما السبب الثالث فهو أن نظرة المستشرقين إلى القصيدة الجاهلية كانت تفترض أن القصيدة الجاهلية مفككة وغير مترابطة تجمع موضوعات لا رابط بينها ، وكان الذي بلور مثل هذا التصور للشعر العربي بصورة عامة هو المستشرق تاديوسيز كوفاليسكي Tadeusz Kowalski الذي اتهم الشعر العربي بالتفكك والتجزؤ^(٢) .

إن هذه الأسباب مجتمعة كانت كفيلة بأن تصرف نظر المستشرقين عن معاينة النص على أنه بناء متكامل ، ولذلك جاءت دراساتهم للقصيدة الجاهلية دراسة تهتم ببعض الأجزاء دون أن تدرس العلاقات القائمة بين أجزاء القصيدة وتنامي هذا العلاقة وتفاعلها ، مثال ذلك ما فعلت اليزه لبشتنشتيتر في دراستها عن النسيب في القصيدة الجاهلية .

وقد ظلت النظرة الجزئية إلى النص الشعري الجاهلي هي الغالبة على دراسات المستشرقين الألمان لهذا الشعر حتى مطلع السبعينيات من هذا القرن ، وربما تعد ريناته يعقوبي الرائدة في هذا المجال ، إذ إنها أخذت على عاتقها دراسة شعرية القصيدة العربية الجاهلية . ومنذ أن درست يعقوبي القصيدة دراسة متكاملة احتل الشعر الجاهلي أهمية كبيرة في نظر

(١) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen

Dichtung . Band I. Die altarabische Dichtung.

Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt.1987.p4.

وربما يكون وراء مثل هذه الرؤية إحساس بتفوق الذات الأوروبية العام الذي لم يقتصر على الأدب فقط وإنما امتد ليشمل جميع أصناف المعارف الإنسانية الأخرى . حول هذه القضية انظر : ادوارد سعيد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤ ، ص ٤٢ .

(٢) Wolfhart Heinrichs: Arabische Dichtung und griechische

Poetik Beirut. 1969.P.20 – 26

المستشرقين الذين بدؤوا ينظرون إلى القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري (Dichtung)^(٣) والمقصود بذلك أن المستشرقين أخذوا ينظرون إلى القصيدة من حيث بناؤها المتكامل ، ويعترفون بها على أنها شعر خالص ، وذلك بخلاف نظرهم الأولية إلى هذه القصيدة التي كانت معيناً تستقى منه المعلومات التاريخية والنحوية واللغوية وغير ذلك ، ولذلك لم يختلفوا احتفالاً كبيراً بفنية القصيدة في تلك الدراسات المبكرة .

وقد كان لا بد من هذه المقدمة المختصرة عن كيفية تناول المستشرقين للقصيدة الجاهلية ، وإن كان هذا البحث يتأسس على مناقشة آراء المستشرقين حول مقدمة القصيدة . وسيحاول هذا البحث أن يناقش الآراء التي انطلق منها المستشرقون في تفسير ظاهرة النسيب . ومن خلال النظر إلى الدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع يمكن تقسيم دراساتهم للنسيب إلى قسمين : ١ - أصل النسيب

٢ - النسيب وبناء القصيدة

أولاً : أصل النسيب :

إن أول محاولة لدراسة النسيب قام بها جورج ياكوب في دراسته عن حياة العرب قبل الإسلام *Altarabisches Beduinenleben* واعتقد ياكوب أن النسيب نشأ عن أغاني الحداء الحزينة^(٤) وكان ياكوب قد ساق هذا الرأي دون أن يقدم أية مسوغات ، فإذا كان النسيب قد نشأ عن

Wolfhart Heinrichs: Die altarabische Qaside als Dichtkunst. (٣)

Der Islam. 51.1974.p.118.

Georg Jacob: altarabisches beduinenleben. Hildesheim. (٤)

1967.p.206.

الحداء فإن أجزاء القصيدة الأخرى نتجت عنه ، لأن هناك نظريات تقول بأن الشعر العربي نشأ عن الحداء^(٥) . يبدو أن مثل هذا الظن يتعلق تعلقاً مباشراً بقضية نشأة الشعر العربي التي لا تقوم على أسس ثابتة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل راح ياكوب يعقد مقارنات بين النسيب ونشيد الأنشاد^(٦) . وحاول أن يوجد بعض نقاط الالتقاء بين الاثنين من جانب المحتوى .

وقد ارتأت اليزه لشتنشتير أن النسيب يمكن أن يكون موازياً لما جاء في نشيد الانشاد ، ووسعت دائرة الشواهد التي جاء بها ياكوب ، إذ إنها اعتقدت أن النسيب يظهر تراثاً سامياً قديماً ، وبرز هذا من خلال موازنته مع نشيد الإنشاد^(٧) ، ولم تقف لشتنشتير عند هذا الحد بل ذهبت أبعد من ذلك عندما قالت إن النسيب يمكن أن يقارن بشعر الحب المصري القديم ، إذ إن النسيب يظهر تشاركاً مع الآداب الشرقية القديمة ، وقدمت على ذلك شواهد مشتركة من النسيب ومن شعر الحب المصري القديم^(٨) .

إن هذه الآراء مجتمعة لا تقوم على أرضية صلبة ؛ لأن الأمر يتعلق تعلقاً مباشراً بموضوع الحب وهو موضوع إنساني وربما تكون هذه الثقافات قد التقت في رسم صورة مثالية للمرأة بشكل عام^(٩) . هذا مع أن للنسيب

(٥) د . يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب . القاهرة ،

١٩٨١ ، ص ٣٩ - ٤٩ .

(٦) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen (٦)

Dichtung. Bd.I.p.84.

(٧) Ilse lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen Qaside. (٧)

Islamica.5.1932.p.91.

Ibid p.94. (٨)

= Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen (٩)

في مقدمة القصيدة الجاهلية خصوصية تميزه عن غيره من ألوان الغزل . إذ إن النسيب هو جزء من القصيدة الجاهلية ولم يكن قصيدة قائمة بذاتها ، ولذلك يجب أن ينظر إليه متصلاً بالقصيدة ، وتنبع أهميته من كونه يشكل افتتاحية القصيدة .

فكيف يمكن أن يفسر المرء سر افتتاح القصيدة بالنسيب دون غيره ، وهذا الأمر قاد بعض المستشرقين إلى تفسيرات جديدة ، لكن المستشرقين الألمان وقفوا من هذه التفسيرات موقفاً سلبياً ورفضوها لأنها حاولت أن تربط النسيب بشعائر دينية مثال ما فعل غويدي Guidi الذي قال : « إن النسيب ذو وظيفة مشابهة لدعاء الآلهة كالرابسودون الموجود في مقدمة الملحمة اليونانية »^(١٠) .

ولكن هذه المقارنة لم تلق قبولاً من المستشرقين الألمان ، فقد رفض بلوخ هذا الرأي رفضاً قاطعاً وقال : « إن دعاء الآلهة في مقدمة الملحمة يتعلق بدافع خارجي ، أما النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية فإنه شعر وحسب لأنه لم يرتبط بأية أجواء طقوسية »^(١١) .

وليس هناك من شك في أن رأي غويدي يكتسب أهمية في أنه أول محاولة لتفسير النسيب تفسيراً دينياً ، وعلى الرغم من أهمية هذا الرأي والآراء المشابهة فإنها لا تستند على قواعد ثابتة ، على الرغم من أن النسيب يشكل طقساً من طقوس القصيدة الجاهلية ، وقد ذهب مثل هذا المذهب داود سلوم الذي يقول : « يبدو أن الشعر الغزلي الذي يرد في أول القصيدة

dichtung.Bd.I.P.48.

Ibid P79.

Alfred Bloch: Qaside. Asiatische

studien.2.1948.P.107 – 108.

(١٠)

(١١)

الجاهلية إنما هو بقايا للتراث الملحمي في ملاحم ما قبل التاريخ عند الساميين ، حيث كان الشاعر يقدم صلاته للآلهة قبل بداية القصيدة ثم حدث تدهور وطفرة فتحوّلت البداية القديمة إلى غزل بالمرأة»^(١٢) .

ولكن مثل هذه الآراء تنقصها البراهين والأدلة – على الرغم من أهميتها – إذ إن النسيب ليس جزءاً قائماً بذاته وليس افتتاحية منبئة عن جسد القصيدة ككل ، إذ لو كان الأمر على هذه الشاكلة لتساوت تفسيرات المقدمات الطللية ، ولا يعني هذا تهميش المقدمة وإنما يعني أن المقدمة ذات مساس بتجربة الشاعر ورؤيته .

وقد ظنت ريناته يعقوبي « أن النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية كان في الأصل قصيدة غزلية مستقلة قائمة بذاتها *Einselbstandiges Liebesgedicht* تتألف من شكوى الحب ومدح جمال المرأة»^(١٣) . إن هذه المقولة لا يمكن أن تؤخذ على أنها مسلمة من المسلمات لأن الأمر هنا يتعلق بالظن مما يجعل هذا الرأي غير نهائي ، لأن الرحلة أو المديح أو الغزل يمكن أن يكون قصيدة قائمة بذاتها قبل أن تندمج مع القصيدة ككل .

وإن هذا الرأي لم يستطع أن يقدم مثلاً واحداً على أن النسيب كان قد وجد منعزلاً عن القصيدة بكاملها ، ولكن هذا الرأي انبثق عن نظرة يعقوبي القائلة « بأن موضوعات القصيدة الجاهلية لم تكن في بداية الأمر

(١٢) د . داود سلوم : النقد العربي القديم بين الاستقرار والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٧٠ ص ٢٣٧ الهامش . وانظر رأياً مشابهاً للدكتور عادل جاسم البياتي : رمز المرأة في أدب أيام العرب ، مجلة آفاق عربية العدد ١٢ آب ١٩٧٧ ص ٧ .

(١٣) Renate jacobi: studien Zur poetik der altarabischen Qaside.

Wiesbaden.1971.b.106

مرتبطاً بعضها ببعض إلا من خلال الوزن والقافية ، وإنما جاءت الروابط بين هذه الموضوعات في مرحلة لاحقة «(١٤) .

تبدو هذه الآراء حول أصل النسيب لها أهميتها لو أنها استطاعت أن تقدم أدلة وبراهين ملموسة ، لكن هذه الآراء لا تقوم إلا على ظنون ، تحاول تارة أن تهمش دور النسيب في القصيدة وتجعله دوراً ثانوياً ، وتارة تحاول أن تعطي النسيب أهمية كبيرة من خلال ربطه بالجانب الديني . إن أغلب هذه الآراء تكشف عن سطحية النظرة وجعل النسيب أمراً ثانوياً في كثير من الأحيان ، وهذا يقود إلى دراسة وظيفة النسيب في بناء القصيدة الجاهلية .

ثانياً : النسيب وبناء القصيدة :

كانت دراسات المستشرقين للنسيب متنوعة ومختلفة ، وذلك من جانب علاقة النسيب بأجزاء القصيدة الأخرى . وقد جاءت دراسة لشتنشتير مفصلة ومسببة ، لكنها لم تعمل على الكشف عن علاقة النسيب بالنص الشعري ككل . فقد عالجت المؤلفة النسيب بأسهاب واستقصاء لكنها عزلته عن ارتباطه بالنص . وقد رأت أن النسيب يتكون من ثلاثة أجزاء : الوقوف على الأطلال ، ورحلة المرأة ، والخيال (الطيف) . ثم درست محتوى كل جزء من هذه الأجزاء^(١٥) . مع أنها لم تلتفت إلى قضية العمر والشكوى من الزمن التي تتكرر في كثير من نسيب القصيدة الجاهلية .

وحاولت المؤلفة أن تدرس كيفية ابتداء كل جزء من هذه الأجزاء

Ibid P.5 – 6.

(١٤)

Ilse Lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen

(١٥)

Qaside:P.22

من الناحية الأسلوبية ، ووجدت أن الصور والتشبيهات والكنائيات تتكرر في كل جزء ، وإن لكل جزء أسلوباً يفتح به^(١٦) . ولكن المؤلفة ترى أن اللحظة الجنسية تؤدي دوراً مهماً في النسيب^(١٧) . ولكنها لم تشر إلى ارتباط النسيب مع أجزاء القصيدة ، ولذلك جاءت دراستها وصفية ومنفصلة عن الجو العام للقصيدة .

ومع ريشتر Richter بدأ التوجه نحو نظرة عامة إلى القصيدة الجاهلية ، وذلك في مقالته Zur Entstehungsgeschichte der Altarabischen Qaside « حول قضية نشأة القصيدة العربية الجاهلية » . وأول شيء فعله ريشتر أنه لم يقتنع بما قاله ابن قتيبة عن بناء القصيدة ، فهو يرى^(١٨) - كما رأى نولدكه قبله - أن شكل القصيدة عند ابن قتيبة لم يكن نهائياً ، وذلك لأن خاتمة القصيدة تكون دائماً مختلفة ، كما أن هناك أجزاء تختفي نهائياً من القصيدة مثل الرحلة ، وهو يستند في ذلك على الملاحظات وما فيها من تفاوت البناء ، فهي قصائد مشهورة لكنها لم تتبع نهج ابن قتيبة^(١٩) .

ينطلق ريشتر في فهمه للنسيب والقصيدة الجاهلية من منظور أساس يقيم عليه دراسته ، وهو « أن القصيدة الجاهلية لم تكن بناء تعسفاً في

Ibid P.60. (١٦)

Ibid P.78. (١٧)

Gustav Richter: zur Entstehungsgeschichte der altarabischen (١٨)

Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländischen

Gesellschaft.92.1938.P.552.

Theodor Noldeke: Beiträge Zur Kenntnis der poesie der (١٩)

altenaraber Hannover 1864.P.19

موضوعاتها ، وإنما نبعت موتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) من فكرة مشتركة «(٢٠)» يعني هذا الرأي أن ريشتر يحاول أن يقيم فهمه لموضوعات القصيدة المتنوعة على أنها انبثاق عن موضوع واحد داخل القصيدة يعده هو الأساس يقول : « إن النسيب هو مركز القصيدة الأكثر فاعلية فيها ؛ ولذلك فليس هناك من شك في أن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصيدة الأخرى قد انبثقت عن النسيب »(٢١) .

وقد حاول ريشتر أن يثبت رأيه هذا من خلال اعتماده على ما كتبه هلموت ريتز Helmut Ritter عن طبيعة الشعر العربي الذي يعتمد على الوصف المسهب للأشياء التي يمتلكها الشاعر مثل المرأة والناقة والسلاح . وإن الاهتمام بمثل هذا الوصف يساعد على إبراز مجد الشاعر ومدحه لذاته ، ولذلك فإن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تتعلق بذاته تعلقاً مباشراً ، فالشاعر يريد من خلال القصيدة أن يفخر بنفسه وأفعاله وممتلكاته ، ويعني هذا أن مدح الذات عنصر رئيس تقوم عليه القصيدة ، ومعنى ذلك أن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تحمل نزعة دعائية كما في معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة(٢٢) .

وهذا يعني أن النسيب يصبح نوعاً من الفخر بالذات ؛ لأنه يتضمن استعراضاً يقوم به الشاعر أمام محبوبته أو زوجته التي يخاطبها ، فالافتخار بالذات أمام المرأة إنما هو محاولة الشاعر لامتلاكها أو إعادة امتلاكها بعد أن رحلت ، ويقدم ريشتر أدلة على ذلك من معلقة لبب و معلقة عنتره ، إذ يرى

Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der (٢٠)

altarabischen Qaside.P.555

Ibid P.561. (٢١)

Ibid P.560. (٢٢)

أن قول لبيد هو استعراض دعائي من الشاعر أمام المرأة :
 أولم تكسني تدري نواراً بأنني وصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلِ جَدَّامُهَا
 تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أو يعلِّقُ بعضَ النفوسِ حِمَامُهَا^(٢٣)
 ويقول إن هذه الأبيات تتعلق بذات الشاعر تعلقاً مباشراً وإنها
 تقوده إلى مدح الذات والافتخار بها .

إن حديث الشاعر إلى نوار في معلقة لبيد يكشف عن فخره بذاته
 وذلك بتضخيمه للأنا من خلال استخدامه لصيغ المبالغة « وصال ،
 جذام ، تراك » ، لكن هذا الحديث إلى نوار لا يمكن أن يفسر النسب على
 أنه فخر بالذات ، والدليل على ذلك أن نسب معلقة لبيد كان نسبياً قائماً
 ومظلماً لا يشي إلا بالخراب والدمار ، ولذلك تمنى الشاعر الإحياء لهذه
 الأطلال . وكان الشاعر منتبهاً عن دائرة المكان ودائرة المرأة ، وهذا ما جعله
 يحس أنه يقف في مواجهة عالم هش لا تتوافر فيه الطمأنينة ، ولا يعكس أي
 حس من أحاسيس الفخر بالذات ، بل إنه يشعر بالانطفاء والهامشية . أما
 عودة الشاعر إلى خطاب نوار في الأبيات السابقة فإنه مدخل إلى الخلاص
 من عالم الموت والقفور وإحساس بقيمة الذات من خلال سعيها إلى
 الاندماج مع القبيلة التي تهبط للشاعر شيئاً من الطمأنينة التي كان يفتقدها
 في مقدمة القصيدة .

وخلاصة رأي ريشتر « أن الموضوعات كلها التي نجدها في القصيدة
 المثالية تتضح معالمها من خلال الموتيقات (أي الموضوعات الجزئية
 الأساسية) الدعائية للنسب ، وذلك من خلال عودة ظهورها في

(٢٣) ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ،

القصيدة»^(٢٤). كما أن ريشتر ذهب أبعد من ذلك وعدّ القصيدة الجاهلية دعاية ، حتى إنه عد البكاء على الحبيبة شكلاً من أشكال الدعاية^(٢٥).

وفي ضوء هذا التصور فإن النسيب لم يكن عبارة عن مقدمة فقط ، وإنما هو مركز القصيدة الذي انبثقت منه الأغراض الأساسية الأخرى ، ولكن تفسير ريشتر للنسيب لا يخلو من بعض الهنات ، وأول هذه الهنات أن النسيب يوجد في قصائد ذات موضوعات لا تتعلق بمدح الذات أو الفخر بها ، إذ إنها ربما تكون مديحاً لشخص آخر أو عتاباً أو هجاء أو تحذيراً ، ولذلك فإن مدح الذات يُختفي من هذه القصائد اختفاء تاماً ، فكيف يمكن أن يفسر نسيب معلقة زهير المدحية ومعلقة النابغة الذبياني العتابية ؟ ومن هنا فإن النسيب إذا صلح ارتباطه بالفخر بالذات فإنه يصطدم بنماذج شعرية جاهلية تخلو من هذا الموضوع بشكل مباشر ، كما أن هناك مقطوعات شعرية يفتخر بها الشاعر بنفسه دون أن يفتخر بها بالنسيب ، مثال ذلك الشعر الذي كان يقوله الشعراء وقت الحرب أو شعر الرجز . فكيف يمكن أن يفسر المرء مثل هذا المقطوعات . وعلى هذا الأساس تسقط مقولة ريشتر من أن القصيدة ما هي إلا نسيب موسع .

إن النسيب لا يمكن أن يكون نوعاً من أنواع الدعاية ، لأنه يحتوي على ذكريات موجعة وحزينة وإن هذا ظاهر بشكل بارز من خلال الحديث عن الأطلال وفراق الحبيبة . وهما يكشفان عن الوجد الإنساني الذي تصبح فيه ذات الشاعر محطمة ، ولكن الفخر بالذات الذي يأتي في القصيدة

Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der
altarabischen Qaside.P.563.

(٢٤)

Ibid P.568.

(٢٥)

يمكن أن يهدف إلى سعي الشاعر إلى حفظ الذات وإعادة توازنها أمام الخلدلة أو الهزة التي يسببها إقفار الديار وانفصال المحبوبة عنه .

ولو كانت نظرية ريشتر مقتصرة على القصائد الثنائية التي تتألف من النسيب ومدح الذات لأمكن أن يقوم رابط بين النسيب ومدح الذات ، إلا أن الشواهد التي قدمها ريشتر لم تستطع أن تبرز الترابط العميق بين النسيب ومدح الذات ، فهو لم يكن موفقاً في اختياره معلقة عنتره شاهداً على ذلك ، لأن الرحلة تفصل بين النسيب والفخر بالذات . ولكن لا يعدم المرء أمثلة من الشعر الجاهلي يجد فيها ترابطاً واضحاً بين النسيب والفخر بالذات ، مثال ذلك قول خفاف بن ندبة :

طَرَقَتْ أَسْمَاءُ الرَّحَالَ وَدُونَنَا	مَنْ فَيْدٍ غَيْقَةَ سَاعِدٍ فَكَيْتِبُ
فَالطُّوْدُ فَاأَلْمَلِكَاتُ أَصْبَحَ دُونَهَا	فَفِرَاعُ قُدْسٍ فَعَمَّقَهَا فَحُسُوبُ
فَلَيْنَ صَرْمَتِ الْحَبْلِ يَا ابْنَةَ مَالِكِ	وَالرَّأْيُ فِيهِ مُخْطِئٌ وَمُصِيبُ
فَتَعَلَّمِي أَنِّي امْرُؤٌ ذُو مِرَّةٍ	فِيَا أَلَمَّ مِنَ الْخَطُوبِ صَلِيبُ
أَدْعُ الدَّنَاءَةَ لَا الْأَيْسُ أَهْلَهَا	وَلَدَيْيَ مِنْ كَيْسِ الزَّمَانِ نَصِيبُ
وَمُعَبَّدِ بَيْضِ الْقَطَا بِجُنُوبِهِ	وَمِنَ النَّوَاعِجِ رِمَّةٌ وَصَلِيبُ
نَفَّسْتُ آمِنَ طَيْرِهِ وَسِبَاعِهِ	بِغَمَامِ مَجْدَامِ الرِّوَاكِ نَجُوبُ
أَجْدِي كَأَنَّ الرَّحْلَ فَوْقَ مُقْلَصٍ	عَارِي النَّوَاهِقِ لِأَحَى التَّقْرِيبُ
عَدَلُ النَّهَاقِ لِسَانَهُ فَكَأَنَّهُ	لَمَّا تَحَمَّطَ لِلشَّحَاجِ نَقِيبُ
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ يَدْفَعُ مَنَكِبِي

(٢٦)

(٢٦) الأصمعي : الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٥ . د . ت ص ٢٧ - ٢٨ . فيد وغيقة وساعد وكتيب والطود وقدس وعمق : أسماء أماكن ، مرة : قرعة ، الكيس : العقل . المعبد : الطريق الممهّد .
النواعج : الإبل البيض . الصايب : ودك المظالم ، البغام : حنين الإبل ، مجدام الرواح : =

تكشف هذه القصيدة عن أن هناك ترابطاً وثيقاً بين مقدمة القصيدة ، والفخر بالذات وهنا يمكن أن يستقيم لريتشر رأيه الذي يتأسس على أن القصيدة الجاهلية ما هي إلا قصيدة دعائية استعراضية أمام المحبوبة التي يتعلق بها الشاعر . ومثال آخر على ارتباط النسيب بالفخر بالذات قول ربيعة ابن مقروم :

أَلَا صَرَمْتُ مَوَدَّتْكَ الرُّوَاغُ	وَجَدْتُ البَيْنُ مِنْهَا وَالوَدَاعُ
وَقَالَتْ : إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ	فَلَجَّ بِهَا ، وَلَمْ تَرِعْ ، أَمْتِنَاعُ
فإِذَا أَمْسِرَ قَدْ رَاجَعْتُ جِلْمِي	وَلَاخَ عَلِيٍّ مِنْ شَيْبِ قِنَاعُ
فَقَدْ أَصْلُ الخَلِيلِ وَإِنْ نَأِي	وَعَبُّ عَدَاوَتِي كَلَأُ جُدَاعُ
وَأَحْفَظُ بِالمَغِيْبَةِ أَمْرَ قَوْمِي	فَلَا يُسْدِي لَدَيَّ وَلَا يُضَاعُ
وَيَسْعُدُ بِي الضَّرِيكَ إِذَا اعْتَرَانِي	وَيَكْرَهُ جَانِبِي البَطْلُ الشُّجَاعُ
وَيَسْأَلِي الدَّمَّ لِي أَنِّي كَرِيمٌ	وَإِنَّ مَحَلِّي القَبْسُ اليَفَاعُ
وَأَنِّي فِي بَنِي بَكْرِ بْنِ سَعْدٍ	إِذَا تَمَّتْ زَوَافِرُهُمْ أَطَاعُ
وَمَلُومٍ جَوَانِبُهَا رَدَاحُ	تُزَجِّي بِالرَّمَاخِ ، لَهَا شُعَاعُ
شَهِدْتُ طِرَادَهَا فَصَبِرْتُ فِيهَا	إِذَا مَا هَلَّلَ التَّكْسُ اليِرَاعُ
وَحَضْمٍ يَرْكَبُ العَوْصَاءَ طَاطِ	عَنِ المَثَلَى ، غُنَامَاهُ القِدَاعُ
.....	(٢٧)

= سريعة السير عند الرواح . الخبوب : وصف من الخبب وهو السرعة ، الأجد : القوية ، المقلص : الطويل القوائم . الناهقان : عظامان شاخصان في وجه ذي الحافر ، لاجه : غيره ، تخمط : هدر في حدة وغضب ، الشحاج : رفع الصوت ، النقيب : العريف على القوم .

(٢٧) المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٦ ، د . ت ص ١٨٦ - ١٨٧ الرواع : اسم امرأة . لَجَّ : تَمَادَى . غَبَّ عَدَاوَتِي : عَاقَبْتَهَا . كَلَأُ جُدَاعُ : كَلَأُ وَخِيم . لَا يُسْدِي : لَا يَهْمِلُ . =

إن هذه الشواهد يمكنها أن تسوغ نظرية ريشتر لكن المشكلة التي وقع فيها هي مشكلة التعميم ، فهو لم يتحدث عن الاتصال بين النسيب والفخر الذاتي في القصائد الثنائية في تركيبها ، وإنما عمم ذلك على قصائد الشعر الجاهلي ، دون أن يراعي اختلاف الغرض الرئيس في القصيدة ، ودون أن يلتفت إلى وضع الشاعر النفسي الحزين الذي تعكسه لوحة النسيب في القصيدة ، فالنسيب لا يمكن أن يكون ذا نبرة دعائية أو لهجة استعراضية دائماً .

أما الفرد بلوخ فقد رفض تفسير ريشتر للنسيب^(٢٨) وعمد إلى تصنيف الشعر الجاهلي إلى عدة أقسام أساسية وعلى النحو التالي :

- ١ - شعر الرجز المصاحب للعمل مثل أغاني العمل والحرب وترقيص الأطفال ، وإن هذه الأغاني تصور الأصل القديم للشعر العربي .
- ٢ - شعر الرسالة : وفي هذا اللون من الشعر يتحدث الشاعر عن أحداث تعنيه أو تعني قومه ، ويكون محتوى هذا الشعر التحذير أو الرد على التهديد أو العتاب وغير ذلك من هذه الأشياء . وفي هذا النمط من الشعر تعطى معلومات للساعي عن الطريق التي يجب أن يسيرها .
- ٣ - شعر الرثاء : في هذا النمط من الشعر يتحدث الشاعر عن ذكريات الشباب الماضية .

== الضربك : المحتاج الضعيف . القبل : ما استقبلك من الجبل . اليفاع : الموضع المرتفع . الزوافر : الجماعات . الملموم جواتبها : يعني الكنيية . الرдах : الكثيرة الحرارة . تزجى : تساق ، هلل : جبن ورجع . البراع : الذي لا جرأة ولا صبر له في الحرب . العوصاء : الخطة الشديدة . الطاط : المنحرف . القذاع : السباب .

٤ - أغاني الرحلة ، وحسب رأي بلوخ فإن القصائد الجاهلية كانت في أصلها عبارة عن أغاني الرحلة إذ إن إنشاد القصيدة كان لحث الإبل على السير لكي تختصر الرحلة المملة في الصحراء^(٢٩) .

إن هذا التقسيم يظهر أنواع الشعر الجاهلي ، ولكن بلوخ يرى أن القصائد كانت عبارة عن أغاني الرحلة ، إذ إنها لم تستخدم مؤخراً على أنها أغان للرحلة ، ولكنها كانت هكذا في الأصل ، إذ إن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصائد وبناءها تتضح من خلال هذا الفهم ، إذ إن معظم الشعر العربي هو شعر رسالة ، يحملها الشاعر إلى ساع يطلب منه أن يبلغها ؛ ولذلك فإن على الساعي أن يقطع مسافات واسعة ، ويرى بلوخ أن هناك عنصرين يتصلان بالرسالة وهما النسيب ورحلة الناقة ، وهنا يجد بلوخ نفسه مضطراً لكي يفسر النسيب في مقدمة القصيدة فيقول : إن النسيب ما هو إلا تسلية للساعي أو للسعاة ، ولذلك يجب عليه أن يتضمن محتوى يقيد الإنسان من الجانب النفسي بشكل تام^(٣٠) وهو بذلك يقترب من تفسير ابن قتيبة للنسيب الذي رأى فيه تأثيراً نفسياً في السامع .

يبدو أن النسيب يصبح هنا تسلية وحسب ، إذ إن الشاعر يذكر أماكن كثيرة في مقدمة القصيدة لكي يدل الساعي على الطريق الشاق الذي يجب أن يقطعه ، وحتى يجعل الشاعر التكليف الصعب حلواً فلا بد إذن من تسلية للساعي وهذه التسلية قائمة في النسيب^(٣١) .

Ibid.P. 116 -- 123

(٢٩)

Ibid.P. 124 - 125

(٣٠)

Ibid P.132

(٣١)

يظهر تفسير بلوخ للنسيب غير مقنع تماماً وذلك لأنه يلغي ذات الشاعر الغاء تاماً ، ولذلك يصبح النسيب أكثر صلة بالساعي منه بالشاعر ، وهذا أمر لا يمكن أن يقبل بسهولة ، فالشعراء يعانون ومعاناتهم تتجه للتخفيف عن الساعي ، فالشعراء في النسيب يصورون معاناتهم أمام التهدم المكاني والانفصال عن المرأة ، ولذلك يظهر التوتر القائم بينهم وبين العالم من حولهم . ولذلك « فإن النسيب كان تعبيراً يجسم لنا ارتداد الشاعر إلى نفسه وخلوه إليها وهو بذلك يعد الجزء الذاتي في القصيدة الذي يعبر فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والكون من حوله »^(٣٢) .

إن النسيب لا يمكن أن يكون منبأ عن ذات الشاعر ولا يمكن جعله عنصراً ثانوياً في القصيدة ، ولذلك كيف يمكن بلوخ أن يفسر الأماكن الكثيفة في النسيب وبكاء الشاعر ووقوفه على الأطلال . فالمكان جزء أساس لا يمكن تفسيره دون أن يتعلق بتجربة الشاعر الذاتية ، ولا يتعلق بالساعة الذين يحملون الرسائل التي يبلغهم الشعراء اياها .

إن تفسير بلوخ للنسيب جاء تفسيراً سطحياً هامشياً ، والسبب وراء ذلك أن بلوخ أراد أن يثبت رأيه في أن القصيدة العربية هي قصيدة رسالة لا بد لها من حامل يحملها ولكن قصيدة الرسالة لها بناؤها الخاص بها وليس هناك من شك في أن قصائد الشعر الجاهلي ليست قصائد رسالة في مجموعها ، إذ توجد دواوين لشعراء جاهليين دون أن تحتوي على قصيدة

(٣٢) د . عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ، ١٩٦٩ ، ص ٧ .
 ود . يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي . ص ١١٧ . ود . عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، فصول ، المجلد الرابع العدد الثاني ، ١٩٨٤ ، ص ٣٢ .

رسالة . لكن المرء يستطيع أن يسمى القصائد التي تتخذ من الصيغ التالية : « أبلغ ، أبلغا ، بلِّغ ، ومن مبلغ الخ » قصائد رسالة ، إذن فليس هناك من شك في أن هذا الرأي يحصر الدراسة في وحدة موضوعية واحدة ترد في الشعر العربي القديم هي الوحدة المعلن عنها بالعلامات الأسلوبية : أبلغ... الخ « وهو لذلك يتجنب المواجهة مع أية مشكلة قد تنشأ عن التعقيد البنائي للقصيدة » (٣٣) .

يظهر أن رأي بلوخ لا يتناسب مع بناء النص الشعري الجاهلي بشكل مطلق ، إذ إنه يتعامل مع نوع واحد من القصائد ، لكن القصائد الجاهلية متعددة البناء والتركيب فهناك قصائد تحتوي على رحلة أو مشهد صيد أو مدح أو فخر أو رثاء ولذلك فإن معظم القصائد تكشف عن بناء متفاوت لا يستقيم لرأي بلوخ .

ومن أهم الأشياء التي يصطدم بها رأي بلوخ تلك القصائد التي تحتوي على رسالة لكنها لا تحتوي على نسيب أو رحلة ، فكيف يستطيع الساعي أن يقطع الفيافي ويبلغ رسالته دون تسلية مثلاً ؟ فهناك قصائد أو مقطوعات شعرية تخلو من النسيب والرحلة مثال ذلك قول النابغة :

ألا من مبلغ عني خُرَيْمًا وَرَبَّانَ الذي لم يرع صهري
وقوله :

أبلغ بني ذبيان أن لا أخاهم بعبس إذا حلوا الدماغ فأظلموا
وقوله :

ألا أبلغا ذبيان عني رسالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائرة

(٣٣) ياروسلاف ستكفيتش : ابن قتيبة وما بعده القصيدة العربية الكلاسيكية

والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد ٦ العدد (٢) ،

وقوله :

من مبلغ عمرو بن هند آية ومن النصيحة كثرة الأعذار

وقوله :

ألا أبلغ لديك أبا حرث وعاقبة الملامة للمليم^(٣٤)

إن هذه القصائد والمقطوعات الشعرية تخلو من النسيب الذي جعله بلوخ تسليّة للساعي ، وهذا أمر يناقض ما ذهب إليه بلوخ بصورة مباشرة وواضحة ، ولذلك فإن النسيب لا يمكن أن يكون للتسليّة لأنه يرتبط ارتباطاً مباشراً بالجو العام لقصيدة الرسالة ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي التي حذر فيها قومه من كسرى الذي كان ينوي القضاء عليهم فقال مفتتحاً قصيدته :

يا دارَ عمرة من محتلها الجرعا	هاجت لي الهمم والأحزان والوجعا
تامت فؤادي بذات الجزع خرعة	مرّت تريدُ بذات العذبة البيعا
جرت لما بيننا جبل الشموس فلا	يأساً مينا ترى منها ولا طيعا
فما أزالُ على شحط يورقني	طيفُ تعمد رحلي حيثما وضعنا
أني بعيني ما أمّت حمولهم	بطن السلوطح لا ينظرن من تبعنا
طوراً أراهم وطوراً لا أيّينهم	إذا تواضع خدر ساعة لمعا

تلقي افتتاحية قصيدة لقيط في محتواها وموتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) مع مقدمات الشعراء الجاهليين الأخرى ، ففيها ذكر الديار وأسماء الأماكن والمرأة والطيف والظعائن . ولذلك فإن هذه الافتتاحية بما تحتويه من توتر وشعور بالاضطراب والقلق تكشف عن أن الشاعر لم

(٣٤) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ،

القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٨٠ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢١١ .

يأت بهذه الأماكن لكي يجعلها أداة لتسليية الساعي ليس غير ، وإنما تنبعث من هذه المقدمة هواجس تنبئ عن الطم والأحزان والوجع ، وإن هذه الأمور تتعلق بذات الشاعر ولا تتعلق بشخصية الساعي ، لأنها لا تتضمن إلا الشكوى والألم . والشكوى والألم عنصران مشيطان للساعي وليس حافزين للتسليية والاندفاع لكي يبلغ الرسالة . وإن الأماكن التي يعددها الشاعر هي ميدان تجربته ، وابتعاد الشاعر عنها كفيل بايقاظ الألم والوجع في نفسه ، إن الوجد الذي تسببه الديار وانفصال المحبوبة ما هو إلا ذلك الوجد الناجم عن عدم سماع بني قومه لتحذيره إياهم من كسرى .

ومن ناحية أخرى فإن الرحلة (رحلة الشاعر) تختفي في هذه القصيدة ، فإذا كانت الرحلة قد اختفت فإن هذا يعني - حسب تفسير بلوخ - أن عنصراً من عناصر التسليية قد اختفى ، ولذلك ينطفئ تحفز الساعي لمتابعة رحلته ، ولذلك فإن هذا الأمر يكشف عن نقص نظرية بلوخ .

يبدو أن هذه القصيدة تظهر ترابطاً نفسياً بين مقدمتها وغرضها الأساس ، وإن هذا الترابط يكمن في احساس الشاعر بالفاجعة الناجمة عن عدم التصالح بينه وبين المرأة والمكان ، كما أن الرسالة تشي أيضاً بعدم رضا الشاعر عن قومه الذين رفضوا الاستماع إلى صوته ، يقول بعد النسيب مباشرة :

بل أيها الراكب المزجي على عجل	نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعاً
أبلغ إياداً وخلل في سراتهم	اني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعاً
يا لهف نفسي إن كانت أموركم	شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعاً
ألا تخافون قوماً لا أبالككم	أمسوا إليكم كأمثال الدبي سرعاً

أبناء قوم تأسوكم على حنق لا يشعرون أضر الله أم نفعها
إلى أن يقول :

هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعها
لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا ان خير العلم مانفعا^(٣٥)
مما لا شك فيه أن صوت الشاعر في المقدمة يتناغم بشكل جلي مع
صوته في رسالته التي أرسلها إلى قومه ، ولذلك يصبح النظر إلى النسيب
على أنه تسلية أمراً غير مسلم به ؛ وذلك لأن موضوع القصيدة وجوها
النفسي يتدخلان تدخلًا واضحاً في كيفية بناء النص ، هذا بالإضافة إلى أن
مقدمة القصيدة تتمركز حول الذات المهمومة التي انتقلت من الحديث عن
الهم الذاتي إلى الحديث عن الهم الجماعي المتعلق بقوم الشاعر .

مع ريناته يعقوبي تبدأ دراسة النسيب تأخذ بعداً جديداً ، ولا سيما
أن المؤلفة لجأت إلى تتبع بناء القصيدة من حيث إنها قصيدة غير مرتبطة
بسياقها الاجتماعي أو التاريخي ، ولذلك رفضت يعقوبي دراسة ريشتر وبلوخ
ورأت أنها دراسات لا تقوم إلا على فرضيات لا يمكن قبولها بسهولة .

بدأت يعقوبي دراستها برفض تفسير ابن قتيبة للقصيدة العربية ،
وذلك لأنها رأت فيه قصوراً واضحاً وإن تفسير ابن قتيبة ينطبق على غط
واحد من أنماط القصيدة وهو قصائد المديح^(٣٦) . لقد كانت هذه الدراسة

(٣٥) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي . تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ،
بغداد ، وزارة الأعلام ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠ - ٥٠ . تامت : ضلت وذهبت به ، الجزع :
مثنى الوادي ، خرعبة : امرأة غضة ، البيعة : كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود .
الشموس : الدابة الممتعة فلا تمكن من الإسراج والإلجام ، الشحط : البعد ، بطن
السلوطح : اسم موضع . خلل : خصص . الدي : صغار الجراد . تأووكم : أووا إليكم .

Renate Jacobi: Studien Zur boetik der altabischen (٣٦)

قد أشارت إلى رأي يعقوبي في أصل النسيب وهو رأي ينبثق من أن القصيدة العربية كانت تتألف في البداية من موضوعات يربط بينها الوزن والقافية فقط ، ومع مرور الزمن أخذ الشعراء يتدعون روابط بين هذه الموضوعات .
(انظر ص ٤)

ولأن يعقوبي انطلقت من هذا الفهم للقصيدة الجاهلية فإنها وصلت إلى مقولة أساسية في النسيب وهي « أن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته أو قصيدة مستقلة تختص بوصف معاناة الحب ومدح جمال المرأة »^(٣٧) . وهذا يعني أن ذكر ديار المحبوبة ورحليها ووصف ذلك وآثاره النفسية في الشاعر كان في البداية غرضاً قائماً بذاته . وقد ذهب الدكتور محمد مندور قريباً من هذا حينما قال : « فليس صحيحاً أن الشاعر المادح هو الذي فكر في أن يبدأ بذكر الديار والحبيبة والسفر وما إلى ذلك ليمهد لمديحه ، وإنما هي تقاليد الشعر الجاهلي التي استمرت حية مسيطرة بعد أن دخل التكسب في الشعر ، فأصبحت المدائح تتكون من جزئين منفصلين تمام الانفصال : القصيدة القديمة كما نجدها عند الشعراء الجاهليين القدماء ثم المدح ، ولا أدل على ذلك من أن نفكر فيما كان من الممكن أن تكون عليه تلك المدائح لو لم يوجد الشعر الجاهلي الذي لا مديح فيه ، ولو لم يطغ سلطانه

Qaside.p.41

=
وحول هذا الموضوع انظر : د. يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ و د. محمد حسن عبد الله : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، ص ٥٥٠ و د. حسين الحاج حسن : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ط ١ ، ١٩٨٤ ، ص ٥٥ .

Renate Jacobi: studien Zur Poetik der altarabischen Qaside (٣٧)

.P.106

على الشعراء اللاحقين» (٣٨) .

وعلى الرغم من رأي يعقوبي القائل بأن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته فإنها درست النسيب دراسة مستقصية ومستفيضة . وذلك من خلال محتواه ، وقد استندت في ذلك على دراسة لشتنشتيتر ، ولكن من أهم الآراء التي جاءت في دراسة يعقوبي « أن النسيب يظهر التعارض بين الحاضر الحزن والماضي الجميل ولذلك فإنها رأت لوحة النسيب عبارة عن قصيدة ذكرى Erinnerungsgedicht » (٣٩) ؛ ولأن يعقوبي حاولت أن تتبع دور النسيب في القصيدة من غير ربطه بسياقه الاجتماعي والتاريخي فإنها لم تفد من هذه المقولة ولم تتعمق في دراسة هذا التعارض وإنما اكتفت بالإشارة إليه .

وقد حاولت يعقوبي أن تجد روابط بين النسيب والجزء الذي يليه في القصيدة ، ولكن المؤلفة عنت بالروابط حسن التخلص ، ولذلك فإن الروابط بين النسيب والرحلة تكون عند يعقوبي روابط أسلوبية محضة لا تحتوي على أية تفسيرات نفسية أو اجتماعية أو واقعية ، وإنما عمدت إلى البحث عن الروابط لتقول إن النسيب يرتبط مع الرحلة من خلال قول الشاعر « دعها ، فعزيت نفسي ، فسليت ما عندي ، فسلّ الهَمَّ ، فعُدَّ عما ترى ... الخ » . ولذلك ترى يعقوبي أن ارتباط النسيب مع ما يليه في القصيدة كان معللاً ، ولكن ماذا تقول يعقوبي في القصائد التي تخلو من هذه الأنماط الأسلوبية ؟ أنها قالت : إن القصائد التي يخلو نسيبها من روابط

(٣٨) د . محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع

والنشر : القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٣١ .

(٣٩) Renate Jacobi: Studien Zur Poetik der altarabischen Qaside

أسلوبية مع الموضوع الذي يليه كانت قصائد أقدم تاريخياً ، أما القصائد التي تمتلك مثل هذه الروابط فإنها تشكل تطوراً في بناء القصيدة ، وهي بهذا الرأي تعود إلى دائرة الظن^(٤٠) .

ثمة محاولتان مختلفتان عما سبقهما من محاولات لتفسير النسيب في القصيدة الجاهلية ، المحاولة الأولى قدمها فالتر براونه الذي رأى أن الشعر الجاهلي يمكن أن يفسر تفسيراً وجودياً ، أما المحاولة الأخرى فقد كانت من تلميذه غوتفريد مولر في دراسته عن معلقة لييد .

لقد اعتمد براونه في تفسيره للنسيب على منظور فلسفي وجودي ، واتخذ هذا المنظور أساساً لفهم النسيب ، وعلى الرغم من خطر تطبيق الفلسفة على الشعر تطبيقاً صارماً فإن تفسير براونه قد أثار تفسيرات جديدة للنسيب في مقدمة القصيدة عند الباحثين العرب سواء أكانوا معه أم ضده^(٤١) .

يقول براونه - بعد أن رفض تفسير ابن قتيبة : « إن النسيب عبارة

Ibid P 49-53 (٤٠)

(٤١) حول هذه القضية انظر مثلاً : د عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ومطاع صفدي وإيليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، مكتبة خياط للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤ ، ص ٤١ . ود عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص ٣٤ . ود حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي دار المعارف بمصر ، ط ١ ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٦ - ٢١٩ . ويوسف اليوسف : مقالات في الشعر الجاهلي : دار الحقائق ، بيروت ، ص ١٢٥ - ١٢٩ . و د سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ . و د محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقديمه ، الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ، د ت ، ص ١٥٢ - ١٥٤ .

عن اختبار القضاء والفناء والتناهي ، لأن المسألة متعلقة بمسألة وجود الإنسان ومصيره ونهايته «(٤٢) . وليس من شك في أن مسألة المصير من أهم المسائل الماثلة في لوحة النسيب إذ إنها تكشف دائماً عن الصراع القائم بين الحياة والموت ، ولكن المسألة هنا تتعلق بمذهب فلسفي متشعب الأبعاد والمواقف ، ولذلك فإن مثل هذا الرأي جدير بالاهتمام ولكن يجب أن ينظر إليه في إطار الشعر الجاهلي بصورة عامة . إذ إن هناك بعض النسيب الذي لا تنطبق عليه الفلسفة الوجودية ولذلك يصبح التعميم أمراً فيه كثير من التعسف .

أما غوتفريد مولر فهو المستشرق الثاني الذي ينطلق في تفسيره للقصيد الجاهلية من منظور فلسفي ، وهذا الأمر ليس غريباً على مولر ، فأستاذه براونه عمد إلى الإفادة من الوجودية في تفسير النسيب ، ولذلك فإن مولر يعيب الباحثين السابقين لأنهم لم يعاينوا النص الشعري الجاهلي في إطاره التاريخي والاجتماعي (٤٣) .

يرى مولر في دراسته لمعلقة لبدي أن الانفصال بين الشاعر والمحوبة ناتج عن انفصال قبيلتين نقض بينهما عهد أو ميثاق ، أو أن هذا الانفصال كان ناتجاً عن أسباب اقتصادية ، وهذا يؤدي إلى أن تنقسم عرى الحجة كما تنقسم العلاقة بين القبائل (٤٤) .

(٤٢) فالتر براونه : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ ، ص ٦٠ .

(٤٣) Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum Problem der Selbstbehauptung in der altarabischen Qaside.

Wiesbaden 1981.P.u

Ibid P.27

(٤٤)

يبدو أن هذا التفسير واقعي واجتماعي وتاريخي يحاول أن يعيد النسيب إلى الأسباب التي أفرزته ، لكن مولر لم يكتف بهذا الأمر وإنما راح يفلسف النسيب من خلال القناعات التي قدمها ، وحتى يضع النسيب في اطار فلسفي فقد رأى في لوحة النسيب عدة أمور تسهل عليه الوصول إلى تفسيره الذي ارتآه .

ومن هذه الأمور التي أولها أهمية كبيرة أن النسيب يكشف عن انعدام الثقة بين الشاعر والمكان ؛ لأن النسيب لا يقدم سوى التهدم والتبعثر ولذلك « تصف لوحة النسيب وضعاً تكون فيه الثقة بالعالم مكاناً يكون فيه الإنسان فاعلاً ثم يختفي هذا العالم فجأة . وعلى هذا الأساس تكون الخبرة التي كونها الشاعر مع العالم هشة وتكشف عن تفاهة العلاقات الإنسانية ، إذ إن الإنسان يصبح دون وطن ، ولذلك يصبح كل شيء مغلفاً بالسواد ويظهر العالم للشاعر عبارة عن أكوام من أشياء غير مترابطة وتغيب الحقيقة من الحاضر» (٤٥) .

يبدو أن هذا التفسير هو محاولة لتعزيز الانفصال عن المكان ، والانفصال عن المكان يشكل عالماً غريباً للشاعر تبدو فيه كل الأشياء تافهة ، لذلك يبدو المكان غير موجود فيضطر الشاعر إلى أن ينفصل عنه . ولذلك يصبح الحاضر غير آمن ويتصف بالغدور بعد أن كان الشاعر في الماضي حراً ، مرناً ، وفرحاً وغير مقيد (٤٦) .

وعلى الرغم من جمالية تفسير مولر للنسيب فإنه يعزز قضية انفصال الشاعر عن المكان ، وكأنه من السهولة بمكان أن ينفصل الإنسان عن وطنه ، وقد رأى مولر هذا الرأي لأنه اعتمد على نظرة تيليش الفلسفية

Ibid p.29

(٤٥)

Ibid P.28.

(٤٦)

الدينية التي ترى أن الإنسان يرتبط بمرحلة الوعي المبكرة بقوى النشوء وهي الأرض والدم والجماعة ، وهذه الأشياء ذات طبيعة أسطورية ، وذلك في الوقت الذي يسيطر فيه المكان على الزمان . والإنسان يظهر هنا مرتبطاً بأصله فهو لا يمتلك مستقبلاً أو هدفاً ، لكن الانفصال عن أسطورة النشوء يعني ابدال الزمان بالمكان وفقد الأمان في الجماعة واستقلالية الذات وحريتها في أعمالها المستقبلية التي تريد أن تعملها»^(٤٧) .

لقد استغل مولر هذا الانفكاك عن قوى النشوء الذي يعني الانفصال عن المكان الناتج عن تحول الوعي الإنساني في لحظة من اللحظات ؛ ولذلك يظهر النسب عند مولر انفصالاً عن الأسطورة ودخولاً في عالم جديد ، « فالنسب يأخذ بعداً سلبياً على أنه لا شيء ، وعالم غير مشكّل أي مبعثر ، وإن التهدم يصبح قادراً على أن ينال حياة الإنسان إذا ما أصر على البقاء في هذا المكان»^(٤٨) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تفسير سوزان ستيتكيفيتش للنسب جاء ليؤكد مفهوم الانفصال أو الفراق من خلال اعتمادها على (طقوس العبور) ، ولكن إذا كانت ستيتكيفيتش قد نجحت في اثبات عنصر الانفصال عن المكان في لوحة الطلل فإنها تناقضت تناقضاً مباشراً مع مولر في تفسيرها للرحلة على أنها الطقس الهامشي^(٤٩) لأن مولر يرى أن الرحلة

Renate Jacobi: Neue Forschungen Zur altarabischen Qaside (٤٧)

Bibliotheca Orientalni.40.1983 P.7.

Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel (٤٨)

.P.39,40, 116

(٤٩) سوزان ستيتكيفيتش : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية

التمودجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد (٦٠) ، كانون الثاني ،

هي عودة الشاعر إلى ذاته وإلى الواقع ولذلك يظهر فيها الشاعر فاعلاً^(٥٠) .
 إن الانفصال عن المكان - حسب تفسير مولر - مرتبط
 بالانفصال عن قوى النشوء التي يشكل المكان أحد عناصرها الرئيسية ،
 وإن هذا الانفصال يعني تغير الوعي الناتج عن رفض الشاعر البقاء في عالم
 متناثر ؛ ولذلك يصبح المكان هامشياً وإن الشاعر يعلق آماله على الزمان
 الذي يعني عودة الشاعر إلى العالم الحقيقي من خلال - الرحلة - التي
 يظهر فيها قادراً على ممارسة الفعل .

يبرز تفسير مولر للنسيب انفصال الشاعر عن المكان ، ولكن هل
 يمكن أن يكون هذا الانفصال رغبة من الشاعر في البحث عن عالم
 جديد ؟ إن الأمر لا يمكن أن يتعلق بمثل هذا الفهم ؛ لأن الشعراء كانوا
 يقيمون طقوساً من البكاء ويفجعون عندما يصطدمون بالمكان المقفر
 والمتهدم . ولا شك في أن هذا الرأي لا يمكن قبوله بسهولة ، لأن النسيب
 لا يعني الانفصال وإنما يعني الحنين إلى وطن مفقود ، لأن باعث النسيب
 الأول يمكن أن يكون حبيبة راحلة أو وطناً مفقوداً^(٥١) .

(٥٠) انظر د . موسى رابعة : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في ناول
 الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .
 (٥١) د . نوري حمودي القيسي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة
 دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٤ ، ص ٩ - ١٠ ود . عبده بدوي : وجهة نظر
 حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص ٢٧ . ود . محمد النويهي : الشعر
 الجاهلي منهج في دراسته وتقديمه ج ١/١٥٢ . ود . عبد الرزاق خشروم : الغربة في الشعر
 الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ ، ص ٢٤٤ ود . محمود عبد الله الجادر :
 شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ،
 ص ٢٥٦ - ٢٥٧ . ود . سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ،
 ص ١٤١ . ومطاع صفدي وإيليا حاوي : موسوعة العشر العربي ، ص ٤١ .

وثمة أمر آخر ينبغي الإشارة إليه في كيفية فهم مولر للنسيب إذ إنه ربط الاقفار والخلاء من الديار بمفهوم الاقفار والخلاء في التوراة ، حتى إن هذا الرأي قاد مولر إلى أن يرى الأطلال في معلقة لبيد مجدبة لكنه لم يلتفت إلى الرغبة في الإحياء المتمثلة بقول الشاعر :

رُزِقَتْ مَرَايِعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا
وَذُقُ الرِّوَاعِدِ جَوْدَهَا فِرَاهُمَا
مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدَجِّنٍ
وَعَشِيَّةٍ مِتْجَاوِبٍ إِرْزَامُهَا
فَعَلَا فُرُوعُ الأَيْهَقَانِ وَأُطْفَلَتْ
بِالْجِلْهَتَيْنِ ظَبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا
وَالعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلَالِهَا
عُودًا تَأَجَّلُ بِالْفَضَاءِ بِهَامُهَا
وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَأَنَّهَا
زُبُرٌ تُجِدُّ مُتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا
أَوْ رَجْعُ وَاشْمَةِ أُسِفِّ نَوُورِهَا
كَفَفًا تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وَشَامُهَا^(٥٢)

ولأن مولر محكوم في تفسيره للقصيدية من خلال فلسفة تيليش الدينية فإنه لم ير صورة الإحياء في لوحة النسيب ، فصورة الإحياء هذه لا تعزز الانفصال عن الوطن وإنما تحفز الشاعر إلى الارتباط به . ولم تكن لوحة النسيب في معلقة لبيد هي الشاهد الوحيد الدال على الحياة وإنما هناك شواهد أخرى كثيرة ، فإذا كان الشعراء قد جعلوا المطر سبباً من أسباب الدمار والهلاك للأطلال فإنهم رأوا فيه أيضاً سبباً في خصوبتها وإعادة الحياة إليها^(٥٣) .

ولذلك فإن تفسير أبي ديب لمشهد الإحياء الصق بالجو العام لمعلقة لبيد وبالشعر الجاهلي بصورة عامة^(٥٤) وعلى هذا الأساس يمكن فهم السبب

(٥٢) ديوان لبيد : ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٥٣) د أنور أبو سويلم : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار

الجيل ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .

(٥٤) د . محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار =

الذي جعل مولر يغفل عن ذكر عنصر الإحياء بصورة أساسية في تحليله لمعلقة ليبد .

وأخيراً حاول هذا البحث أن يقدم اضاءات عن تفسيرات المستشرقين الألمان للوحة النسيب في مقدمة القصيدة . ومما لا شك فيه أن هذه التفسيرات كشفت عن تطور نظرة هؤلاء المستشرقين للنسيب بوجه خاص وللقصيدة الجاهلية بوجه عام ، فمن سطحية النظرة والقاء التفسيرات دون الاستناد على براهين وحجج إلى تفسيرات تعتمد على النظرة الكلية للنص ، والإفادة من المذاهب الفلسفية ، ووضع القصيدة في إطارها الاجتماعي والتاريخي .

= النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٣ و د . كمال أبو ديب : الرؤى المقنعة . نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٥٩ - ٦٠ و د . سامي سويدان : في النص الشعري العربي مقاربات منهجية . دار الآداب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٢٠ .

المصادر والمراجع

- أ - العربية :
- ١ - أبو ديب ، كمال : الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٦ .
 - ٢ - أبو سويلم ، أنور : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار الجيل بيروت ، ١٩٨٦ .
 - ٣ - الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٥ ، د ت .
 - ٤ - بكار ، يوسف : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣ .
 - ٥ - الجادر ، محمود عبد الله : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .
 - ٦ - حسن ، حسين الحاج : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤ .
 - ٧ - خشروم ، عبد الرزاق : الغربية في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ .
 - ٨ - خليف ، يوسف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨١ .
 - ٩ - سعيد ، ادوارد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .
 - ١٠ - سلوم ، داود : النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٧٠ .
 - ١١ - سويدان ، سامي : في النص الشعري العربي ، مقاربات منهجية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٩ .
 - ١٢ - شلبي ، سعد إسماعيل : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

- ١٣ - صفدي ، مطاع وابليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، شركة خياط للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤ .
- ١٤ - الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٦ . دت .
- ١٥ - عبد الله ، محمد حسن : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٥ .
- ١٦ - العشماوي ، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث . دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ١٧ - عطوان ، حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ١٨ - القيسي ، نوري حمودي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة دار الكتب ، الموصل ، ١٩٧٤ .
- ١٩ - ليبد بن ربيعة : ديوان ليبد بن ربيعة ، تحقيق د . إحسان عباس ، ١٩٦٢ .
- ٢٠ - لقيط بن يعمر الإيادي : ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٠ .
- ٢١ - مندور ، محمد : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ٢٢ - النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ٢٣ - النويهي ، محمد : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، دت .
- ٢٤ - اليوسف ، يوسف : مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق ، بيروت ، دت .
- ب - الألمانية :

1-- Bantel, Otto: Grundbegriffe der literatur. Hirschgraben Verlag. Frankfurt. 1962

2- Heinrichs, Wolfhart: Arabische Dichtung und griechische poetik. Beirut. 1969

- 3- Jacob, Georg: Altarabisches Beduienenleben. Hildesheim, 1967
- 4- Jacobi, Renate: Studien Zur poetik der altarabischen Qaside. Wiesbaden. 1971.
- 5- Müller, Gottfried: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum problem der selbstbehauptung in der Altarabischen Qaside. Wiesbaden, 1981.
- 6- Nöldeke, Theodor: Beiträge zur Kenntnis der poesie der altenaraber. Hannover. 1864.
- 7- Wagner Ewald: Grundzüge der Klassischen arabischen Dichtung Band I. Die altarabische Dichtung. Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt. 1987.

٢ - المقالات :

أ - بالعربية :

- ١ - إسماعيل ، عز الدين : النسب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ، ١٩٦٤ .
- ٢ - بدوي ، عبده : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة . مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ .
- ٣ - براونه ، فالتر : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ .
- ٤ - البياتي ، عادل جاسم : رمز المرأة في أدب أيام العرب ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٢ ، ١٩٧٧ .
- ٥ - رابعة ، موسى : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .
- ٦ - ستكيفيتش ، سوزان : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد ٦٠ ، كانون الثاني ١٩٨٥ .
- ٧ - ستكيفيتش ، يارومسلاف : ابن قتيبة وما بعده : القصيدة العربية الكلاسيكية والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد (٦) العدد (٢) ، ١٩٨٦ .

ب - بالألمانية :

- 1 – Bloch, Alfred: Qaside. Asiatische studien.2.1948.
- 2 – Heinrichs, Wolfhart: Die altarabische Qaside als dichtkunst. Der Islam. Band.51.1974.
- 3 – Jacobi, Renate: neue forschungen zur altarabischen Qaside. Bibliotheca Orientalni.40. 1983.
- 4 – Lichtenstädter, Ilse: Das Nasib der altarabischen Qaside. Islamica.5.1932.
- 5 – Richter, Gustav: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft. 92.1938.

الطبيب الرائد يحيى بن ماسويه

حياته وآثاره

الدكتور سامي خلف حمارة

إن جذور الطب العربي ومصادره التاريخية متعددة ، منها : أولاً
حصيلة المعارف الفنية والتقنية لدى أهل البلاد من العرب ، ومن الوافدين
إليها ؛ وأساليب معيشتهم ، وتطور جِرْفهم فنياً ، ونحو خبراتهم المهنية ،
والتحليل في ممارستهم هذه المهن ، سواء أكانت موروثاً أم مكتسبة . وثانياً
الاقْتِباس من الحضارات المعاصرة أو السابقة في الشرق الأقصى والهند
وفارس والسريان في بلاد الهلال الخصيب والأقباط في مصر ، والنقل عن
هذه الحضارات والتفاعل معها . على أن المنبع الرئيس المستمر والمتجدد ،
والمصدر الأهم الأعظم أثراً بالتأكيد ، هو حضارة اليونان والرومان ،
وما تمخضت عنه ، منذ القرن الخامس ق.م ، من عطاء ظل باقياً أكثر من
ألفي عام ، تجلت قيمتها في المصطلحات الطبية ، والاشتقاقات اللغوية ،
وما استنبطوا من نظريات معروفة ، دامت حتى عصرنا الحاضر .

ومن الرواد الذين أسهموا في وضع أسس الطب العربي بأقسامه
وفروعه العديدة ، الطبيب النطاسي أبو زكريا يحيى (أو يوحنا) بن
ماسويه ، العارف بأسرار العلاج فيه ، والمتبحر فيها ، والسباق إلى تطويرها ،
الذي ذاع صيته بين الأطباء العرب والمسلمين ، فوردت أخباره في الكثير
من تأليفهم . ثم طار ذكره العطر إلى أوروبا ، بعد أن تُرجمت بعض كتبه

من العربية إلى اللاتينية وإلى لغات أخرى ، منذ القرن الثاني عشر ، وبذلك صار يعد من أوائل الذين ظلت الأوساط الطبية في الغرب تعرف فضله ، وتلهج بذكره قروناً عديدة^(١) .

أسرة ابن ماسويه :

لا نعرف شيئاً عن هذه الأسرة سوى أن أباه كان يدعى ماسويه ، (أبا يحيى أو يوحنا) ، وأنه كان مسيحياً نسطوري المذهب ، وأنه كان ذا نسب متواضع ، لم يختلف إلى مدرسة معروفة ، ولم ينل حظاً من العلم . لكنه عمل ، في مقتبل يفاعته ، أجيلاً في دكان للصيدلة تابع لبيارستان مدينة جنديسابور ، وكليتها الطبية ، التي كانت فريدة في نوعها في تلك المنطقة آنذاك . وكان موقع المدينة بالقرب من الأهواز في ولاية خوزستان في الجنوب الغربي من بلاد فارس ، وقد أسسها الملك الساساني شاهبور^(٢) . كان ماسويه يعمل في دق الأدوية من غير تعلّم سابق ، بيد أنه تخرّس بالمران والدربة ، فخير سبب الأمراض وتفشيها وحسن معالجتها ، فاكسب دراية في انتقاء الصالح من الأدوية ، وطرح الرديء منها ونبذه^(٣) .

(١) بيير كيك Pierre Guigues ، « الكلمات العربية في كتاب سرايون » ، المجلة الآسيوية ، باريس ، ١٩٠٥ ، المقدمة بالفرنسية ، ولويس شيخو ، علماء التصراية في الإسلام ، تحقيق كميل حشيمة ، جونية ، لبنان ، ١٩٨٣ ، ص ١٢ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، طبعة ثانية ، ليدن ج ٣ : ٨٩٦ .

(٢) أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ، تاريخ ، ج ١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٥٩ ، وموفق الدين أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ١ ، طبعة بولاق ، ١٢٩٩ هـ ، ص ١٠٩ ، ١٧١ - ٧٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ١ : ١٧١ - ٥ ، وجمال الدين علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء ، طبعة مكتبة المتنّي عن طبعة ليزج ، ١٩٠٣ ، ص ٣٢٨ -

وكانت لماسويه علاقة حميمة بآل بختيشوع الذائعي الصيت ، الذين كانوا يتمتعون بمكانة رفيعة ، فهم أصحاب البيارستان والكلية الطبية الأنفي الذكر ، وهم الذين كانوا يتولون إدارتهما . كما كانت لماسويه ، على ما يبدو ، صلات ودية بيت الطبيب سراييون ، الذي أنجب ولدين اثنين ، هما داود ويوحنا ، وكانا طبيبين أيضاً . وفي ظل رعاية هؤلاء جميعاً ، وبفضل ما كان لهم من مكانة عالية في صناعة الطب ، وإدارة البيارستان ، وفق إلى الزواج من امرأة هناك ، أنجبت له ولدين ، هما يحيى (يوحنا) وميخائيل ، اللذان اشتبرا فيما بعد بالصناعة الطبية ، كما سرى^(٤) .

بقي ماسويه الأب يخدم في صيدلية البيارستان مدةً تربو على ثلاثين عاماً ، أتقن في أثناءها صناعة الأدوية وتركيب العقاقير المتنوعة ، وتحضير الوصفات الطبية لمرضى البيارستان وزائريه في العيادة الخارجية . كما تعلم طرق المعالجات المألوفة والنافعة بذكائه وفطنته واجتهاده ، وبات قادراً على التمييز بين النافع والضار من الأعشاب ، التي كان العطارون والعشابون يجلبونها إلى دكان الصيدلة ، فلا يصف إلا النافع منها لزبائن البيارستان .

زد على ذلك أن ماسويه أتقن صناعة الكحالة (طب العيون)

(٤) سراييون أو سرافيون الطبيب من أهل باجرمي (أو باجرمق إقليم يقع شرقي نهر دجلة بين جبال حمرين بالعراق ونهر الزاب الصغير أو الأسفل من روافد دجلة وكانت كركوك (كركاديت سلوخ) المدينة الرئيسة وكان بين سكانها طائفة كبيرة من النساطرة (أتباع نسطور Nestorius بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ - ٤٣١ الذي خُلع من منصبه في مجمع أفسس المسكوني لخلافات تتصل بالعقيدة) . واشتهر ولدا سرافيون طبيبين فاضلين في العاصمة العباسية وجميع ما ألفه يحيى بن سرافيون كان بالسريانية .

انظر أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم ، الفهرست ، بيروت ، طبعة دار المعرفة ، ١٩٧٨ ، ص ٤١١ - ٢ ، والقفطي ، تاريخ ، ٣٨٠ ، ٤٣١ ، وابن أبي أصيبعة ، عيون ، ١ : ١٧١ - ٤ .

بالممارسة والخبرة ، ودقة الملاحظة ، وخبر أساليب معالجة أمراض العيون ومفردات أدويتها الناجعة ، فكان لهذا أثر عظيم في تقدمه العملي ، ونجاحه المهني^(٥) .

كان عميد آل بختيشوع ، ورئيس البهارستان في جنديسابور ، والمشرف على كليتها هو جرجيس بن بختيشوع ، الذي قدم في آخر أيامه إلى بغداد ، بدعوة من الخليفة أبي جعفر المنصور ، فصار طبيب الخليفة بعد أن نال الشفاء على يديه ، وبقي في هذا المنصب حوالي أربعة أعوام ، رجع بعدها ، لكبر سنّه ، إلى جنديسابور ، مسقط رأسه ، حيث توفي سنة ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م^(٦) .

(٥) أصيبعة ، عيون ، المرجع أعلاه ، والقفطي ، تاريخ ، ٣٢٨ - ٩ .
(٦) جيورجيس (أو جورجيس أو جرجس) الطبيب الأول المعروف من هذه العائلة يعرف بالجنديسابوري ، والمدينة نفسها كانت معسكراً كحصن أسسها شابور الأول مؤسس دولة الساسانيين بعدما هاجم انطاكية بسورية ودخّر الجيش الروماني وأسر الأمبراطور فاليريان (مَلِك ٢٥٣ - ٢٦٠ م وحمله إلى فارس وسامه سوء العذاب حتى الموت تشفياً ، وكان هذا إيذاناً بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية . وقد اعتبرت جندي سابور أعظم وأفضل من أنطاكية . انظر ادورد جيون (٩٤ - ١٧٣٧ Edward Gibbon) ، تداعي الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ١ ، طبعة ثانية ، شيكاغو ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٢ - ١٠ ، وأيضاً ويل دورانت ، حقبة الإيمان ، نيويورك ، ١٩٥٠ ، ص ١٤٣ (بالانكليزية) .

أما حفيده فهو شابور الثاني (٣٠٩ - ٧٩) الذي عمّر طويلاً واستتب له الملك . أما الأعظم شهرة عند العرب فهو كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٧٩ م) ، الذي ناصر العلوم وشجع الكلية الطبية والبهارستان في جندي سابور ، فازدهرت هاتان المؤسستان ، وكانت لغة العلم فيهما بالسريانية ، ولكن اليونانية كانت معروفة . انظر أيضاً القفطي ، تاريخ ، ١٥٨ - ٦٠ ، وأصيبعة ، عيون ، ١ : ١٢٣ - ٣٤ ، وباومستراك A. Baumstrak ، تاريخ الأدب السرياني ، بون ، ألمانيا ، ١٩٢٢ ، ص ٢٣١ .

ثم حلّ محلّه ابنه بختيشوع ، الذي قدم أيضاً إلى مدينة السلام ، بدعوة من الخليفة المهدي لمعالجة ولده الهادي ، فنال على يده الشفاء ، وبعد ذلك قفل راجعاً إلى مدينته ، حيث كان يعمل رئيساً للبيمارستان بعد أبيه^(٧) .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد قدم إلى بغداد مرة أخرى بدعوة من الوزير القدير الواسع النفوذ جعفر بن يحيى البرمكي ، وحالفه التوفيق في المهمة التي أوكلت إليه ، فولاه الخليفة رئاسة أطباء قصره ، وظل يتولى هذه الرئاسة حتى وفاته سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م^(٨) .

بعد ذلك تسلّم الحفيد جبريل (أو جبرائيل) رئاسة البيمارستان ، حتى استدعاه الخليفة الرشيد ، وولاه رئاسة أطباء قصره بعد أبيه ، كما ولاه إدارة شؤون البيمارستان الأول من نوعه في التاريخ العربي الإسلامي . كذلك عمل جبريل في خدمة الخليفة الأمين ثم في خدمة الخليفة المأمون حتى وفاته سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م^(٩) .

أما ماسويه فقد وقع في هذه الأثناء سوء تفاهم بينه وبين الطبيب جبريل ، فطلب إعفائه من العمل . ثم رحل هو وزوجته وولده إلى بغداد ، مدينة السلام ، حيث كان جبريل قد ارتحل إليها من قبل . وقد جرت

(٧) شيخو ، مجلة المشرق ، ج ٨ (١٩٠٥) ، ص ١١٠ - ٢ ، وعلماء النصرانية ، ١٩٨٣ ، ص ١١١ - ٢١ ، وابن النديم ، الفهرست ، ص ٤١٣ .
 (٨) أبو الفرج غريغوريوس الملطي ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٤ ، ١٣٠ - ٦ ، والقفطي ، تاريخ ، ص ١٠٠ - ١٠٣ ، وأيضاً أبو العباس أحمد بن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ ، ج ١ : ٣٢٨ - ٤٦ .
 (٩) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ١ : ١٢٧ - ١٣٨ ، وماري بن سليمان ، أخبار بطارقة كروسي المشرق ، تحقيق H. Gismondi ، روما ، ١٨٩٩ ، ص ٧٤ - ٨٠ .

محاولات لإصلاح ذات البين بينهما على غير طائل . ثم سعى إلى التقرب من الوزير الفضل بن الربيع ، ليتولى العمل في قصره . وكان من حسن طالع أن خادماً للوزير كان مصاباً بعلّة في عينيه ، فعالجه ماسويه بمهارة وحذق ، حتى شفي على يديه . وتناهى خبر ذلك إلى سمع الوزير ، فعينه كحالاً في قصره . وبعد وفاة الخليفة الرشيد سنة ٨٠٩م ظل ابن الربيع وزيراً واسع النفوذ في عهد الخليفة الأمين .

أما في عهد الخليفة المأمون ، فقد استعفى ابن الربيع من خدمة الخليفة ، وتوفي بعد ذلك سنة ٢٠٨هـ/٨٢٤م ، وتوفي ماسويه بعده بقليل^(١٠) .

أما ميخائيل ، وهو ابن ماسويه الأصغر ، فقد درس صناعة الطب وتمرس فيها بالدربة والمران ، ثم التحق بخدمة الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) . وكان لا يستعمل الورد المرّبي ومركب السكنجبين (مركب صيدلاني هاضم ، يُعمل من مقدارين من العسل ، ومقدار من الخلّ ، وأربعة مقادير من الماء النقي) في المعالجة إلا ممزوجاً بالعسل ، وليس بالسكّر . وكان يسير في معالجاته كلها على نهج الاغريق القدماء ، ويسلك السبل المعروفة في كتبهم اليونانية ، أو المترجمة من اليونانية إلى السريانية في ما يتصل بالغذاء أو الدواء ، سواء أكان الدواء بسيطاً أم مركباً . وقد أغدق عليه الخليفة المأمون من أعطياته ، وجعله موضع ثقته ، فكان لا يشرب دواء ولا يتناول علاجاً إلا إذا كان من تركيبه . وقد جرى سائر الناس في مدينة السلام على منوال الخليفة المأمون ، فكان ابن ماسويه موضع تبجيلهم واحترامهم وإطرائهم ،

(١٠) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي (بالمانية) ، ج ٣ ، ليدن ، ١٩٧٠ ،

ص ٢٢٨ - ٩ ، وكال السامرائي ، مختصر تاريخ الطب العربي ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٤

ص ٣٨٣ - ٩٠ ، ٤١٤ - ٦ ، وبابو إسحق ، نصارى بغداد ، ص ١٧٥ - ٧٩ .

ولكنه لم يترك بعده أثراً مخطوطاً ، على ما نعلم^(١١) .

حياة يحيى بن ماسويه وفضله :

أما أبو زكريا يحيى (أو يوحنّا) بن ماسويه ، فهو أعظم أفراد أسرة ماسويه وأكثرهم ابداعاً وأوسعهم شهرة ، كما أسلفنا . وقد ولد في جنديسابور حوالي سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م ، ونشأ فيها وترعرع ، ثم عكف على دراسة مهنة الطب في كليتها الأكثر عراقية في ذلك الزمان ، الواقعة بجوار البيارستان الأنف ذكره . وحين رحل أبواه إلى بغداد رحل معهما هو وأخوه الأصغر ميخائيل ، لمتابعة دراسة صناعة الطب والمران فيها ومطالعة المفيد من كتبها . وقد قام ميخائيل على خدمة الخليفة المأمون باخلاص وتفوق ، كما أسلفنا^(١٢) .

أما يحيى بن ماسويه فقد تميز باجتهاده وذكائه الوقاد ، وفاق أترابه علماً ومهارة في عهد الخليفة الرشيد والخليفة الأمين . ثم طار صيته ولمع نجمه في أواخر عهد الخليفة المأمون . وكان ابن ماسويه يلمّ بطرف من اليونانية والفارسية ، وكان يجيد السريانية لغة أمه ، كما كان معروفاً بإتقانه العربية ، فكانت تأليفه كلها بلغة الضاد . ولتضلعه من هذه اللغة فقد أجاد في شرح بعض مشتقاتها الطبية ، ومصطلحاتها في الأمراض والأدوية والأغذية . ولذلك عينه المأمون في إدارة مؤسسة بيت الحكمة للاستفادة

(١١) القفطي ، تاريخ ، ص ٢٢٨ ، وأصيبعة ، عيون ، ج ١ : ١٨٣ - ٤ ، وشيخو ، علماء ، ص ٢١٠ - ٣ ، وابن خلكان ، وفيات ، ٢ : ٢٩٤ - ٩ ، ٤ : ٤٠ - ٣٧ .

(١٢) فؤاد إفرام البستاني ، دائرة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ٤ : ١٣ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ليدن ، بريل ، ١٩٢٧ ، ١٩٤٣ ، ج ١ : ٢٦٦ ، وملحق ١ : ٤١٦ - ٧ .

من علمه ، ولا سيما في مجال المهن الصحية وفي النقل والترجمة والبحوث
النافعة^(١٣) .

ومن المعروف أنه كانت تنعقد بانتظام مجالس في قصر الخليفة ،
وكذلك في قصور ذوي الشأن في الدولة ، يلتقي فيها العلماء والأطباء
والفقهاء ، يدور الحديث والحوار فيها حول موضوعات متنوعة من
البحوث ، وتنعقد فيها مناظرات رفيعة المستوى بحضور الخليفة وإشرافه ، بل
ومشاركته ، في جو ودي مفتوح ، يتعاونون فيه جميعاً على معرفة الحقائق
العلمية والأدبية، ويهدفون فيه إلى التعلم أو الإرشاد وكثيراً ما دارت في هذه
المجالس مناقشات حول عدد من المسائل ، وكانت هذه المناقشات سبباً في
ظهور تأليف عديدة ، أو حافزاً لكتابة مقالات قيمة ، تقدم أجوبة تنير
البصر والبصائر حول الكثير من هذه المسائل . وغاية ذلك كله النفع
العميم ، وتنمية المعرفة ونشرها في الأوساط العلمية . وبذلك ارتفعت
منارات العلم ، وعلا شأن العلماء ، واتسع نطاق الإبداع الفكري وسما ،
في مجتمع متقدم علمياً وتقنياً وفتياً واقتصادياً وعمرانياً ، إلى أرقى
مستوى^(١٤) .

في ظل هذا الازدهار والتقدم العلمي ، ولا سيما في مجال العلوم

(١٣) أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق
فؤاد سيّد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ ، ٦٤ - ٦٦ ، وعمر
رضا كحّاله ، معجم المؤلفين ، ج ١٣ ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ٢٦٣ - ٤ ، وخير الدين
الزرركلي ، الأعلام ، ج ٩ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ، ٢٧٩ ، وسعيد الديوهجي ، بيت
الحكمة ، الموصل ، دار الكتب ، ١٩٧٢ ، ص ٣١ - ٩ ، and M.G.Balty - guesdon ،
«Le Bayt al - Hikma de Baghdad » Arabica ، 39 (1992) 50 -- 131
(١٤) الملطي ، تاريخ ، ص ١٢٨ - ٦٢ ، وفيليب حتي ، تاريخ العرب ، لندن ،
مكملان ، ١٩٦١ ، ص ٣٠٢ - ١١ (بالانكليزية) ، واليعقوبي تاريخ ، ج ٢ : ٤٠٧ - ٩٢ .

الطبية ، كان لا بد من تطور مماثل في أساليب التعليم المهني والتدريس التخصصي في هذه العلوم . إننا نعلم من وثائق معاصرة أن الطبيب الحكيم الدمشقي (المتوفى حوالي سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م) كان له تلاميذ وأتباع ، يتمرنون ويتدربون على يديه ، ويمارسون المعالجات الطبية اليدوية من فصد ، وحجامة ، وجبر للعظام وغير ذلك من الاحتمالات الجراحية . غير أن هذه الاحتمالات وتلك المعالجات كلها كانت ، على ما يبدو ، مفتقرة إلى الدراسات الأكاديمية المنتظمة ، وخالية من التركيز على التعليم المنهجي^(١٥) .

في هذه الأثناء قام ابن ماسويه بتأسيس كلية طبية خاصة ، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العربي الإسلامي ، تولى التدريس فيها لعدد كبير من الطلبة ، والإشراف على تقدمهم العلمي والأكاديمي . وبذلك مهد السبيل لنشوء كليات أخرى مماثلة بعدها ، في مراكز ومدن عربية وإسلامية عريقة ، من دمشق والقاهرة وقرطبة ، إلى الري وبخارى وسمرقند . ونذكر من الطلبة ، الذين أخذوا وتعلموا على ابن ماسويه ، طالبين اثنين ، لمع نجمهما ، وعلا شأنهما بعد ذلك^(١٦) ، أولهما الطبيب الترجمان أبو زيد

(١٥) غورلت Ernst I. Gurlt ، تاريخ الجراحة ، ج ١ ، برلين ، ١٨٩٨ ، ص ٦١٨ - ٦٢٤ ، وسامي خلف حمارة ، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ، عمان أربد ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص ١٢١ - ٢ ، و« الطبيب عيسى بن الحكيم الدمشقي ورسائله المارونية » بلاد الشام في العصر العباسي ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ، تحرير محمد عدنان البخيت ، عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ ، ج ١ : ٥٤٠ - ٤٥٥ .

(١٦) « التثقيف الطبي في العصر الذهبي » ، الموسم الثقافي لعام ١٩٨٥ / ٦ ، تحرير ع . عطيات ، جامعة اليرموك ، أربد ، ١٩٨٨ ، ص ٦٥ - ٧٨ ، وسامي حمارة ، « مناهج العلوم الطبية » القدس الشريف ، العدد الستون ، ١٩٩٠ ، ص ٦١ - ٧٤ ، وتاريخ تراث ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٦ .

حنين بن إسحق العبادي (المتوفى في بغداد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ، الذي بدأ دراسة الطب على يد ابن ماسويه ، ولكنه استخف به في أول الأمر ، ونبذه من مجلسه في الكلية لالتباس في الفهم وقع بينهما . وعلى الأثر رحل ابن اسحق ، وتغرب في بلدان كثيرة ، سعياً إلى المزيد من العلم والخبرة ، وإلى إتقان لغة الإغريق ، واجتهد في ذلك حتى أجادها إجادة تامة . وفي أثناء رحلته زار المكتبات ، وقرأ المخطوطات الطبية بإمعان ، وجمع منها الكثير وأفاد ، حتى فاق طائفة المترجمين من أترابه مقدرة ومهارة ، فانتدبه الخلفاء لترجمتها ، والإشراف على نشرها ، فنقلها في أحسن أسلوب وأدق تعبير ، حتى صار يعدّ من أول واضعي المصطلحات الطبية العربية ، « وما زال أمره يقوى ، وعلمه يتزايد ، وعجائبه في النقل والترجمة والتفاسير والتأليف تظهر ، حتى صار ينبوعاً للمعرفة ومعدناً للفضائل » ، متمسكاً بأداب المهنة ، رافعاً من شأنها . فهرع الأطباء وطلبة العلم يقبسون من ترجماته ، ويتلقفون تأليفه وعلومها ، حتى إن معلمه ابن ماسويه سارع إلى الاستفادة من حكمته ، واعتذر له عما بدا منه ، ودعاه بالابن الرشيد ، وسعى إلى الارتباط به برباط وثيق من المحبة الصادقة والنوايا الصافية^(١٧) .

أما الطالب الثاني فكان إبراهيم بن عيسى (المتوفى في فسطاط مصر سنة ٢٦٠هـ/٨٧٢م) ، الذي غدا الطبيب الخاص للأمير أحمد بن طولون ، عندما كان قائداً للجيش في بلاد الشام ، وكذلك بعد تأسيس الدولة الطولونية ، التي كانت تضم قسماً كبيراً من بلاد الشام إلى جانب

(١٧) حمارة ، تاريخ تراث ، المرجع أعلاه ، ١٩٨٦ ، ص ١٦١ - ٥ ، وفهرس المخطوطات في المكتبة البريطانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٥ - ٤٠ ، ولوسيان لوكير L. Leclerc ، تاريخ الطب العربي ، ج ١ (طبعة الرباط ، ١٩٨٠) ، ص ١٣٩ - ٥١ ، والقفطي ، تاريخ ، ص ١٧١ - ٤ .

مصر أيضاً^(١٨) .

لقد اجتمعت لدى يحيى بن ماسويه ، عبر دراساته الواسعة ، وخبرته العملية والموضوعية ، مهارة في العمل ، وفصاحة في البيان ، وحسن في المحاضرة ، وبلغ في ذلك كله شأواً بعيداً لم يبلغه أحد من معاصريه ، ولا سيما في مضمار نقل تراث الإغريق القدماء . لذلك كثر حساده ، وكثرت حملاتهم على آرائه وتعليمه . فانبرى الأطباء اللامعون من آل بختيشوع للدفاع عنه ، فأبرزوا إنجازاته المشرفة ، وأقروا بافحامه خصومه بطلاوة حديثه ، وحسن معشره ، وحجته المقنعة في شؤون الطب والمنهج والأصول الصحية الناجعة^(١٩) .

لقد نجح ابن ماسويه في ممارسة الطب ، فسلمه الخليفة المأمون إدارة بیمارستان بغداد مدة من الزمن . لقد كان بیمارستان بغداد شيئاً عظيماً بالقياس إلى بیمارستان جنديسابور ، الذي لم يكن إلا نموذجاً غير متكامل ، والذي اقتصر في إدارته وعوده على فئة من المشرفين عليه والآوين إليه . أما بیمارستان مدينة السلام ، الذي تأسس في مطلع القرن التاسع الميلادي ، والذي قام بتنفيذ عربي ، وتخطيط إغريقي - سرياني ، وترويج فارسي - هندي^(٢٠) ، فهو يعدّ بحق أول مصحح من نوعه يماثل المشافي ودور الشفاء

(١٨) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ج ٢ : ٨٣ ، وشيخو ، علماء ، ١٩٨٣ ، ص ٣٩ ، ولوكليز ، تاريخ ، ١ : ١٨٢ ، وابن خلكان ، وفيات ، ج ١ : ١٧٣ - ٤ .

(١٩) القفطي ، تاريخ ، ص ٣٨٠ - ٨ ، وابن أبي أصيبعة ، عيون ، ج ١ : ١٧٥ - ٨٣ ، وابن صاعد الأندلسي الطليطلي ، طبقات الأمم ، ص ٣٦ ، وجورج غراف G.Graf ، تاريخ ، ج ٢ (الفاتيكان - روما ، ١٩٤٦) ، ١١٣ - ٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ج ٣ : ١٩٦ - ٧ .

(٢٠) حمارة ، « بیمارستانات ، وأصول التعليم الطبي فيها » ، الفكر العربي ، السنة الثامنة ، العدد ٤٩ ، كانون الأول (ديسمبر ، ١٩٨٧) ، ١٢١ - ٣٤ ، and «Vistas» Hamdard Medicus, Vol.32, n03, p.12-15.

العصرية ، لاتصافه بالصفات الأساسية الثلاث ، التي تتصف بها المشافي الحديثة ، وهي :

أولاً : كونه مركزاً دار شفاء ، يعنى بالمرضى جسمانياً ونفسانياً ، وهدفه الأساسي إعادة المريض إلى صحته وعافيته ، بالوسائل العلمية والمهنية من عناية طبية ومعالجات ورعاية ناجحة .

ثانياً : كونه مركزاً يرحب بزواره من مختلف الفئات الاجتماعية ، بغض النظر عن الجنس أو المذهب أو الطبقة أو العنصر ، ويعاملهم جميعاً معاملة حسنة وعلى قدم المساواة ، فيكلوهم بالرعاية الطبية الصحيحة دون تمييز ولا إجحاف .

ثالثاً : كونه مركزاً صحياً للتمرين الطبي والتعليم والتعلم ، تتوافر فيه وسائل نشر البحوث الطبية وتشجيعها ، ويقدم العون والرعاية المهنية للباحثين ، وتعد في المحاضرات والندوات والمناقشات حول تطوير العلوم الطبية وتنشيطها ورفع مستواها ، ودفع الخدمات الصحية قدماً إلى الأمام ، علمياً وأخلاقياً وتقنياً وإدارياً ، وفي مختلف الحقول^(٢١) .

وقد أفاد الطبيب والمحدث أبو الحسن يوسف بن إبراهيم بن الداية عام ٢١٥هـ/٨٣٠م، أن هارون الرشيد (تولى الخلافة من ٧٨٦ - ٨٠٩) هو الذي أمر بإنشاء هذا المستشفى . قال ابن الداية : « أمرني الرشيد باتخاذ مستشفى ، فأحضرت دَهَشْتَكَ من مستشفى جنديسابور لتقليده زمامه ، فامتنع عن ذلك » . فاستلمه آخرون . ثم إن ابن ماسويه ولي هذا المستشفى أيضاً في عهد المأمون ، كما أسلفنا ، وبتشجيع من جبريل بن

(٢١) القفطي ، تاريخ ، ص ٣٨٣ - ٤ ، وأصبيعة ، عيون ، ١ : ١٧١ - ٢ ،

وحمارة ، « تاريخ مهنة التمريض » ، العدد ٥٥ ، السنة الرابعة ، ١٩٨٩ ، ص ٦٣ - ٩ .

بختيشوع ، وربما كان لماسويه الأب ضلع في هذا الأمر ، مع أنه فضل ، على ما يبدو ، البقاء في خدمة الوزير ابن الربيع^(٢٢) .

ومن الأطباء الذين ناصرُوا ابن ماسويه سلمويه بن بنان (المتوفى سنة ٨٤٠ م) ، الذي عمل طبيباً للمأمون ثم للمعتصم ، الذي كان الأكثر رعاية له . وكان سلمويه والعبادي يقدران كلاهما علم ابن ماسويه الغزير وخبرته واطلاعه الواسع على مآثر قدماء الإغريق وتزوده من مهاراتهم ومعارفهم وأساليب معالجاتهم . فقد أفاد منهم ، على سبيل المثال ، أن المريض المصاب بحمى وارتفاع في الحرارة الغريزية تجب معالجته بالأدوية والأغذية الباردة ، وبالعكس يعالج برود أطراف المريض بالمعالجات الحارة^(٢٣) .

وفي العام ٢٢٣هـ/٨٣٨م أحرز جيش المعتصم انتصاراً حاسماً على جيوش البيزنطيين في بلاد الأناضول في آسيا الصغرى ، واحتل عمورية وأنقرة والمدن المجاورة . وقد نقل معظم المخطوطات اليونانية الموجودة في مكتباتها إلى العاصمة العباسية بغداد ، وأودعت في بيت الحكمة ، ليستفيد منها العلماء والأطباء ، ولكي تترجم إغناء للعلم والمعرفة . وقد عين ابن ماسويه أميناً على ترجمتها^(٢٤) .

(٢٢) المرجع أعلاه ، رقم ٢١ ، وحمارة ، « البيارستانات » ، مجلة الفكر العربي ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٥ ، « والثقيف الطبي » ، الموسم الثقافي لعام ١٩٨٦ ، جامعة اليرموك ، اربد ، ١٩٨٨ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢٣) القفطي ، تاريخ ، ٢٠٧ - ٨ ، ٣٨٣ - ٥ ، وشيخو ، علماء ، ١٧٠ - ٢ ، والراغب الاصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاوره الشعراء ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ ج ١ : ٢٦٣ .

(٢٤) ابن جُجل ، طبقات ، ص ٦٥ - ٦ ، أصيبعة ، عيون ، ج ١ : ١٦٧ -

وقد جرى المعتصم على نهج أسلافه الرشيد والأمين والمأمون ، فجعل قصره ندوة يجتمع فيها الفقهاء والأطباء وأهل العلم ، فيتداولون في سبل الحكمة والسعي إلى الحقيقة ، ويتناقشون في شؤون الدين والعلم والأدب . وكان ابن ماسويه ذكياً ذا فكاهاة ودعابة ، سواء في الجد أو في الهزل . وذات مرة كان يتحدث في مجلس العلماء في قصر الخليفة في شؤون الطب ، فأعلن أنه لا يجد مانعاً يمنعه من القيام « بتشرح جسم ابنه » ، الذي كان في طبعه ، خلافاً لأبيه ، بلادة وتخلف عقلي ، وذلك على نحو ما كان يفعل الطبيب الفيلسوف جالينوس (١٣٠ - ٢٠١ م) ، الذي « كان يشرح الناس والقرود » ، ويعرف بتشريحه أسباب بلادته ، فيريح الناس من سماجته ، ويكسب أهل صناعة الطب مما يتم اكتشافه « من تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوردته وأعصابه علماً ، ولكن السلطان يمنع ذلك » .

ومما يروى من نوادره « أن رجلاً شكاً إليه علّة كان شفاءه منها الفصد ، فأشار عليه به » ، فقال الرجل : « لم أعتد الفصد . فقال له يوحنا ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمه ، وكذلك لم تعتد العلّة قبل أن تعتلّ ، وقد حدثت بك ، فاختر ما شئت » (٢٥) .

وقد ازداد نجم ابن ماسويه سطوعاً ولعناً في الأعوام الخمسة من حكم الخليفة الواثق (٨٤٢ - ٨٤٧ م) ، الذي كان « مشغولاً ضئيلاً به » ، يصدق عليه المال ويرفع من شأنه ومكانته . وكان مجلس ابن ماسويه أعمر المجالس في العاصمة العباسية في زمانه ، سواء أكانت مجالس للأطباء ، أم لعلماء الكلام ، أم للفلاسفة . كان يجتمع في مجلسه أكثر أهل العلم فضلاً ورفعة . وكان خفيف الظل كثير الدعابة والطرافة ، وقد أقيمت الدنيا

(٢٥) القفطي ، تاريخ ، ص ٣٨١ - ٩١ ، وأصيعة ، عيون ، ١٧٥ - ٦ .

عليه حتى صار نديم الخلفاء وسميرهم ، حتى غمرته السعادة ، فبال منها ما لم يبلغه أمله .

« وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرة ابن ماسويه . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني (الخرفية) بالجوارشات (أو الجوارشات ، مركبات صيدلانية معاجين علاجية تحوي مواد عطرية تعجن مع العسل أو الشراب لتكون بشكل الحلويات ، وتعرفه باللاتينية باسم electuaries) الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء ، وفي الصيف الأشربة الباردة منها . وكان معظماً ببغداد ، جليل القدر . وله في الطب أسرار (ونوادير وفصول طبية) خلدها الناس لنفعها . وعرف الناس فضله لمهارته وحسن أدائه في التأليف والعلاج ، واعتبروه في مصاف الأطباء القدماء (الإغريق) النابهين ، كأبقراط وجالينوس^(٢٦) .

وقد خدم ابن ماسويه في آخر أيامه - وكان قد طعن في السن - الخليفة المتوكل في سامراء ، وتوفي فيها في ٤ جمادى الآخرة سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م ، حسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة . ويكون بذلك قد عاصر الرشيد والأمين في أول شبابه ، وتولى رئاسة الطب في قصور الخلفاء الأربعة ، من المأمون حتى المتوكل . ولم يحظ بمثل هذا الشرف أحد من قبل ، علاوة على أفضاله العلمية العظيمة ، مع أن بدايته كانت بسيطة ، ونسبه كان متواضعاً ، ولكنه باجتهاده المتواصل ، وذكائه الخارق ، ودعابته المرحة ، وتآليفه ذات النفع العميم ، خلّد ذكره ، وتعطرت سيرته ، وطبقت

(٢٦) وستفيلد=F.Wüstefeld ، تاريخ أطباء العرب ، غوتنغن ، ١٨٤٠ ،

ص ٢٣ ، وسارتون G.Sarton ، مقدمة في تاريخ العلم ، طبعة دوبرت كريغر ، نيويورك ،

١٩٧٥ ، ج ١ : ٥٧٤ .

سمعتة الآفاق^(٢٧) .

ولا يفوتنا ، استكمالاً للحديث عن سيرة ابن ماسويه وحياته ، أن نلقت النظر إلى التقارير والمخطوطات والوثائق ، التي كتب معظمها باللاتينية وبعضها بلغات غربية أخرى ، والتي تتحدث عن يسمونه ابن ماسويه الثاني ، أو الأصغر (Mesuë The Younger) وابن ماسويه الثالث (Third Mesuë) من القرن الثاني عشر أو القرن الثالث عشر الميلادي ، في أرجح الظن . أما ماسويه المعروف بالأصغر فهو الماردني (من بلدة ماردين في الأناضول بآسيا الصغرى ، وهي مسقط رأسه) ، فقد عاش في مدينة السلام ، حيث ذاعت شهرته في صناعة الطب . ودخل بعد ذلك في خدمة الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة ، حيث توفي سنة ١٠١٥ م . على أننا لا نعرف له أي أثر مخطوط بالعربية ، وكل آثاره ، التي ذكرها علماء الغرب ، هي باللغة اللاتينية ، وربما كان بعضها مترجماً إلى العبرية أيضاً على يد الطبيب الكابوي صموئيل بن يعقوب (Capua, ca. ١٢٧٥) . وبعض هذه المؤلفات يقع تحت العناوين التالية باللاتينية (مع بعض الشرح) :

- ١) كتاب في الأدوية المسهلة والمقيية = 1) De medicinis Laxatives =
- ٢) كتاب الكافي في الطب مع المعالجات النافعة
- 2) De consolatione medicinarum et correctione operationum earundem =
- ٣) في أسباب الأمراض المألوفة وعلاجها = 3) De egritudinibus =

(٢٧) أمسين خير الله ، أفضل سال العرب في الطب ، بيروت ، ١٩٤٦
(بالانكليزية) ، ص ١٠٣ - ٦ ، لوكليز ، تاريخ ، ١ : ١٠٥ - ١٠ ، وكامبيل
D.Campbell ، تاريخ الطب العربي ، لندن ، ١٩٢٦ ، ج ١ : ٦٠ - ١ .

4) Antidotarium sive grabadin medicamenturum compositurum, Known as the (pharmacopocorum evangelista) ascribed to its translation by Arnold of Villanova completed shortly after 1308 =

٤) كتاب في الأدوية البسيطة والمركبة ، المعروف باسم « الدستور الأساسي في تحضير العقاقير الطبية » ، نسبة إلى ترجمته التي قام بها الطبيب الكيميائي والمنجم أرنولد الفيلاونوف ، وفيلانوفيا بلدة تقع بالقرب من بولونيا بايطاليا ، مع أن هذا الطبيب المنجم مولود بالقرب من بلنسية بالأندلس ، بعد استيلاء الاسبان عليها .

كما أن له كتابات حول تقطير النباتات الطبية العطرة ، وكتاباً في التشريح والجراحة باللغة اللاتينية أيضاً ، وإن كان بعضها قد ترجم إلى العبرية على أيدي فرج بن سالم ويعقوب بن يوسف اللاوي (أو الهاروني) ، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي . غير أن هذه الكتابات كلها لا أثر لها في العربية ، ولا يوجد أي ذكر لها في أي مرجع يشير إلى أنها كتبت بلغة الضاد ، أو أن لها صلة مباشرة بالحضارة العربية الإسلامية الأصيلة ، لذلك نصرّف النظر عنها ، لأنها لا تعتمد على أصول صحيحة ومعروفة^(٢٨) .

آثار ابن ماسويه :

كل ما كتبه ابن ماسويه ، أو كل ما هو معروف مما كتبه ، يبحث في الطب ، وفي العلوم الصحية المساندة . فنشاطاته العلمية والمهنية كلها كانت مكرّسة لخدمة هذه الصناعة الشريفة . وكان ابن ماسويه من خيار

(٢٨) جورج سارتون ، مقدمة ، ج ١ : ٥٧٤ ، ٧٢٧ ، ج ٢ : ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٢ - ٤ ، ٢٣٧ ، ٣٤٣ ، ٥٢٢ ، ٨٥٤ ، ٨٩٣ - ٩ ، وغورلت ، جراحة ، ٢ : ٦٦٣ - ٩ ، ونيوبرغر Max Neuburger ، تاريخ الطب ، بالألمانية ، ج ٢ (١٩١١) ص ٢٢٦ - ٧ وشولان Ludwig Choulant ، تاريخ علم التشريح ، ليرج ، ١٨٤١ ، ص ٣٥٤ - ٨ .

الذين مثلوها في زمنه أفضل تمثيل ، سواء في قصور الخلفاء ، أو المراكز العلمية المعتمدة ، أو في البيمارستان والكلية ، أو بين العلماء والأطباء ، أو عند عامة الشعب . وإن هذا التخصص في المهارات الطبية ، والالتزام به التزاماً كاملاً ، لأمر يدعو إلى الاعتراز والفخر . لقد ملأ ابن ماسويه بنشاطه فراغاً ، كان لا بد من ملئه ، في عصر كعصره متفتح للحق والنور ، وهو العصر الذهبي الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية العريقة ، وهي في أوج نهضتها وانطلاقها ، وبزّت فيه الحضارات المعاصرة لها في ذلك الزمان قاطبة . زد على ذلك أن عباقرة علماء العرب والمسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا والبيروني ، على سبيل المثال ، لم يحصروا نشاطهم في حقل واحد كما فعل ابن ماسويه ، بل تعدّوه إلى حقول كثيرة ومتنوعة الجوانب : من طب وفلك ، إلى رياضيات وعلم اجتماع^(٢٩) .

وها نحن نعرض باختصار أهم تصانيف ابن ماسويه المحققة ، أو التي لا تزال مخطوطة تنتظر الشرح والتحقيق ، أو المترجمة إلى لغات أخرى .

أ - كتاب في جواهر الطب المفردة : حول العقاقير الطبية العطرة (العطرية) الرائحة ، وأسمائها ووصفها والتعريف بمنافعها وفوائدها الدوائية والتجميلية ، والأفاويه والتوابل ومنابتها . ومنها مخطوطات معروفة : مخطوطة في مكتبة برنستون في نيوجرزي بأمريكا ، في مجموعة قاربت تحت رقم

(٢٩) انظر رسالة التثبيح على سبيل السعادة ، لأبي نصر محمد الفارابي (المتوفى بدمشق حوالي ٩٥٠م) ، تحقيق سحبان خليفات ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ ، ص ١٩ - ٥٠ ، وسارتون ، مقدمة ، ج ١ : ٦٢٨ - ٩ ، وحمارة ، تاريخ تراث ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٦ - ٥٥ ، وفهرس المخطوطات في المكتبة البريطانية ، ١٩٧٥ ، ص ٤٠ - ٤٢ ، ٩٣ - ٩ ، ككتاب الجماهر مع معرفة الجماهر ، مقدمة بالانكليزية ، همدرد ، ١٩٨٨ ، ص ٣ - ٩ .

٢/٢١٥٤ ، تم نقلها عام ١١٩٤/٥٥٩٠ م ، ومخطوطة بدار الكتب بالقاهرة ، وأخرى في طهران ، ملك رقم ٦/١٥٦٩ ، في ست ورقات ، نقل القرن ١١هـ/القرن ١٧م^(٣٠) .

قام بتحقيق هذا الكتاب بول سباط ، تحت عنوان بالفرنسية في مجلة معهد مصر = (Bullet. de L'Institut d'Egypte) ، ج ١٩ ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٥ - ٢٧ . وكذلك Martin Levey, «I. Mäsawayh and his treatise on simple aromatic substances», Jour. Hist. of Med. and Allied Sciences, 16 (1961), 394 - 410 .

ب - كتاب ماء الشعير : مقالة صغيرة ، توجد مخطوطة منها بالقاهرة ، وأخرى بالجزائر تحت رقم ١٧٤٦/٢ ق ٧٦ - ١١٣ ، نقل القرن ١٠هـ/١٦م ، قام بول سباط بتحقيقها أيضاً ، وفي المجلة نفسها بالقاهرة ، ج ٢١ (١٩٣٩) ، ص ١٣ - ٢٤ . وما يؤكد أصالة هذه المقالة أن الرازي أتى على ذكرها في كتاباته .

وقد سبق للغريق أن كتبوا في هذا الموضوع ، ضمن الكتابات الابقراطية ، كما أن جالينوس نوّه بفائدة هذا العلاج . وأول من أشار إلى هذا الموضوع بدقة واهتمام من الأطباء العرب ، طيب معاصر لابن ماسويه ، ولكنه أكبر سنّاً منه ، هو أبو الحسن الدمشقي ، وذلك في رسالته الهارونية ، التي أنجزها حوالي عام ٨٠٧م في مدينة السلام ، قبل أكثر من ثلاثين عاماً من كتاب ابن ماسويه الموسّع ، والأكثر توضيحاً وشمولاً في

(٣٠) سزكين ، تاريخ ، ٣ : ٢٣٣ - ٤ ، أولمان Manfred Ullmann ، الطب

في الإسلام ، لندن ، بريل ، ١٩٧٠ ، ١١٢ - ٥ .

الوصف والعلاج^(٣١) .

ج - كتاب الأزمنة : في علاقة الطب بعلم التنجيم ، المعروف منذ زمن البابليين وقدماء المصريين . وقد أشارت إلى ذلك الكتابات الأبقراطية الإغريقية ، في كتاب الأهوية والمياه والأماكن ، في ثلاث مقالات حول المياه والمناخ والأمزجة والفصول حسب الأمكنة طبيياً وجغرافياً وتاريخياً ، وعلاقة ذلك بانتشار الأمراض ، وأثره في جسم الإنسان . توجد منه مخطوطة في القاهرة ، وبُرُصة في تركيا في مجموعة رقمها ١٧٢٩/١ ق ١ - ١٧ ، نقل القرن ٥هـ / ١١م . وقد ذكرها هلموت ريتز (H. Ritter) في مجلة الشرق (Oriens) ، ج ٣ (١٩٥٠) ، ص ١٠٣ ، وفي الاسكندرية بالمكتبة الأهلية ، رقم ٢/٣٣٢٨ في مجموعة متأسخرة النقل ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م ، حققها بول سباط في المجلة المصرية ، ج ١٥ (١٩٣٣) ، ص ٢٣٥ - ٥٧ . كما ذكرها الرازي تحت عنوان تدبير الأزمنة^(٣٢) .

د - دَغَل العيون : فحص هذا الكتاب الصغير الحجم ، الحاوي على ٤٧ باباً مختصراً ، أ.د. نشأت الحمارنة ، وما يرهوف وآخرون ، فاعتبروه أقدم كتاب تعليمي مستقل في طب العيون جرى تصنيفه بلغة الضاد . أما باليونانية ، فقد نشر ديمو سثينيس فلايثيس (Demosthenes Philaethes) في زمن دِيسقوريدس (Dioscorides) حوالي العام ٦٤م ، كتاباً هاماً في طب العيون ، ولكنه مفقود . لذلك يحق لنا اعتبار كتاب ابن

(٣١) « عيسى بن الحكم الدمشقي (المتوفى عام ٨٤١م) ، ورسالته الهارونية »

بلاد الشام ، ص ٥٧٧ ، وذكره ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ج ١ : ١٨٣ .

(٣٢) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ج ١ : ١٨٣ ، وسركين ، تاريخ ، ٣ : ٢٣٤ .

ماسويه أقدم ما هو موجود ومحقق في هذا الموضوع في تاريخ طب العيون ، يليه كتاب **عشمر مقالات في العين** لتلميذه أبي زيد حنين بن إسحاق العبادي (٨٠٩ - ٢٧٣) .

ويتميز أسلوب **دَعْلُ العين** بالأصالة والحيوية ، ومن مزاياه التعريف بأحوال المريض الصحية للتثبت من معالجته . وقد اعتمد المؤلف في اقتباس المصطلحات الطبية على الترجمة من اللغات السريانية واليونانية والفارسية ، وقد أحسن الترجمة ، وكذلك في تشريح العين وأمراضها ومعالجتها . وكان أول من وصف مثلاً مرض السبل المتكوّن من أوعية دموية تظهر على القرنية بسبب الحُخْر (أو الحُفْر ، أو الرمَد الحبيبي ، وبالْيونانية التراخوم الحشونتها) .

ومن المعتقد أن الكتاب عرف في الغرب ، فقد ترجمه قُسْطَنْطِين الأفريقي (المتوفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٧م ، في موتي كاسينو بإيطاليا) ، وعرّف به بتفصيل أكثر بروفر و مايرهوف (C. prüfer and M.) (Meyerhof, 1916) في مجلة الإسلام الألمانية ، ج ٦ ، ص ٢١٧ - ٢٥٦ ، وكذلك باغل (I. Pagel, Die angebliche chirurgie de I.Mesuë, Berlin, Hirschwald, 1893) . أما بالعربية فالكتاب نادر الوجود ، ذكره سباط في فهرسته (١ : ١٩ ، رقم ٩٧ بحلب) ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في القاهرة ، طب تيمور رقم ١٠٠ (ق ١ - ٩) ، وفي مخطوط الكناش المشجر الكبير (الباب ٢٧) فصل حول أمراض العين ومعالجتها ، وسيأتي شرح ذلك^(٣٣) .

(٣٣) نشأت الحمارنة ، تاريخ أطباء العيون العرب ، دمشق ، ص ٤٤ - ٨ ، و « الكحالة في العصر العربي الأول » ، مقالات حول العلم ، تحقيق الحكيم محمد سعيد ، كراتشي ، ١٩٨٧ ص ٧٥ - ١٠ .

هـ - محنة الكحالين : في تعريف أهمية المهنة ، وامتحان ممارستها من هم أهل لتعاطيها باستحقاق ، وهو كتاب على شكل سؤال وجواب ، لتعريف طلابها بأفضل الأجوبة في وصف الأمراض وتحديد أسلوب العلاج ، مع كل ما في ذلك من تطويل لا مسوغ له . وقد أتى على ذكر هذا الكتاب الرازي والقُمري في القرن الرابع هـ / ١٠م (٣٤) .

و - النواذر الطبية أو الفصول الحكمية والنواذر الطبية : وهي أمثال في آداب المهن الصحية وممارستها ، وقواعد ذهبية فلسفية ، وأقوال سائرة مأثورة ، وبديهيات في التداوير الطبية ، في حوالي ١٣١ فصلاً ، مهداة من المؤلف إلى تلميذه سابقاً ، وزميله وصديقه الحميم لاحقاً حين العبادي . ويخاطبه فيه كابنه الرشيد في مسالك الهدى وحب الخير ، وأنه

= يعتقد كاتب هذا المقال بان يحيى بن ماسويه نشر كتاب دغل العين ، أولاً ، ثم بعد ذلك بزمن ليس بقليل ، أكمل كناشه المشجر والحاوي في الباب ٢٧ شرحاً لأمراض العين وتشريحها ومعالجتها ، بعد أن زاد فكر المؤلف نضجاً ، وتبحر في العلم ، فأخذ يتجه نحو الواقعية في التفسير والدقة في التعبير وصار أجمل أسلوباً وأفضل أداءً . ويرجو الكاتب أن يخصص دراسة أعمق لتقويم هذا الكناش ، ولا سيما القسم المختص بالكحالة فيه .

أما كلمة دغل العين الفصيحة لغوياً فتدل على أن ابن ماسويه يملك ناصبة التعبير بلغة الضاد والدغل يدل على ما يدخل صفاء العين ويشوب نقاءها ، فيفسد وضوح الرؤية ، ويضعف قوتها ورونقها ، فيصبح العلاج لازماً لتشفى العين وتسترد صحتها .

(٣٤) توجد من هذا الكتاب الصغير نسخة موجودة في مكتبة نور عثمانية تحت عنوان معرفة العين وطبقاتها وأسمائها ومجاريها وأصول تركيبها ومسائل في عللها وامتحان في كيفية تركيبها رقم ٣٥٧٦ (٤) ق ٢٨/ب - ١٤٩ ب ، بخط نسخ $\frac{1}{2} \times 18$ سم ، كتبه علي أسطاي المتصوف عام ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م . انظر بروكلمن ، ملحق ١ : ٤١٦ ، وسركين ، ٣ : ٢٣٣ ، والبرت ديتريش ، الطب عند العرب ، غوتنغن ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٠ - ١ . وهناك مخطوطة منه في القاهرة ، وأخرى في بطرسبرج في روسيا ، ولكني لم افحص أية نسخة منها بعد .

متمم الآمال بنيل النجاح وبلوغ المراد ، إذ وجدته أهلاً للحكمة ، ومجتهداً في التخصص ، مستعداً لإكمال كتاب حيلة البرء للفاضل جالينوس ، ونقله من اليونانية إلى اللسان العربي^(٣٥) .

قام بتحقيق هذا الكتاب أولاً بول سباط بالقاهرة عام ١٩٣٤ ، ثم بتحقيق مفصل مع ترجمة ومقدمة فرنسية وفهارس مفيدة (طبع جنيف - وباريس ، ١٩٨٠) . وأول من ترجمه إلى اللاتينية قُسْطَنْطِينُ الأفريقي السابق ذكره ، وقد طبعت الترجمة في إيطاليا عام ١٤٧٨ م ، وفي بولونيا أيضاً عام ١٤٨٩ . وها نحن نقبس منه بعض الأفكار الهامة :

- ١ - الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بنصوص الكتب دون عمل الحكيم الماهر خطر .
- ٢ - النفس المطبوعة تعين الصناعة الطبية والطبيعة المدبرة ، وبالعكس .
- ٣ - الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع ، فان لكل حكيم نزعة عظيمة للخطر .
- ٤ - كما أن أخلاق النفس موروثه عن الآباء والأجداد ، كذلك الأمراض المزمنة موروثه عنهم ، لا سيما في الأعضاء الرئيسة .
- ٥ - إذا عاجلتَ فيما يقرب من الاعتدال ، وتطيب رائحته ، وإذا أمكن أن

(٣٥) أهدى المؤلف ابن ماسويه هذا الكتاب لابنه حنين ومنه نسخ مخطوطة في : الاسكوريال والقاهرة (في مجموع في ٣٢ صفحة نقل ٩٩٣هـ) ، وبمكتبة رشيد في اسطنبول رقم ٣٧٧ (٢) ق ٢٥ - ٣٤ ، نقل ١١١٩هـ ، وليدن تحت رقم شرقي ١٢٨ (٢) ١٤١ - ٦ ، بتاريخ ٧٢٤هـ ، وغوتنغن رقم ٩٩ ق ١٧٠ - ١٧٦ ، وفي الرباط رقم ٤٠٤ د (٣) ق ٣١ - ٦٤ ، وتاريخ النقل ٨٦٣هـ ، نقل الطبيب ناصر الدين محمد بن خضر ، وبمكتبة مدريد الوطنية ، رقم ٥٢٤٠ في ٩ ق ، وبمكتبة الأزهر بالقاهرة في مجموع ١١٨٤ ، ق ٦٧ - ٧٥ ، وتاريخ النقل ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م .

يُفتدى به ، فذلك الغاية .

٦ - النفس تابعة لمزاج البدن ، فمتى عَرَضَتْ علة ، لاسيما في الأعضاء الرئيسية ، لا تَدَعُ معالجة النفس بما يُشَمُّ ويُنْظَرُ إليه ويُفْرَحُ به ويَطِيبُ سماعه ، فذلك باب عظيم في العلاج .

٧ - معالجة الضد بال ضد يجب أن تكون على سبيل المنافرة ، لا على سبيل الامتزاج .

٨ - ينبغي للطبيب أن يوهم المريض الصحة أبدأ ويرجيه فيها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .

٩ - الأطباء الأميون والمقلدون والأحداث ، ومن قلت عنايتهم وكثرت شهواتهم قتالون جداً .

١٠ - ينبغي للطبيب ألا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علة ، من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضي بالأفضل .

١١ - إذا أسرع الطبيب بالمجاوبة في كل مسألة ، فليتهم .

١٢ - ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في حال صحته ، ومواضع آماله ، ثم يصورونها له ، ويرجونه فيها ، وينشطونه إليها .

١٣ - ينبغي للطبيب أن يتشبه في علاجه بفعل الطبيعة ، وإن طال العلاج وعُسِرَ وبعد ، ولا يعالج بما يظهر منه نفع على غير تدبير الطبيعة ، لأنه خدعة كالكيمياء (تحويل المعادن الرخيصة إلى الفضة والذهب بواسطة الأكسير) .

١٤ - ينبغي للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق بهم من الأطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً . ومن ساءل في مرضه كثيراً من الأطباء أوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم .

١٥ - مما ينبغي للأطباء ، إن أرادوا قرب الحقيقة ، أن يركبوا لكل علة دواء

مستنبطاً على قدر حدسهم ومنتهى حذقهم .

١٦ - ليس شيء في الطب يسير المؤونة : فأسهل مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أصعب مرض وأغمضه ، وأغمض مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أسهل مرض وأهونه في العلاج .

١٧ - الأمراض المزمنة والضعف في الأعضاء موروثه من الآباء ، لكنها تنقص إذا كان أحد الآباء سالماً صحيحاً .

١٨ - إذا استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية ، فقد وافق السعادة^(٣٦) .

ز - كتاب في إصلاح الأدوية المُسهلة ، وتركيبها ، وخاصة كل واحد منها ومنفعته ، وفي ترتيب سقي هذه الأدوية بحسب الأزمنة والأمزجة ، وكيف ينبغي أن يُسقى العليل ولمن غيره ، ومتى وكيف يعان إذا احتبس ، وكيف يمنع الإسهال إذا أفرط . وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان (De medicamentorum Purgantium delectu et castigatione) ، ولكننا لا نعرف لهذا الكتاب نسخة مخطوطة بالعربية^(٣٧) .

(٣٦) كان الأب بول سباط الأسبق إلى القيام بهذا التحقيق عام ١٩٣٤ . وبعده ، في عام ١٩٨٠ ، قام بهذا التحقيق بالعربية والفرنسية = D. Iacguart and G. Trupeau انظر الصفحات : ٥ - ١٩ ، ١٠٦ - ١٨ ، ١٤٤ - ٨ وقد ذكر النوادر أيضاً ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ص ١ : ١٨٣ .

(٣٧) ولكن الطبيب أبا بكر الرازي ذكره في كتاب الحاوي الكبير ٥٢ مرة في شرح الأمراض وسبل معالجتها ، كما نشر في إيطاليا (في فلورنسا) عام ١٨٧٦ م ، وفي عام ١٨٩٣ م ذكره المؤرخ موريزشتاينشنايدر في طبقاته وتواريخه Die hebr. übersetz . في تراجم علماء العصر الوسيط ، رقم ٤٦٥ وص ، ٧١٨ ، وسزكين ، تاريخ ، ج ٣ : ٢٣٣ .

ج - الكُنَّاش المشجَّر الكبير : يُعدّ هذا الكُنَّاش (أو الدستور الطبي التعليمي للأمراض والمتعلق بالمعالجات الدوائية) من أكبر تآليف ابن ماسويه وأجلّها شأناً في بابه ، وهو مُشجَّر لأنه يحوي جداول أو رسوماً بيانية مصورة تبين أسباب هذه الأمراض ، ودلائلها ، وتشخيصها ، والمعالجات المناسبة ، حسب أمزجة الجسم والأخلاق فيها . ومن هذا الكُنَّاش توجد ثلاث مخطوطات معروفة :

١ - مخطوطة بانكيبور بالهند ، في المكتبة العامة الشرقية ، المجلد الرابع (١) رقم ٢١٦٧ في ١١٧ق ٢ غير كاملة ، موجودة في خزانة خدابخش ، في مدينة بنه - بهار ، وهي بخط نسخ معتاد واضح ، ترجع إلى القرن ٩هـ / ١٥م ، في الصفحة ٢٢ سطرأ ، والمقاس : $\frac{1}{4}$ ، ١سم X ١٥سم^(٣٨) .

٢ - مخطوطة تحت عنوان كُنَّاش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها (المشجَّر الكبير) في مكتبة مولانا محمود البركات بتونك ، بخط نسخ جميل نفيس في ١٥٢ق ، المقاس ١٨ X ٢٤سم ، تمّ نقلها في ٩ جمادى الأولى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠١م على يد الطبيب أبي المظفر بن علي بن أبي الفتوح القرشي ، المولود في مدينة حمص السورية ، والذي درس مهنة الطب في دمشق ، حيث واصل ممارسة المهنة بعد تخرجه ، كما عمل طبيباً في البيارستان النوري الكبير ، وكان فضله في عمله معروفاً ومحموداً حتى وفاته سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م .

(٣٨) حصل كاتب هذه المقالة على نسخة من هذه المخطوطة مصورة بخط نسخ واضح مع الجداول ، وهو يقدم الشكر للمسؤولين في خزانة خدابخش في بنه بالهند لإذنتهم بفحصها وتقريرها . انظر الوصف في فهرس المخطوطات المصورة ، تحقيق إبراهيم شيوخ ، ج ٣ (٢) طبع القاهرة ، معهد المخطوطات العربية التابع للجامعة ، ١٩٥٩ ، ص ١٧٣ - ٤ .

إن ما قمنا به من شرح وتعليق على هذا الكُنَّاش يعتمد على نص هاتين المخطوطتين المذكورتين آنفاً لمولانا بركات أحمد وخليفه ابن الصمد محمود البركات ، مصورتين في صورتين شمسييتين على (الميكروفلم) ليدرسهما كاتب هذا التحقيق . ونحن نسجل الشكر الجزيل للمسؤولين عن المكتبتين لما قدموه من مساعدة في الحصول عليهما .

وفي آخر نسخة مولانا بركات فصل نقله الناسخ عن الأصل يفيد بأن الكتاب قد ألفه ابن ماسويه باللغة السريانية ، واحتفظ به بين كتبه للاستفادة منه ، وربما كان يقوم بمراجعته وإكماله وتدقيقه ، فجاء متكامل المعاني جمّ الفوائد ، حتى لقد أثنى عليه كل من ابن جلجل والقاضي القفطي . وهذا الفصل يوضح أن المتطبب أبو عيسى دانيال بن يوحنا وجد هذا الكُنَّاش بين كتب ابن ماسويه من دون ترجمته إلى العربية ، فلما حانت وفاته أراد أبو عيسى إخراجها لفائدة الطبيب الممارس وطالب الطب معاً ، لما فيه من منافع في علامات الأمراض وأسبابها ومعالجتها ، فأعلم بذلك منصور بن طلحة مولى أمير المؤمنين (الخليفة المتوكل ؟) - وكان أبو عيسى يعمل أيضاً في قصر الخليفة - فطلب إحضاره ، فلما رآه وأعجب به ، وفيه جداول التشجير ، أمر أبا عيسى ابن يوحنا بترجمته من السريانية إلى العربية لإجاده السريانية إجادة تامة . ولكنه شكك من أن بعض المصطلحات والمشتقات صعبة معقدة لمن ليست له معرفة أصيلة بالعربية ، فطلب مساعدة من القاضي غسان بن محمد من أهل الكوفة ، ومن عبد الله بن مصعب ، فأكمل الترجمة (٣٩) .

(٣٩) شيوخ ، فهرس ، ج ٣ (٢) ، ص ١٥٨ - ٩ ، وتقدم بالشكر للمسؤولين عن مكتبة مولانا للسماح لنا بدراسة هذه المخطوطة على الميكروفلم (صورة شمسية) ، وهي أكمل نسخة لهذا الكُنَّاش ، تم نقلها بواسطة المتطبب أبو المظفر بن علي بن الفتح القرشي بدمشق عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م زمن الايوبيين . انظر أيضاً أصيبعة ، عيون ، ج ٢ : ٢٠١ .

٣ - ومخطوطة ثالثة في خزانة رضا رامبور (١: ٤٩٤ رقم ٢٠٤ طب ، تقع في ١٥٦ ق ، وتاريخ النقل في ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٥ م) (٤٠) .

وها نحن نشرح هذا الكُنَّاش بأبوابه كلها ، ونقومه باختصار :
 الأبواب الأربعة الأولى : كُنَّاش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها ، المعروف بالمشجّر الكبير ، يبدأ الكُنَّاش بداء الثعلب وأسبابه ، والاستدلال على أنواعه ومعالجتها ، ثم الحزاز ، والفصل بين داء الثعلب وداء الحية : في السبب والشكل والمكان في الجسم . فداء الحية يكون في جلد الجسد كله ، وداء الثعلب يكون في شعر الرأس والحاجب واللحية ، ثم الثور في جلدة الرأس ، وأنواع الخراجات والقروح وأنواعها وأسمائها ، وتسبب القمل في الرأس وفي البدن ، وعلاج ذلك .

الباب الخامس : في الصداع في الرأس نصفياً (الشقيقة) ، أو كلياً ، وما هو كائن من سوء المزاج ، أو من الورم ، أو من مشاركة من أعضاء أخرى في الجسم ، كالكبد أو المعدة أو الطحال أو الرجلين ، مع الحمى أو بدونها ، أو ما يعرض له من الخارج ، مثل ضربة (أو حرّ) الشمس ، أو شرب الخمر المسكرة ، وتشخيص أنواع الإصابة ، وأوصافها ، والأخلاق المشاركة ، وطرق المعالجات ، بما في ذلك الشقيقة (migraine) أو الصداع النصفي .

الأبواب من السادس حتى الثامن : في النسيان وأسبابه والتشخيص ، والسبات السّهري كعلة مركبة agrypno coma (فهي سبات مع التيقظ

(٤٠) ظهرت كتابات يحيى بن ماسويه الطبية المتميزه كالنوادير وماء الشعير ، وجواهر الطيب وآخرها الكُنَّاش قبل نظائرها من كتابات الرازي بأكثر من ٧٥ سنة ، والمجوسي بحوالي ١٤٠ سنة ، وقبل شهرة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ١٠٣٧ م) بحوالي ١٨٠ سنة . انظر سزكين ، تاريخ ، ج ٣ : ٢٣١ - ٣٦ .

والهذيان) والعلامات والأنواع والعلاج ، بما في ذلك العلاج الغذائي . وفي الصدر ، وهو الخيرة وعدم المبالاة والزغلل في البصر ، والدُّوار (وهو شبه الدوران يأخذ بالرأس ، وعند العامة الدوخة=Vertigo) ، والأسباب والعلامات ، ومعالجته في وقت هيجانه وفي وقت سكونه . ومن الجدير بالذكر أن بعض الأمراض الجلدية وعلاج الصداع والصداع والدوار لها مقالات منفصلة في أهم المراجع العربية^(٤١) .

الباب التاسع : في الوجد المسمى باليونانية قرانيطس ، وهو ورم حار يحدث في الدماغ نفسه ، أو في أغشيته (وهي الحُجُب التي تحيط بالدماغ) أو الرسام الحار ، وعلامته شدة الوجد في الرأس ، وتواء العينين ، واحمرار الوجه ، وثقل في الرأس ، وسبات ، وقلق شديد ، وهذيان (أو اختلاط العقل ، أو التهاب السحايا=meningitis) .

الباب العاشر : في الوجد المسمى فلغموني ، أي الورم الحار الكائن في الدماغ ، مع ألم في الرأس بسبب تورم في الدماغ ، ومع الغثيان والقيء واحمرار الوجه وانتفاخه ، ترافقه حمى حادة . يعالج بالفصد ، مع تضميد الرأس بالأشياء المرطبة المحللة ، ويسقى المريض ماء الشعير والعنّاب والخبازي والبقلة اليمانية .

الباب الحادي عشر : في الحُمرة في الدماغ مع الوجد الشديد في الرأس كله ، والالتهاب وبرد الوجه وصُفْرته ، ويُسّ الفم . ويعالج بالفصد ، ويسقى المريض ماء العنّاب والتمر الهندي والإجاص ، أو يسقى ماء الشعير

(٤١) في المراجع والهوامش ركزنا في البيسليوغرافيا على ما تمّ ذكره من كتب ابن

ماسويه في كل من ابن جليل وابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة وغيرهم من المؤلفين حتى زمننا . ونعتقد أن بعض هذه الكتب المنسوبة إلى ابن ماسويه مستقلة قد تكون قد اشتملت على هذا الكناش موزعاً حسب عناوين أبوابه الثمانية .

مع الرمان وماء عنب الثعلب مع الخيار شنبر وأكل البقلة الجمانية والقطف^(٤٢).

الأبواب من الثاني عشر حتى السادس عشر : في كثرة النوم العارض في الحميات تعترضها الأحلام الغريبة ، والفرع ، واسترخاء الجبين ، والرطوبة في الرأس ، والسبات ، والماليخوليا أو داء الوسواس ، وفساد الفكر وذهاب العقل بلا حتمي ، والمراقى النافخ واحتلال العقل ، وولوع شديد وعبث ، ثم الهديان وذهاب العقل .

الباب السابع عشر: في الصرع (باليونانية = epilepsy = scizure). وفي هذه العلة يلاحظ امتداد جميع الجسد ، مع امتناع الأفعال المدبرة حسياً وحركياً ، إما من الدماغ أو من المعدة أو بعض أعضاء الجسم كالرجلين . أما مقدماتها : فحزن بغير علة ، وتنبه العقل ، والنسيان ، ورديء الأحلام ، والصداع . ويقترح المؤلف العلاج حسب السن والحالة : ففي حالة الصبي الرضيع ، أو من هو أكبر سناً تكون « راسخة في الدماغ نفسه » ، وتكون في هذه الحالة أصعب مما لو كانت في وعائه . وأكثر ما تتعرض للأطفال ، وبعدهم للصبيان ، ثم للمراهقين ، وقلما تعرض للكهول والمشايخ .

وعلامه الصرع : « سقوط العليل ، وامتداد جسده ، وارتعاشه ، وصياحه ، وظهور الزبد من الفم » ، وأعراض أخرى تحدث أيضاً . أما

(٤٢) رجعنا في هذه المصطلحات والمعالجات لعدة مراجع منها : سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، ورمزي مفتاح ، النباتات الطبية والمفردات العطارية ، القاهرة ، الباي الحلبي ، ١٩٥٣ ، وابن الفف الكركي ، جامع الغرض ، تحقيق حمارة ، ومطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص ٥٠٠ - ٦٤٠ .

العلاجات ، ولا سيما الغذائية منها ، فيذكرها المؤلف بالتفصيل ، كما يقترح « امتحان من به الصرع وكشفه بهذه الأشياء »^(٤٣) .

الأبواب من الثامن عشر حتى الحادي والعشرين : في الرعونة وفساد مؤخر الدماغ = cerebellum؟ أما القُطْرُبُ فنوع من الما ليخوليا ووسواس الرأس والهوس وفساد العقل مع شدة العطش . والكابوس ، وهو ما يحصل للانسان في نومه ، فيزعجه ويضايقه . ويرى المؤلف أن هذه العلة مقدمة لثلاث علل : الصرع والمانيا (الجنون) والسكتة بانقطاع الصوت والحركة وثقل في الرأس وانتباه من النوم بغتة ، والمعالجة بالدواء وقلة من الطعام . وأما العشق فيسبب كآبة صماء ، مع ألم نفسي وكثرة في الحركة ، وتكون العيون غائرة جافة ، وتذبل أعضاء الجسم كلها ، ويعي المريض عند ذكر من يحب أو سماع اسمه ، وعلاجه بإشغال المريض بالصناعات أو بالاستماع إلى الألحان الجميلة ، ومصادقة من يحب أو من يشبهه شخصاً وصورة وحسناً^(٤٤) .

الأبواب من الثاني والعشرين حتى السادس والعشرين : في السكتة والفالج والاسترخاء في أحد الشقيين أو كليهما ، وفي مقدمة الدماغ أو في مؤخره ، وانقطاع الأفعال المدبّرة والحس والحركة في جميع الأعضاء . أما مقدمات

(٤٣) انظر أيضا : الفرائد الدرية - عربي - انكليزي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، إبراهيم مذكور وإبراهيم انيس ومن معهم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، مطابع دار المعارف ، ١٩٧٣م ، ومهذب الدين أبو الحسن علي بن هبل البغدادي ، كتاب المختارات ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن بالهند ، ١٣٦٣هـ ، ج ٢ (الجزء الثالث) .

(٤٤) ابن هبل البغدادي المختارات ، الجزء ٣ : ٢٠ - ٥٤ ، والياس انطون الياس ، القاموس العصري ، الطبعة الثامنة أو بعد ذلك ، القاهرة .

السكتة : فصداع شديد ، وانتفاخ الأوداج ، ودوار ، واختلاج ، وبرد الأطراف . وأكثر ما تُعرض للمشايخ .

أما اللقوة فهي - كما يرى ابن ماسويه - استرخاء جانب الوجه ، وميلانه إلى الجانب الآخر الصحيح . وتعالج بربط الجانب المائل بعصابة . ومن الاسترخاء ما هو سهل المعالجة ، ومنه ما لا علاج له . أما التشنج فيكون إما من الامتلاء وتوالي الرطوبة ، أو من الخلاء وتوالي اليبس . وأما الامتداد فيُعرض إما في العصب وعضلات العنق أو في العضلات المقدمة والمؤخرة معاً . وينجم إما عن تعب ، أو نوم على الأرض ، أو عن حمل ثقيل ، أو سقطة ، أو من حرق النار ، أو ضربة . وأما علة الارتعاش فتكون من ضعف العصب ، وتعالج بالدواء والغذاء^(٤٥) .

السباب السباع والعشرون : في أوجاع العين : كالورم الحار في العين ، وانقلاب الجفن وخشونته ، أو انتفاخه وتورمه ، والجسسا ، والحكة ، والناصرور ، والشعر الزائد المنقلب ، وانتشار الأشفار ، وقرحة العين ، وتواء العينية ، واجتماع المدة في القرنية ، والظفرة ، وسرطان القرنية ، والقروح ، وضعف البصر ، والعشي (العشا) ، والحول ، وفي طرق المعالجة^(٤٦) .

(٤٥) البغدادي ، المختارات ، المرجع أعلاه ، ج ٣ : ٦٠ - ٧٩ ، ودورلاندي في القاموس الطبي المصور (بالانكليزية) ، الطبعة ٢٦ وما بعد ذلك ، مطبعة سوندرز ، فيلادلفيا ، ١٩٨١ م .

(٤٦) البغدادي ، المختارات ، الجزء ٣ : ٨١ - ١٣٩ ، ونشأت الخمارنة ، تاريخ أطباء العيون العرب ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، و« المهذب في الكحل لابن النفيس » ، دمشق ، مطابع ألف باء ، ١٩٨٦ ، ص ٣ - ١٢ ، والخمارنة ، « مقدمة حول طب العيون العربي » ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، العدد ١٧ (١٩٨٤) ، ص ١٥٣ - ٨٥ .

الأبواب من الثامن والعشرين حتى الثاني والثلاثين : في أوجاع الأذن وعللها وأنواعها : كالانسداد في الأذن ، والورم في المجرى ، أو تجمع القيح فيه ، أو دخولها (الأذن) شيء من خارج ، أو دمٌ يسيل من الأذن ، أو وسخ ، أو دود يتولد فيها ، وعلاج هذه العلل . ثم في أوجاع الأنف والمنخرين : كأن تنبت في المنخرين زوائد ، أو أن يسيل منهما الدم (الرعاف) ، أو أن تسيل إليهما رطوبة منتشرة من الرأس ، وسبل العلاج يلي ذلك ذكر أوجاع اللسان : كالأورام ، والقروح ، والتشنج ، ومعالج ذلك . ثم يأتي ذكر البخر ووجع الفم والأسنان وفسادها : ويكون من نوع الطعام والشراب ، أو مضغ الأشياء العلكة ، أو كسر أشياء صلبة ، ومعالجة هذه العلل . ثم تورم اللهاة (uvula) والحنك واللوزتين والخوانيق ، وما يعرض لها ، وعلاجها^(٤٧) .

الأبواب من الثالث والثلاثين حتى الثامن والثلاثين : في النوازل ، والزكام ، والسعال وأسبابه وأنواعه ومعالجته ، وفي وجع التهاب ذات الرئة ، الذي يعرض فيها عقب النوازل ، أو الخوانيق الشديدة والبرسام ، ونفث الدم من الصدر والرئة ، أو من الحنك والحنجرة ، أو من المعدة والبطن ، أو من الرأس ، وعلاجه . وفي التفريح أو التقيح من الحجاب الحاجز ، أو من الصدر والرئة . وفي الخراجات (abscesses) الكثيرة ، سواء أكانت حادة ، أم سنخية ، وسواء أكانت باردة ، أم حارة ، أم قيحية (pyemic) . أما التهاب ذات الجنب ، أو البرسام (pleurisy) ، فيقول ابن ماسويه فيه : « إنه يعرض في الحجاب الحاجز ، أو الغشاء المحيط بالرئة (أو ذات

(٤٧) البغدادي ، المختصرات ، الجزء ٣ : ١٤٢ - ٨٩ ، وأ.ل. كليرفيل وترجمة

مرشد خاطر ومن معه وتحقيق حسني سبوح ، معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات ،

دمشق ، ١٩٨٣ (٤٠٤ هـ) .

الجنب) « ، ومنه ذات الجنب الخالصة الحادة ، وغير الخالصة الحجابية ، وفي العضلات الحجابية = diaphragmatic^(٤٨) .

الأبواب من التاسع والثلاثين حتى الحادي والأربعين : في أوجاع القلب : الغشي ، وسقوط القوة ، والخفقان . ثم أوجاع الشدي . أما تغير روائح العرق ، والصَّتان في الإبطين وجميع الجسد ، والعقاير والأطلية المزيلة للرائحة ، وأهم الأدوية الناجعة (deodorants) ، فالكلام فيها في هذه الأبواب مختصر .

السبب الثاني والأربعون : في أوجاع المعدة ، كالعطش ، والاحتراق ، والقيء ، والفواق (الهقّة أو الزُّغْطَة عند العامة=hiccup) ، والتهوُّع ، والشهوة الكلبية=bulimia (البقرية) ، أو الشعور بالجوع شعوراً زائداً غير طبيعي ، أو ضد ذلك بذهاب هذه الشهوة ، وفي الأورام والقروح الحادثة فيها وأعراضها : كالدبول ، والغشي ، والنفخة ، والتشنج . ويرى ابن ماسويه أن وجع المعدة يمكن أن يسبب الهیضة (الكوليرا) ، كحركة مفرطة في البطن يسببها التخم ، وكثرة الرياح فيه ، والتمدد في الشراسيف^(٤٩) .

الأبواب من الثالث والأربعين حتى الثامن والأربعين : في أوجاع الكبد : كضعف القوة ، والسَّدد ، وسوء المزاج ، والورم الفلغموني الحار أو الصلب ، وأنواع هذه الأوجاع ، وعلاماتها ، وأعراضها العامة . ثم في

(٤٨) ابن هُبَل البغدادي ، المختارات ، الجزء ٣ : ١٩٢ - ٢١٦ ، والموسوعة الطبية=The Mosby تحقيق و.د.غلائر ومن معه ، المطبعة الاميركية الجديدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ .

(٤٩) البغدادي ، المختارات ، ٣ : ٢٥١ - ٨٧ ، وكتاب المعدة وأمراضها ومدداواتها ، لأبي جعفر أحمد ابن الجزّار القيرواني ، تحقيق سلمان قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ص ١٣ - ٢٠ ، ٧٣ - ٢٥٧ .

البرقان ، محموداً كان أم رديئاً ، وعلاجه . وفي مرض الاستسقاء ، وتعريف مصطلحه العربي (الطوبل) ، ومنه الطَبلي ، والزقي ، واللحمي ، وهذا يمكن أن يعالج بمداخلة جراحية ، في رأي ابن ماسويه ، بقطع عرق الباسليق الأكلحل ، ثم بالمعالجة الدوائية والغذائية بمنتهى الدقة وحسن التدبير . ثم في أوجاع الطححال والعلل العارضة من الأطعمة ، وهي متعددة . وتعالج بالأدوية المطلقة الناجعة . وفي الاختلاف في المنشأ : من المعدة ، أم من الكبد ، أم من الأمعاء ، والاستدلال على كل منها ، ومعالجته على حدة . ثم حول المفض (colic) وأنواعه : من الريح ، أو الكيموس ، أو خلط المرة الصفراء ، والاستدلال على كل منها ، وسبل المعالجة^(٥٠) .

الأبواب من التاسع والأربعين حتى الحادي والخمسين : في القولنج ، منفرداً كان أم مشتركاً مع الكبد ، أو البطن ، أو الكلى وغيرها من الأعضاء ، وأنواعه ، وطرق معالجة كل منها . ويذكر أن مرضاً في المعاء (أو الأمعاء) الدقاق ، اسمه بالسريانية معناه « ربّ ارحم » ، لا يغيّر الدبل ، فيقي صاحبه من علة القولنج ، ومن هنا جاء اسمه .

ويرى ابن ماسويه أن علل الاجسام الطبيعية أربع : الفاعلة كالنجار والبناء ، والعنصرية كالخشب والحجارة ، والآلية كالمنشار والناس ، والجمامية كالباب والبيت . وهذه تتوافق مع تكوين الديدان في الحشا ، وهي : الديدان الطوال في الأمعاء الدقاق ، والعراض في الأمعاء الغلاظ ، والصغار التي تتكاثر في المعاء المستوي (وهو المستقيم) ، وهي الأقل ضرراً ، والسريعة الخروج من البدن كالطوال ، مع الاستدلال على الأعراض ،

(٥٠) البغدادي ، المختارات ، ٣ : ٣٤٧ - ٩٩ ، وج . ميكينز J.C.Meakins

ممارسة الطب (بالانكليزية) ، الطبعة الثالثة ، موسبي ، سنت لويس ، ١٩٤٠ .

وتدابير خروجها ، والشفاء (أو الخلاص) منها^(٥١) .

الأبواب من الثاني والخمسين حتى الستين : في أوجاع الكلى ، والأعراض الجامعة للقولنج ، ولمن به حصى الكلى ، أو حصى في المثانة ، واستدلالات ذلك . ثم في الورم الحار أو الدموي في الكلى ، أو نضجه واستحالاته إلى القيح ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وغذائياً . وفي تقطير البول وعُشره واحتباسه ، والأنواع والعلاج . وفي وجع الديابيطس (الداء السكري diabetes mellitus) ، ومعناه باليونانية عبور البول وخروجه (مع العطش الشديد المفرط) . وبهذا يكون يحيى بن ماسويه رائداً بين الأطباء العرب ، إذ كرّس فصلاً كاملاً لهذه العلة . ثم باب في سيلان المنى ومعالجة ذلك ، والأمراض التناسلية في الذكور ، ومنافع الجماع ومضاره ، وتجنب ذلك . وفي الأوجاع التي تعرض للذكر وفيه ، كالورم ، والقروح ، والخُراج الصلب ، والمعالجة^(٥٢) .

الأبواب من الحادي والستين حتى الرابع والستين : في الرحم ، من الناحيتين التشريحية والفيزيولوجية (الوظائفية) ، وموانع الحمل من قبل الذكر أو الأنثى ، وعلامات الحمل وأعراضه : كوجع المراق والظهر ، والغثيان . ثم ما يعرض في الرحم من أمراض : كالورم ، ولا سيما السرطاني منه ، الذي ليس له برء ، ولكن يُعمل في تسكين أوجاعه . ثم في احتباس الحيض أو

(٥١) البغدادي ، اختصارات ، ٣٠٩ - ٤١ ، مارشيانستانهوب M.Stanhope

تدبير طب المجتمع في الممارسة الصحية ، سنت لويس ، موزي Mosby Co . ، ١٩٨٤ ، ص ٢٨٠ - ٤ ، ٩٥٩ ، وميكيتز ، ممارسة الطب ، ١٩٤٠ ، ص ٥٩١ - ٦٨٦ .

(٥٢) البغدادي ، اختصارات ، ٣ : ٤٠٣ - ٣٩ ، وستاينغاس F.Steingass

قاموس فارسي - انكليزي ، لندن ، ١٩٦٣ ، وعبد اللطيف البغدادي ، مقالتان ، تحقيق بول غليونجي ومن معه ، التراث العربي ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٣ - ٥٧ .

اختناقه ، أوميلا نه ، أو انقلابه ، والمعالجات في ذلك . وفي علامات الذكر والأنثى ، وعسر الولادة وعلاجها . وفي احتباس دم الحيض ، أو نزفه ، وسببه ، والمعالجة ، أما الباب الرابع والستون فهو باب في أوجاع المقعدة والبواسير وعلاجها^(٥٣) .

الباب الخامس والستون : في النقرس ، ولا سيما الآلام الشديدة في إبهام القدم = Hillex . وفي عرق النسا ، وهو وجع يتدئ في حقّ الورك وينتشر ، فباقي الكعب والخنصر ممتداً ، وسببه ، والاستدلالات ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وتضميداً^(٥٤) .

الأبواب من السادس والستين حتى الثاني والسبعين : في القوباء impetigo ، سواء في أعضاء البدن أو في اللحية (الذقن = mantagra) ، والاستدلالات ، والمعالجة . وفي البرص ، وهو مرض يحدث في الجسم كله قشراً أبيض مع الحكاك الشديد ، ويسمى الوضح ، لبياض لونه . ويبدأ العلاج بتأن ، ثم يتدرج بالذلّك الشديد ، فإذا احمرّ الجلد سريعاً كان العلاج هيناً ، وإذا احمرّ ببطء كانت العلة عسيرة الشفاء ، وإذا لم يحمرّ البتة كان البرص متقدماً جداً ، ولا يقبل العلاج . أما البهق = Vitiligo ، فمنه الأسود ، ومنه الأبيض ، ويعالج جراحياً ، وبالذواء والغذاء . ثم في الحمرة ، والاستدلال عليها بسرعة انتشارها ، أو

(٥٣) ابن هُبَل البغدادي ، المختارات ، الجزء ٤ : ٢ - ٧٩ ، الطفل في الطب العربي ، أبحاث ، جمع واعداد عبد الكريم أبو شوبرب ، ج ١ ، طرابلس ، جامعة الفاتح ، ١٩٨٢ ص ١١١ - ٩ ، ٢٣٩ - ٤٠ ، ٣٢٧ - ٣٨ ، ٤٠٧ - ٢٧ .

(٥٤) البغدادي ، المختارات ، ٤ : ٨٤ - ١٢٣ ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، « في وجع النقرس » ، مجلّة فائيسس ، فلورنسا ، ايطاليا ، ج ٢٠ (١٩٧٨) ، ٤٨ - ٣١ .

انتفاخها ، أو ثباتها من غير انتشار ، والمعالجة . أما الخدر ، الذي يعرض للأصابع ، من برد شديد ، أو شقاق ، وأوجاع الأظفار ، فيكون علاجه بالأظلية والمراهم والأدهان الدوائية المناسبة .

وفي علة الجمار يقول ابن ماسويه : « أما علة الجمار فهي تنفيط ، كالذي يعرض من حرق النار ، فإن كانت في اللحم أبيضت سريعاً ، وإن كانت في الحجب والعصب طالت وألمت ما حولها ، وولدت ورماً حاراً مع تقيح » ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما علة الجذام فأسبابها قد تكون وراثية من الآباء ، أو يكون سببها خلل في سير استمراء الغذاء أو رداءته ، أو انسداد في الطحال ، أو عدم صلاح مكان الايواء لخلوه من الهواء النقي . ومن الجذام نوع يمكن علاجه ، « ونوع رديء ، يولد قروحاً ، ويُسقط اللحم ، ويسرع بصاحبه إلى التلف » ، ويعالج كلاهما جراحياً ودوائياً . وبمناسبة الكلام في الجذام قيل في المراجع التاريخية عن كُنَّاش ابن ماسويه إنه كتاب لم يسبقه أحد إلى مثله (٥٥) .

الأبواب من الثالث والسبعين حتى التاسع والسبعين : « في السَّيْحَج ، الذي يكون من الخفّ واللحم النابت في أصول الأظفار » ، ويعالج بحرق نعل الخفّ ، وبذرّ رماده عليه ، أو بذرّ مسحوق الأفاقيا acacia ، أو الصمغ العربي ، ويعالج اللحم النابت في الظفر بالمطبوخات واللطابخات الدوائية .

(٥٥) البغدادي ، المختارات ، ٤ : ١٣٣ - ٥٢ ، ابن الففّ الكركي ، جامع الغرض ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص ٥٣٢ - ٥٦٣ ، وابن جلجل ، طبقات ، ص ٦٦ ، والقفطي ، تاريخ ، ٣٨١ (ويقول هنا عن الجذام أنه كتاب شريف) وذكر أيضاً ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ج ١ : ١٨٢ - ٣ (لم يسبقه أحد إلى مثله) .

أما المسامير ، التي تخرج في أصابع الرجل ، فتعالج جراحياً ودوائياً ، في حين أن داء الخنازير (scrofula) يعالج بالمراهم والأدوية « آكلة اللحم » . وأما داء الفيل (elephantiasis) ، فمرض يحدث منه غلظ كثيف في القدم والساق ، تتخلله عجر صغيرة ناتئة ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما الباب السادس والسبعون ففي معالجات الحكمة والجرب . وفي وباء الجدري والحصبية ، والأعراض ، وطرق المعالجة ، ويليه الباب السابع والسبعون في الآكلة ، ومعالجتها بالأدوية والأدهان . وفي حرق النار والنورة (وهي خليط من أملاح وأحجار الكلس والزرنيخ والبورق) ، والمعالجة بالمراهم والأدهان . ثم الباب الثامن والسبعون في عض الكلب الكلب ، وعلامته أن الكلب المصاب يذهب عقله ، ولا يتصور الماء أو يشربه لأيام ، ويرعد ، ثم إنه يصرع صاحبه بدون معرفة ، ويُبْح صوته ، ويكون مفتوح الفم محمر العينين ، ويؤذي كثيراً من يعضه . ثم الباب التاسع والسبعون في لدغ الحيات والعقارب والزنابير والجرارات ، ومعالجة من أصيب بلدغها^(٥٦) .

الباب الثمانون : وهو الباب الأخير في هذا الكُتَّاش البالغ الأهمية ، وهو « في الحميات وأعراضها وعلاجها ، من عمل دانيال بن يوحنا من كتاب يحيى بن ماسويه ، قال : الحمى هي حرارة خارجة من الطبيعة ، ترسل من القلب في العروق إلى سائر البدن ، فتضرب بالأفعال الطبيعية . وهي ثلاثة أجناس : في الروح كالحمى اليومية ، أو في الأعضاء الأصلية الصلبة ، أو

(٥٦) البغدادي ، المختارات ، ٤ : ١٧٣ - ٦ ، ١٧٩ - ٩٧ ، ٢٠١ - ٤ ،

وصطن R.L.Sutton أمراض الجلد (بالانكليزية) ، الطبعة العاشرة ، سنت لويس ، موزي ، ١٩٣٩ .

الحمى الكائنة من الكيموسات المسمى حمى العفن .

أما الحمى اليومية فتكون إما في الروح النفسانية أو الحيوانية أو الطبيعية ، وخواصها تُحقق بالبول أو نبض العروق وصعود الحرارة وانتشارها . وأما الحمى الكائنة في الأعضاء الصلبة فتؤثر في القلب ، حسب الأخلاط وأنواع الأمزجة . وأما حمى العفن والمطبوخة فيستدل عليهما بالأشياء الطبيعية ، أو بالأشياء الخارجة من الطبيعة ، أو الأشياء التي ليست بالطبيعة . ويكون علاج الحميات بالدواء والغذاء بالمركبات المعروفة ، والمبردات كالسكنجبين ومياه الخُضِر والنباتات العطرية والبذور المطبوخة .

ولعل هذا الباب مأخوذ عن مخطوطات أخرى ، نقل عنها مع بعض التنقيح ، وفصل عنها ليكون مستقلاً^(٥٧) .

ولابن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ، ذات صلة أكيدة بـ **سالكناش** **المشجر الكبير** ، أو هي متضمنة فيه ، وهي جذيرة بالإشارة إليها ، منها : كتاب (أو مقالة ، أو باب) **الحميات** ، والجذام ، والسموم وعلاجها ، والقولنج ، والمعدة ، كتاب معروف بـ **الرجحان** ، والماليخوليا (أو داء الوسواس ، أو الاكتئاب ، أو مرض السوداء) وأسبابها وعلاماتها وعلاجها ، وعلاج **الصداع** (وعلله وأوجاعه ، ألقه لعبد الله بن طاهر) ،

(٥٧) وفي موضوع الحميات هناك نُسخٌ مستقلة لا بد من درسها فما كتبه يحيى بن ماسويه في هذا الباب كان عظيم الأثر في الأطباء الذين جاؤوا بعده : من الرازي ، فإسحاق بن سليمان الاسرائيلي ، وكتابه : **الحميات** ، وأحمد الطبري ، وعلي الجوسي والزهرراوي وابن سينا وابن بطلان وابن زهر وغيرهم . انظر المسائل في الطب للمتعلمين ، لأبي زيد حنين بن إسحاق العبادي ، تحقيق محمد أبو ريان ومن معه ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٨ ، ص ١٧ - ٢٠ ، ٢٢ - ٤٠ ، ٤٩ - ٦٧ ، ٩ - ٨٤ ، ٨ - ٢١٣ ، ٦ - ٢٢٥ ، ٩ - ٢٥٩ ، ٦٥ - ٢٨٠ ، ٨ - ٢٩٢ ، ٩ .

والسدر والدموار^(٥٨).

ومن بين أصحاب التراجم في العصر العربي الذهبي ينفرد ابن أبي أصيبعة (المتوفى سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) بذكر كتاب الجنين لابن ماسويه . كما نجد في الأبواب من الحادي والستين حتى الثالث والستين من الكُنَاش المشجر الكبير موضوعات تقرب في مضمونها من موضوع كتاب الجنين ، وذلك تحت عنوان : الرحم وأوجاعه وعلاجاته ، وعلامات الذكر والأنثى ، وهل يمكن معرفة فيما إذا كان حَمَل المرأة هو ذكر أم هو أنثى ؟ وشرح عُسر الولادة ، واحتباس دم الرحم ونزفه ، ومعالجة ذلك .

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة مخطوطة فريدة (رقم ٢٤٩ ق ٢٤٢ ب - ١٢٤٦ أ ، تاريخ نقلها قرن ٩هـ / ١٥م) ، تحت عنوان : مقالة في الجنين وكونه أو تكوينه في الرحم ، عرفها الأستاذ فؤاد سزكين ، وحصل على نسخة مصورة منها ، وقامت الدكتورة أورشولا فايسر U. Weisser بدراستها ، وتقويمها ، والتعليق عليها بالعربية والانكليزية . وقد عاين هذا المجموع كاتب هذا المقال في زيارته لمكتبة المجمع في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٦٤ ، ونأمل أن يكون بقي محفوظاً وسالماً حتى الآن^(٥٩) .

(٥٨) انظر كتاب القولنج ، لأبي محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق صبحي حمامي ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، ١٩٨٣ ، ص ٧ - ١٧ ، وكتاب المعدة لابن الجزار تحقيق قطاية ، وفيه صفة أقراص الكوكب من كتاب النجع لابن ماسويه ، ص ١٨٧ ، وفي الماليفوليا ، لاسحاق بن عمران تحقيق سليم عمّار ، الطب الإسلامي ، ١٩٨١ ، ص ١٧١ - ٩ ، وعن عبد الله بن طاهر بن الحسين (المتوفى عام ٢٣٠ هـ / ٨٤٤) ابن خلكان ، وفيات ، ج ١ : ٤٢١ - ٢ ، وج ٣ : ٨٣ - ٩ ، فكتاب علاج الصداق يكون قد تمّ قبل ذلك بسنين زمن المعتصم .

(٥٩) أ. فايسر ، « علم الأجنة لدى يوحنا بن ماسويه » ، مجلة تاريخ العلوم العربية ، جامعة حلب ، ج ٤ (١٩٨١) ، ص ٩ - ٢٢ بالانكليزية ، ٩٤ - ١٠٠ بالعربية .

وليحيى بن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ذكرها مؤرخو هذه الحقبة في أكثر من مرجع ، وهي : البرهان ، وهي كتاب في ثلاثين باباً ، والكمال والتمام ، والبصيرة والفصد والحجامة ، والأغذية والأشربة ، أو إصلاح الأغذية ودفع مضارها ، والحمام (دخوله) ومنافعه ومضاره ، والسواك والسنونات ، والتشريح ، ألفه للمأمون ، أو تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه وأسباب الأوجاع^(٦٠) .

وهناك كتب ورسائل منسوبة ليحيى بن ماسويه ، ولكننا غير واثقين بصحة هذه النسبة ، لعدم وجود ما يؤكدها ، ومنها كتاب في غير ما شيء مما عجز عنه غيره ، والمنجج أو النجج (في التداوي) ، في وصف الأمراض والشكاوي . ذكره الرازي في الحاوي ، والبيروني في كتاب

(٦٠) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزار في كتابه : المعدة وأمراضها ومداواتها ، تحقيق قطاية ويذكر يحيى بن ماسويه في عدة أماكن (ص ٨٦ اقتباس من كتاب التمام والكمال ، ص ٩٩) ان اشتراك الدماغ مع فم المعدة (الفؤاد) يعرض منه ابليسيميا ، وكذلك (ص ١٠٠) عن الشهوة الكلية واعتلال آلة الشهوة في فم المعدة وألمها وأيضاً (ص ١١٤) صفة أقراص ألفها ابن ماسويه لسوء مزاج المعدة المسبب بالحرارة ، (ص ١١٦) صفة شراب ألفه ابن ماسويه ينفع في قمع الصفراء المتولدة في المعدة وسمّاه مطفي الوهج . ويقول فيه ابن الجزار : « وقد اخترناه فحمدناه » ، (ص ١٢٢) ، وصفة جوارشن ألفه ابن ماسويه للرشد (وربما المقصود المأمون) نافعاً في فساد المعدة وبردها من البلغم ، (ص ١٥٦ - ٧) صفة شراب ألفه ابن ماسويه في إيقاف شهوة الطعام عند انقطاعها أو ضعفها نافعاً من الحرّ المستحكم والوهج والغثي وهو مجرب ونافع ، (ص ١٧١) صفة نقوع ألفه ابن ماسويه ينفع من شدة العطش والحرارة ويسبب الحلق والغم وهو مجرب ونافع ، وأخيراً (ص ١٨٦) صفة حب ألفها ابن ماسويه يستعمل على الريق نافع من النفخة في المعدة والريح المستحكمة فيها . هذه الاقتباسات إما ان تكون من كتابه في المعدة المسمى بالرجحان ، أو في الكفاش المشجر الكبير ، أو من كليهما .

الصيدنة) . ومنه نسخة مخطوطة في القاهرة رقم ١٦ طب ، ومجسدة العروق^(٦١) .

إن آثار يحيى بن ماسويه المخطوطة المعروفة والمحققة ، والمتوافرة بالعربية أو في ترجماتها إلى اللاتينية ، بوجه الخصوص ، تسمح لنا بأن نقول إنه قد ملأ فارغاً كبيراً في مجال تطوير المهن الصحية في عصره ، وهو عصر حاسم وخلاق ، بعث في العلوم الصحية روحاً مجددة ومبدعة ، وأعطى الطب العربي ، بفروعه المختلفة المعروفة آنذاك ، دفعة قوية إلى الأمام^(٦٢) .

لقد منح ابن ماسويه بكتابه حيوية وانطلاقاً لما يمكننا أن نطلق عليه اسم الطب العربي من ناحية ، وأسهم ، من جهة أخرى ، بقسط عظيم في نقل التراث الطبي الغريقي - السرياني ، ولا سيما في الفترة الممتدة من العصور المسيحية ، إلى بزوغ فجر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الثاني للهجرة .

أما معاصرو ابن ماسويه المشهورون ، فمنهم : أسرة الدمشقي ، ولا سيما الحفيد أبو الحسن عيسى بن الحكم ، والثلاثة الأوائل من آل

(٦١) انظر ابن الجزار ، في المعدة ، تحقيق قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٧ ، يقتبس هنا صفة أقراص الكوكب ألفها يحيى بن ماسويه من كتاب النجح (أو المنجح) يصف بأنها تنفع من وجع المعدة ومن الريح وزيادة البلغم والمغص والجشاء ولشد البطن . انظر سزكين ، تاريخ ، ٣ : ٢٣٢ - ٥ ، بذكر المرة السوداء أو المايلخوليا ، مخطوط مشهد بايران ، رقم ٥٢٢٢ ، ومخطوط طهران ، بمجلس شوارى ، رقم ٥٢٨ في ١٤٣١ق ، تاريخ النقل ٧١٥هـ/١٣١٥م ، حول المنجح لابن ماسويه .

(٦٢) سورينساوترويو J.Sourina et Tropeau ، « ابن ماسويه » ، Clio Medic ، ١٩٦٨ ، ج ٣ : ١٠٩ - ١٧ ، ومييلي ، A.Mieli ، « التشريح عند ابن ماسويه » ، Archeion ، ١٩٤٢ ، ج ٢٤ : ٤٣٨ - ٤٢ ، والعلم عند العرب (في الفرنسية) ، ليدن ، بريل ، ١٩٦٦ ، ص ٧١ - ٢ .

بختيشوع ، وسرايون وولداه ، والكندي وصديقه الحميان أبو الحسن علي بن سهل الطبري (المتوفى حوالي ٢٤٦هـ / ٨٦١م) ، وأبو زيد حنين العبادي ، وأسرة الطيفوري . هؤلاء هم الرعيل الأول من واضعي أسس العلوم الطبية العربية بفروعها المختلفة . ومن حق ابن ماسويه علينا أن نذكر له فضله في هذا المصمار ، وأن ندرج اسمه في عداد هذا الرعيل الجالد^(٦٣) .

(٦٣) ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ج ١ : ١٢٠ - ٨٧ ، ولوكلير ، تاريخ ، طبعة الرباط ، ١٩٨٠ ، ج ١ : ٩٩ - ١٤٢ ، وتاريخ تراث ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ج ١ : ١٢١ - ٦٠ .

علم الأصوات عند العرب

الدكتور محمد حسان الطيبان

علم الأصوات Phonétique علم جديد قديم : جديد لأنه واحد من فروع علم اللسانيات Linguistique الذي لا يعدو تأسيسه مطلع هذا القرن على يد اللغوي السويسري فرديناند دوسوسور (١٨٥٧-١٩١٣)^(١) .

وقديم لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة ، فاللغة أصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني شتى ، أو هي على حد تعبير ابن جني : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »^(٢) . والصوت كما قال الجاحظ : « هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف »^(٣) .
ولما كان الأمر كذلك فقد عُني أصحاب كل لغة بأصواتها منذ أقدم

(١) مدخل إلى الألسنية ٣٠-٣١ ، وعلم الأصوات العام ١٠ ، ويلاحظ أن نسبة التأسيس إلى دوسوسور لا تعني أنه لم يسبق بدراسات مختلفة تنحو هذا النحو ، ولكنه عدّ الرائد بكتابه « محاضرات في الألسنية العامة » انظر مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب ص ٣ .

(٢) الخصائص ٣٣/١ .

(٣) البيان والتبيين ٧٩/١ .

العصور ، من ذلك ما أثير عن قدماء اليونان كأفلاطون وأرسطو من ملاحظات صوتية متناثرة ، وكذا ما ورد عن قدماء الرومان أمثال بريسكيان وترنتيانوس . أما الهنود فكانوا أكثر اتساعاً وأعمق أثراً في آرائهم الصوتية ، وهم أول من نظر إلى الدراسات الصوتية على أنها فرع مستقل من فروع علم اللغة ، واشتهر منهم بانيني بكتابه المسمى Ashtadhyayi^(١) .

وجاء العرب المسلمون فخطوا بهذه الدراسات الصوتية خطوات واسعة ، وضربوا فيها بسهم وافر ، شهد بذلك نصفةُ الدارسين من الغربيين ، غير أولي الهوى والزيغ ، حتى قال قائلهم : « لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان العرب والهنود »^(٢) . وقال المستشرق الألماني شاديه عن الأصوات عند سيويه : « فيستحق ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره^(٣) كما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب مفخراً من أعظم مفاخر العرب »^(٤) .

ومع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة ، فإنه لم يغيب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية (نحوها

(١) علم اللغة ٨٧-٨٨ ، والبحث اللغوي عند العرب ٣٤٢-٣٤٣ ، وفي صوتيات العربية ٤٥ . وبانيني نحوي هندي ، لعله الأقدم في العالم ، كما تقدر دائرة المعارف البريطانية ، إذ يعود إلى القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد . انظر (في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية) ٦٤ .

(٢) من كلمة للمستشرق الألماني برغشتراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية ، وقريب منها قول فيرث الإنكليزي : « إن علم الأصوات قد نما وشبَّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية » . البحث اللغوي عند العرب ١٠١ .

(٣) كذا ، والصواب : نعه .

(٤) من محاضرة له بعنوان « علم الأصوات عند سيويه وعندنا » نقلاً عن مقدمة

كتاب ما ذكره الكوفيون عن الإدغام ٣٨ .

وصرفها وعروضها وبلاغتها وموسوعاتها الأدبية (والطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد ... ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخلها حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات أو أثارة منه . قال أبو نصر الفسارابي : « وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولاً في الحروف المعجمة عن عددها ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت وعن المصوت منها وغير المصوت وعمما يتركب منها في اللسان وعمما لا يتركب »^(١) .

ويمكن أن نصنّف العلوم التي أسهمت ولو على نحو ما في علم الأصوات ، في زمير ثلاث :

- ١ - علوم العربية : النحو والصرف والبلاغة والعروض ...
- ٢ - علوم الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى .
- ٣ - علوم القراءة والتجويد والرسم والضبط .

- ١ -

أما الزمرة الأولى فتبدأ بظهور أول معجم في العربية ، وهو كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) والذي بُني على أساس صوتي ، وصدر بمقدمة صوتية تعد أول دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب^(٢) . ولا غرو فصاحبها الخليل مفتاح العلوم ومصرفها ، وصاحب العروض ، ذو الباع الطويل بالموسيقى وغير ذلك مما له مساس بعلم الأصوات ، بل إن حمزة الأصفهاني ينسب إليه

(١) إحصاء العلوم ٤٧-٤٨ نقلاً عن التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٥٤ .

(٢) يراجع في هذا الباب كتاب التفكير الصوتي عند الخليل للدكتور حلمي

خليل ، وفصل الأصوات اللغوية من كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي للدكتور مهدي

الخزومي ١٥٨-٥٦ .

كتاباً مستقلاً في الأصوات اسمه « تراكيب الأصوات »^(١) . وكان الخليل أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها : « وإنما كان ذواقه إيها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو : أب ، أت ، أخ ، أع ، أغ ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم »^(٢) .

وتلاه كتاب سيويه - حاوي علم الخليل - الذي تضمن دراسات صوتية أوفت على العناية دقة وأهمية ، وتنوعت بتنوع مادتها ؛ فكان منها ما يتعلق باللهجات والمقايسة بينها والاستدلال لها^(٣) ، ومنها ما يعرض للقراءات^(٤) ، ومنها ما يتحدث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز من تحقيق وتسهيل وهمزة بين بين^(٥) ، والإمالة والفتح وما يتعلق بهما من أحكام^(٦) .. والإعلال والإبدال والتعليل الصوتي لهما^(٧) ... إلى غير ذلك من مباحث صوتية ماثورة في طيات الكتاب بأجزائه الأربعة . ويستأثر الجزء

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ١٢٠ ، ولم أقع على ذكر لهذا الكتاب فيما رجعت إليه من تراجم الخليل ، على أن كتب التراجم تذكر له كتباً أخرى نحو هذا النحو ككتاب النغم وكتاب الإيقاع . انظر معجم الأدباء ٧٤/١١ ، ووفيات الأعيان ٢٤٦/٢ ، والبغية ٥٦٠/١ .

(٢) العين ٤٧/١ .

(٣) انظر على سبيل المثال الكتاب ١٥٧/١-٦٦ ، ٧١-٧٢ (١/٢٨-٣٣ ، ٣٦-٣٧ ط . بولاق) و٥٣٠/٣ (٢/١٥٨-١٥٩) .

(٤) انظر على سبيل المثال الكتاب ٥٨/١ ، ٥٩ ، ٧١ (١/٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦) و٩١/٢ ، ١٠٨ (١/٢٦٢ ، ٢٧٠) .

(٥) الكتاب ٥٤١/٣-٥٥٦ (٢/١٦٣-١٧١) .

(٦) الكتاب ١١٧/٤-١٣٥ (٢/٢٥٩-٢٦٧) .

(٧) الكتاب ٤٣١-٣٣٤/٤ (٢/٣٥٦-٤٠٤) .

الرابع بأجلّ هذه المباحث وهو باب الإدغام^(١) الذي استهله سيبويه بذكر عدد الحروف العربية ، ومخارجها ، ومهموسها ومجهورها ، وأصولها وفروعها ، وما إلى ذلك مما يدخل في تكوين النظام الصوتي العربي ليغدو أساساً ومرجعاً لكل من صنف في هذا الباب من النحاة واللغويين والقراء^(٢) .

ثم تابعت كتب النحو واللغة بعد سيبويه تنحو نحوه وتقفر أثره في تخصيص حيز للدراسات الصوتية مرددةً تعبيراته ومصطلحاته في كل ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها^(٣) - وهو الباب الذي يعيننا هنا - وكان على رأسها ، مما وصلنا ، المقتضب^(٤) للمبرد (٢٨٥هـ) والأصول في النحو لابن السراج (٣١٦هـ) ورسالة الاشتقاق^(٥) له أيضاً ، والجمهرة^(٦) لابن

(١) الكتاب ٤/٤٣١-٤٨٥ (٢/٤٠٤-٤٣٠) .

(٢) تناول كثير من اللسانيين المعاصرين مباحث الصوت في الكتاب بالدراسة والتتبع ، أذكر منهم الأستاذ شاده في بحثه علم الأصوات عند سيبويه وعندنا . والدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية ١١١-١٣٥ . والدكتور أحمد مختار عمر في البحث اللغوي عند العرب ٩١-١٠٩ . والدكتور تمام حسان في اللغة العربية معناها ومبناها ٥٠-٦٣ . والدكتور حسام النعيمي في الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٥٧-٥٩ . والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أطروحته : Linguistique Arabe et Linguistique general . ود. شاهين في أثر القراءات في الأصوات ١٨٢-٢١٩ ، والطيب بكوش في مقاله « النظريات الصوتية في كتاب سيبويه » حوليات الجامعة التونسية (١١) ١٩٧٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٠٥ ، والبحث اللغوي عند العرب ١٠٦ ، وأثر القراءات في الأصوات ١٩٨ .

(٤) المقتضب ١/١٩٢-١٩٦ . (باب مخارج الحروف) وهو المقصود من كل الإحالات التالية .

(٥) الأصول في النحو ٣/٣٩٩-٤٠٤ . ورسالة الاشتقاق ٣٤-٣٨ .

(٦) جمهرة اللغة ١/٦-٩ .

دريد (٣٢١هـ) والجمل^(١) للزجاجي (٣٤٠هـ) والتهذيب^(٢) للأزهري (٣٧٠هـ). وما يدخل في هذا الباب شروح سيويه المختلفة وفي مقدمتها شرح السيرافي^(٣) (٣٦٨هـ) والرماني^(٤) (٣٨٤هـ) والأعلم الشنتمري^(٥) (٤٧٦هـ) وشرح أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) المسمى «تعليقة على كتاب سيويه»^(٦)، وغيرها من شروح الكتاب، ولعل ما لم يصلنا منها أغزر

(١) الجمل في النحو ٤٠٩-٤١٣.

(٢) تهذيب اللغة ٤٨/١-٥١.

(٣) لم يطبع من شرحه سوى جزء جاء ضمن كتاب السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه للدكتور عبد المنعم فائز. على أن في آخر الشرح رسالتين في الإدغام نشرتا مؤخراً الأولى بعنوان ما ذكره الكوفيون من الإدغام تحقيق د. صبيح التيمي، والثانية بعنوان إدغام القراء تحقيق د. محمد علي الرديني. وفي كليهما مادة صوتية صالحة. كما نشر د. رمضان عبد التواب مؤخراً جزءاً من شرح السيرافي خاصاً بالضرورة الشعرية، لكن عنوانه لا يؤذن بكونه قطعة من شرح الكتاب لأنه اقتصر على: «ضرورة الشعر» لأبي سعيد السيرافي. دار النهضة، بيروت ١٩٨٥.

(٤) ضرورة الشعر لأبي سعيد السيرافي الذي قام بطبعه الدكتور رمضان عبد التواب

هو جزء من شرح السيرافي لكتاب سيويه.

وقد قام الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق هذا القسم من كتاب سيويه والتعليق عليه، وأصدره بعنوان: ما يحتمل الشعر من الضرورة (ط ١/١٩٨٩ م، ط ٢/١٩٩١ م). وقد طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع) / ش. ف.

(٥) مخطوط شرح الرماني ١٥٨/ب - ١٦٢/أ. وللرماني رسالة عنوانها النكت في

إعجاز القرآن ضمنها أحكاماً صوتية في تنافر الحروف وتلاؤمها ٨٧-٨٩.

(٦) في كتابه النكت في تفسير كتاب سيويه ١٢٤٢/٢ - ١٢٤٨.

(٧) منها نسخة خطية في مكتبة شهيد علي باسطنبول وقد عاينتها سنة ١٩٨١ مع

الزميل الدكتور يحيى ميرعلم، وجلبنا صورة عنها لأستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ رحمه الله.

(٨) ويقوم الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق كتاب التعليقة لأبي علي الفارسي

وقد أصدر جزأين منها (الأول ١٩٩٠ م، والثاني ١٩٩٢ م)، وفقه الله لإتمامها / ش. ف.

مادة صوتية ثما وصلنا فهي كثيرة أربت على الخمسين شرحاً^(١) .
وتلا ذلك كله كتاب المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ) الذي نسج على
منوال سيبويه أيضاً فختم كتابه بباب الإدغام مستهلاً بذكر حروف العربية
ومخارجها وصفاتها^(٢) ، وكان بهذا المادة الصوتية التي بنى عليها ابن يعيش
(٦٤٣هـ) شرحه الغني بالدراسة الصوتية^(٣) . ولا يكاد يدانيه في ذلك إلا
الرضي الأستراباذي (٦٨٦هـ) في شرحه للشافية حيث تداخل علم
الصوت بعلم الصرف^(٤) .

ولا بد من الإشارة إلى أن ثمة كتباً تحمل اسم الأصوات أو ما
يشاكلها لم تصل إلينا ، لكن المصادر حفظت أسماءها ، مثل كتاب
الأصوات لقطرب النحوي^(٥) (٢٠٦هـ) تلميذ سيبويه ، والأصوات
للأنخفش^(٦) (٢١٥هـ) وليعقوب بن السكيت^(٧) (٢٤٦هـ) ولابن

(١) انظر المغني في تصريف الأفعال ٨ ، وتقديم كتاب سيبويه للأستاذ عبد السلام
هارون ٣٥-٤١ .

(٢) جاء الإدغام في المفصل تحت عنوان « ومن أصناف المشترك الإدغام » . انظر
المفصل ٣٩٣ - ٤٠٥ .

(٣) شرح المفصل ١٠/١٢٣ - ١٣١ حيث بسط ابن يعيش الكلام على مخارج
الحروف وصفاتها ثم تابع الكلام على الإدغام حتى آخر الكتاب ١٠/١٣١ - ١٥٥ . وانظر
الأصوات اللغوية ١٢٨ - ١٣٥ حيث أثبت د. إبراهيم أنيس نص كلام الزمخشري وابن
يعيش في جدول إلى جانب نصوص من الكتاب وسر الصناعة والنشر في مخارج الحروف
وصفاتها تسهيلاً للموازنة بينها .

(٤) شرح الشافية ٣/٢٢٠-٢٦٤ ، والكلام هنا على مخارج الحروف وصفاتها ، أما
ظواهر الإدغام والإعلال والإبدال والإمالة فلكل منها في الكتاب بابٌ مستقلٌ وحديث
متناول .

(٥) الفهرست ٥٨ ، ومعجم الأدباء ١٩/٥٣ .

(٦) الفهرست ٥٨ ، وإنباه الرواة ٢/٤٢ .

(٧) الفهرست ٧٩ .

أبي الدنيا^(١) (٢٨١هـ) . وكتاب الصوت والبحة ليحيى بن ماسويه^(٢) .
ومن ذلك أيضاً كتاب الصوت لجالينوس الذي نقله إلى العربية حنين بن
إسحاق^(٣) . ولعل من أعجب ما ذكر ابن النديم في هذا الباب كتاب آلة
مصنوتة تسمع على ستين ميلاً لمورطس^(٤) .

على أن أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ، ونظر إليها على
أنها علم قائم بذاته ابن جني (٣٩٢هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب الذي
بسط فيه الكلام على حروف العربية : مخارجها ، وصفاتها ، وأحوالها ، وما
يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو
الحذف ، والفرق بين الحرف والحركة ، والحروف الفروع المستحسنة
والمستقبحة ، ومزج الحروف وتنافرها .. إلى غير ذلك من مباحث بوائه المقام
الأول في هذا الفن ، فعدّ بحق رائد الدراسات الصوتية ،
وهو يعني ذلك إذ يقول : « وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا
الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع ، ومن وجد قولاً قاله ، والله
يعين على الصواب بقدرته »^(٥) .

ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما في سر الصناعة وإنما

(١) الفهرست ٢٣٧ .

(٢) الفهرست ٣٥٤ .

(٣) الفهرست ٣٤٩ .

(٤) الفهرست ٣٢٩ .

(٥) سر صناعة الإعراب ٦٣/١ . وبعض الباحثين يعدّ ابن جني أول من استعمل
مصطلح « علم الأصوات » وذلك بقوله في سر الصناعة للدلالة على هذا العلم ١٠/١ :
« ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة
للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم » انظر البحث اللغوي عند العرب ٩٩ ولا
يعد هذا وإن لم نستطع القطع به لما تقدم من ذكر كتب الأصوات التي لم تصلنا .

تعدّاه إلى كتبه الأخرى ، وفي مقدمتها الخصائص الذي تضمن مادة صوتية غنية جاء بعضها منشوراً في تضاعيف الكتاب^(١) ، وأُفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات ، وباب في مطلق الحركات ، وباب في مطلق الحروف^(٢) الخ .

ويبدو أن موضوع طول الحركات والأصوات قد استبدّ بابن جني إلى حدّ جعله يفرده رسالةً ، لم تصلنا ، سماها « رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدات » ذكر ياقوت أنه كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وأنها في ست عشرة ورقة بخطّ ولده عال^(٣) .

هذا وإن من وراء ما ذكرناه من كتب في علوم العربية كتباً أخرى حوت مادة صالحة في الصوت وما إليه ، نذكر منها : كتاب الجيم حيث عني أبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) بلغات القبائل ولهجاتها المختلفة^(٤) ، والبيان والتبيين حيث تكلم الجاحظ (٢٥٥هـ) على اللثغة ، والصوت ونسج الكلمة

(١) من مثل كلامه على حروف الهمس ١/٥٧-٥٩ ، وكلامه على جرس الحرف وأثره في الدلالة ١/٦٥-٦٦ ، وكلامه على الإشمام وهمزة بين وبين والروم ٢/١٤٤-١٤٥ ... الخ .

(٢) الخصائص ٣/١٢٠-١٣٣ .

(٣) معجم الأدباء ١٢/١١٣ . هذا وقد كتب الكثيرون عن جهود ابن جني الصوتية مثل هنري فليش : « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني » مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء ٢٣ سنة ١٩٦٨ . والدكتور حسام النعيمي : « الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني » بغداد ١٩٨٠ . والدكتور محمد حسن باكلا : « ابن جني عالم الصوتيات » لندن ١٩٨٢ .

(٤) لا تكاد صفحة منه تخلو من لغات القبائل ولهجاتها الغريبة ، والمؤلف ينسب كلاً منها إلى أصلها بقوله : قال النيربي .. وقال العبسي .. وقال الطائي .. الخ ، انظر على سبيل المثال : ١/٦٤-٦٥ . وانظر الدراسات اللهجية ٥٩-٦٠ .

العربية وتردد الحروف فيها^(١)، والزينة حيث تكلم أبو حاتم الرازي (٣٢٢هـ) على جرس حروف المد^(٢) وقابل بين العربية والفارسية من حيث أصوات كل منهما مما يدخل تحت علم اللغة التقابلي^(٣)، وإعجاز القرآن حيث تكلم الباقلائي (٤٠٣هـ) على صفات الحروف وعلاقتها بفواتح السور^(٤)، وسر الفصاحة حيث عقد الخفاجي (٤٦٦هـ) فصلاً مفرداً للأصوات تكلم فيه على ما هيئتها وإدراكها، وفصلاً مفرداً للحروف تكلم فيه على حدّها واختلافها ومخارجها وصفاتها، ثم تناول موضوع تأليف الحروف وتنافرهما^(٥)، والتفسير الكبير حيث تكلم الفخر الرازي (٦٠٦هـ) على الأصوات وتولّداتها وأقسامها وعلاقتها بعلم التشريح^(٦). والمباحث المشرقية في علم الإلهيات الطبيعية. له أيضاً حيث تكلم على آية التصويت كلاماً مُعجباً يتوافق مع كثير مما جاء به علم الفيزياء الحديث^(٧).

(١) البيان والتبيين ١/١٤، ٢٢، ٣٤ - ٤٠، ٦٩، ٧٤، ٧٩. وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٧ - ٩٨، والمعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢٢ - ٢٣.

(٢) الزينة ١/٦٤ و ٢/٢٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ٨٣ - ٨٥، وانظر التصور اللغوي عند الإسماعيلية/ دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ٢٠٢ - ٢١٧.

(٣) أو Constrative Linguistique. انظر التصور اللغوي عند الإسماعيلية ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٤) إعجاز القرآن ٤٤ - ٤٦. وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٥ - ٩٦.
(٥) سر الفصاحة ٦ - ٢٤، ٥٣ - ٥٤، ٦٠ - ٦١، ٩١ - ٩٤، وانظر المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ١٣٢/٢ - ١٣٥.

(٦) التفسير الكبير ١/١١، ١٥، ٢٩، ٣١ - ٤٧، ٤٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ١٠٠ - ١٠٢.

(٧) المباحث المشرقية للفخر الرازي، الباب الرابع (في الكيفيات المسموعة) ١/٩١٤

ولا نكاد نجد بعد هذا في كتب المتأخرين من النحاة واللغويين ما يمكن أن يتَّسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة ، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (٦٢٦هـ) من رسم بدائي لأعضاء النطق^(١) .

— ٢ —

وأما الزمرة الثانية — زمرة الفلاسفة والأطباء والحكماء — فيقدّمها فيلسوف العرب الكندي (٢٦٠هـ) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات ، تبدّت في أكثر من مصنّف ، وعلى رأس ذلك رسالته في استخراج المعنى حيث تكلم على تردّد حروف العربية ودورانها في الكلام معتمداً على إحصاء صنعه بنفسه ، وتقسيّمها إلى مصوتة وخرس (صامتة) . وذكر قانوناً لغوياً عاماً يسري على كل اللغات وهو كون المصوتات أكثر الحروف تردداً . ونبّه على اشتماله المصوتة على المصوتات العظام ، وهي حروف المد ، والمصوتات الصغار ، وهي الحركات^(٢) . Les Voyelles breves Les Voyelles longues ثم بسط الكلام على نسج الكلمة العربية باستفاضة إذ أورد ما يقرب من مئة قانون من قوانين ائتلاف الحروف واختلافها أو تنافرها^(٣) .

(١) مفتاح العلوم ١٣ ، وانظر المدخل إلى علم اللغة ١٨ .

(٢) أحال الكندي عند تنبيهه هذا على كتاب له سماه « في صناعة الشعر » وهو مظنة التوسع في هذه القضايا . انظر علم التعمية واستخراج المعنى ٢٣٧/١ ، والفهرست ٣١٧ ، والمعجم العربي دراسة إحصائية ٣٠/٢ .

(٣) انظر بيان ذلك في رسالتي للماجستير « المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢٤/٢ — ٤١ » وقد جمعتُ ثمة جملةً صالحة من النصوص المعنية بنسج الكلمة العربية . وانظر النص الكامل لرسالة الكندي في كتاب علم التعمية واستخراج المعنى ٢٠٤/١ —

وللكندي رسالة أخرى ذات مساس بالصوتيات بل بتطبيقٍ دقيقٍ من تطبيقاتها هو ما يدعى اليوم بأمراض النطق *Troubles de la parole* ، وهي رسالة اللثغة^(١) ، وقد قدّم لها بيانٍ وإفٍ لآلية النطق ، وعلاقتها بالحروف ، وما تحتاجه كل لغة من اللغات السائدة آنذاك من الحروف ، ثم تكلم على أسباب اللثغة وما يعرض للسان من التشنج أو الاسترخاء ، ووصف مخارج حروف العربية وهيئات النطق بها وصفاً تشريحياً فيزيائياً على نحو يختلف عما عهدناه عند سيويه وخالفه . ثم حدّد حروف اللثغة ، وسمّى أعراضها وأنواعها وختم الكلام بعلمها^(٢) .

ومخالفة نهج سيويه في تتبع مخارج الحروف تفضي بنا إلى ملاحظة هامة تتعلق بطبيعة تناول هؤلاء الحكماء للصوت ، إذ هي تنزع نحو فيزيائية الصوت أو ما أطلق عليه بعض الباحثين اسم علم الصوتيات الموجي السمعي^(٣) *Acoustique phonetique* ولا غرو فقد عرض حكماؤنا لمصدر الصوت ، وكيفية انتقاله في الهواء ، والمميزات الخاصة التي يتصف

(١) نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيقي في المجلد ٦٠ ج ٣ / ٥١٥-٥٣٢ سنة ١٩٨٥ .

(٢) وكان الأستاذ شلنتانو قد نشر الرسالة سنة ١٩٧٩ م . انظر مجلة المجمع ، مج ٦١ ، ج ٢ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ / ش . ف .

(٣) للكندي رسائل أخرى مظنة أن تنحو هذا النحو لما تجذّ طريقها إلى النور ، منها رسالته في الأصوات الخمسة ، ورسالته في الإيقاع ، ورسالته في المدخل إلى صناعة الموسيقى . انظر الفهرست ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) هو الدكتور يوسف الهليس ، انظر مقاله « علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء » في المجلة العربية للدراسات اللغوية المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٨٥ ص ١٠١ - ١٢٣ . وقد تعقبه د . سعد مصلوح واقترح مصطلح « علم الأصوات الفيزيقي أو الفيزيائي » انظر العدد نفسه ١١٨ - ١٢٠ .

بها ، وكيفية وصوله إلى الأذن ، وإدراكه ، والتمييز بين الأصوات اللغوية وغير اللغوية ، ووضع المعايير السمعية لتقسيم الأصوات اللغوية ، والنغمة الصوتية ، وشدة الصوت ... الخ^(١) .

والفارابي (٣٣٩هـ) المعلم الثاني واحد ممن عُني بهذه الدراسات ، إذ انطوى كتابه الموسيقي الكبير على الكثير منها : من ذلك كلامه على حدوث الصوت والنغم ، وربطه بين المبدأ الطبيعي لحدوث الصوت وكيفية حدوث الكلام ، وعنايته بدرجة الصوت (حدته وثقله) وإشارته إلى وجوب استعمال الآلات للقيام ببعض القياسات التي يصعب تحديدها بالسمع^(٢) .

ومما ينحو هذا النحو رسالة الموسيقي^(٣) لإخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) وقد اشتملت على عدة فصول أهمها فصل في كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات فيه كلام على الأصوات ، وأنواعها ، ومصدرها ، وماهيتها ، ونغماتها^(٤) ..

وجاء ابن سينا (٤٢٨هـ) فجمع هذا كله في رسالته الفذة أسباب حدوث الحروف ، التي عالج فيها أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين ، وهو يتصل بما يسمى علم الأصوات النطقي phonetique articuloir فقد جاء حديثه فيها حديث العالم الفيزيائي حين أشار إلى كنه الصوت وأسبابه ، وحديث الطبيب المشرح حين وصف

(١) علم الصوتيات الموجي والسمعي ١٠١ .

(٢) في مقال د. هليس السالف نصوص هذه المباحث والإحالات عليها انظر فيه

الصفحات ١٠٢-١١٥ .

(٣) وهي الرسالة الخامسة من القسم الرياضي من رسائل إخوان الصفا ١/١٨٣-

٢٤١ .

(٤) رسائل إخوان الصفا ١/١٨٨-١٩٤ .

الخنجرة واللسان ، وحديث اللغوي المجود حين عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها ، وحديث عالم الأصوات المقارنة حين تصدى لوصف أصوات ليست من العربية ، وحديث فقيه اللسان وأسرار الطبيعة حين ربط بين أصوات الطبيعة وأصوات الحروف . وتميّز كلامه في ذلك كله بمصطلحات لا نحسب أحداً من علماء العربية يشرّكها فيها . من أجل هذا سنخص رسالته بفضّل بيان وتفصيل^(١) .

قسم ابن سينا رسالته إلى ستة فصول :

- أولها في سبب حدوث الصوت^(٢) حيث ردّ ذلك إلى القلع أو القرع اللذين يلزم عنهما تموج سريع عنيف في الهواء يحدث الصوت .
- وثانيها في سبب حدوث الحروف^(٣) حيث يبيّن أن حال المتعوج في نفسه من اتصال أجزائه أو تفرقها تفعل الحدة والثقل - وهما يمثلان شدة الصوت^(٤) pitch - وأن حاله من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمخابس في مسلكه تفعل الحرف ، ثم يُعرّف الحرف ، ويقسم الحروف إلى مفردة ومركبة موضحاً طبيعة كلٍّ منها .

(١) كنت قد حققت هذه الرسالة بروايتها مع الزميل الدكتور يحيى مير علم ، ونشرها بجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٥٦ - ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٥٩ - ٦٣ .

(٤) من المعلوم في الصوتيات الفيزيائية اليوم أن الصوت الحاد أعلى تردداً من الصوت الثقيل ، فالتردد الأساسي لصوت المرأة ٣٥٠ - ٥٠٠ هرتز (هزة بالثانية) في حين ينحصر التردد الأساسي للرجل بين ١٠٠ - ٢٥٠ هرتز ، ويمكن أن نمثل ما قاله ابن سينا هنا بصوت الطبل ، فكلما كان سطحه أملس وأجزاؤه متماسكة كان صوته حاداً ، وكلما كان سطحه متشظياً متشذباً غير متماسك كان صوته ثقيلاً .

- وثالثها في تشريح الخنجرة واللسان^(١) : حيث تبدت عبقرية ابن سينا الطبيية ، فشرّح الخنجرة مبيّناً عضايرفها الثلاثة (الدرقي ، والطّرجهاري ، وعديم الاسم) وكيفية تركيبها وارتباطها بعضها ببعض عن طريق المفاصل والعضلات التي عددها وحددها تحديداً دقيقاً بعد أن قسمها إلى عضلات مضيقه للحجرة وأخرى موسّعة ، كما أشار إلى ارتباط بعضها بأنواع معينة من العظام (كالعظم الشبيه باللام) . ثم شرّح اللسان مبيّناً عضلاته الثماني وارتباطاتها المختلفة .

- ورابعها في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حرف العربية^(٢) وهو بيت القصيد من الرسالة إذ تناول فيه حروف العربية حرفاً حرفاً مبيّناً سبب حدوثها وما يعترى كلاً منها من عمليات عضوية تتبدى في دفع الهواء ، وحبسه ، وكيفية هذا الحبس ، والوسط الذي يتردد فيه الهواء المدفوع من رطوبة أو ييوسة أو ما إلى ذلك .

ولعلّ من أهم ما في هذا الفصل تفريق ابن سينا بين الواو والياء الصامتتين ، والواو والياء المصوتتين ، ثم بيانه العلاقة بين المصوتات الطويلة والمصوتات القصيرة ومحاولته تحديد زمن حصول كل منها .

- وخامسها في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب^(٣) ، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تشبه بعض حروف العربية مثل G و V و P والزاء الظائية في مثل (يصدر) . واللام المطبقة في مثل (الصلاة) . وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض هذه

(١) أسباب حدوث الحروف ٦٤ - ٧١ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٧٢ - ٨٥ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٨٦ - ٩٢ .

الحروف موجود في بعض اللهجات العربية والقديمة ، ومن ثم فقد اشتملت عليه بعض القراءات القرآنية ، كما جاء في قراءة حمزة والكسائي (حتى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) [القصص : ٢٣] بإشمام الصاد صوت الزاي^(١) وكما جاء في قراءة ورش ﴿ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ [البقرة : ٣] بتفخيم اللام^(٢) .

- وسادسها في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية^(٣) . وهو فصل طريف يربط فيه ابن سينا بين أصوات اللغة والأصوات الطبيعية الأخرى محاولاً أن يتلمس وجوه الشبه بينهما ، فالخاء عن حك جسم لئِن حَكَّا كَالْقَشْرِ بِجِسْمِ صَلْبٍ ، والشين عن نشيش الرطوبات وعن نفوذ الرطوبات في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة ، والطاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هناك هواء له دوي ، والتاء عن قرع الكف بإصبع قرعاً بقوة .. الخ .

ولا تخلو كتب ابن سينا الأخرى كالقانون والشفاء من إلماعات صوتية تدخل فيما نحن بسبيله^(٤) . كما لا يعدم الباحث إسهامات مشابهة في هذا المجال عند خالفي ابن سينا كعبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ) وهو واحد من فلاسفة الإسلام المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطب ... ومن رسائله المتصلة بموضوعنا « مقالاتان في الحواس » و« النفس

(١) انظر التيسير ٩٧ .

(٢) التيسير ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٩٣-٩٧ .

(٤) انظر على سبيل المثال كلامه على تشريح الخنجرة واللسان في القانون ٦٤/١ -

٦٦ ، وكلامه على الصوت وآلته ومادته وباعثها ومؤدبها في القانون ١١٤٥/٣ - ١١٤٩ .

وانظر كذلك كلامه على الحدة والثقل في الشفاء ١٠/٣ .

والصوت والكلام» و«اللغات وكيفية تولدها»^(١).

وأما الزمرة الثالثة - زمرة علماء القراءة والتجويد والرسم والضبط - فقد وُسِّمَتْ مصنفاتها بأنها أكثر الكتب احتفاءً بالمادة الصوتية؛ وذلك لابتغائها الدقة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته^(٢)، على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتاب سيبويه خاصة، يقول برغشتراسر: «كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون، وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم»^(٣).

والحق أن هذه العلوم تمثل الجانب التطبيقي الوظيفي لكل ما سبق ذكره من دراسات صوتية، وقد ظهرت في مرحلة مبكرة من تاريخ حضارتنا العلمي صدعاً بالأمر الإلهي ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ ووصولاً إلى الوجه الأمثل لهذه التلاوة، ووصفاً لأوجه الأداء المختلفة التي تبدت في القراءات القرآنية وانطوى عليها الرسم العثماني للمصحف. لكنها اقتصرت بادئ الأمر على المشافهة والتلقين دون الكتابة والتدوين، ثم ظهرت مصنفات القراءات القرآنية التي عيّنت ببيان وجوه الأداء المختلفة معزوةً إلى ناقلها: ووجوه الأداء هذه تشتمل على الكثير من الظواهر الصوتية؛ كإدغام المتماثلين والمتقاربين وإظهارهما، ونبر الهمز وتسهيله وإبداله وحذفه، وإمالة الألف

(١) الأعلام ٦١/٤ وانظر مقال الدكتور الهليس السالف الذكر ص ١٠٣، وبحث الدكتور عبد الكريم شحادة: «أضواء على الطيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي» ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ٦٩٣ - ٧٧٤.

(٢) الأصوات ووظائفها ٨٨.

(٣) نقلاً عن كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ص ١٤٩.

والفتحة وفتحهما ... إلى غير ذلك مما يدخل تحت ما يدعى اليوم بعلم وظائف الأصوات Phonologie^(١) .

ويعزو المؤرخون أول كتاب في القراءات إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) الذي جعل القراء خمسة وعشرين قارئاً^(٢) ، أما أول كتاب وصلنا في هذا الفن فهو كتاب السبعة لابن مجاهد (٣٢٤هـ) شيخ الصنعة وأول من سبَّع السبعة ، وتواصلت بعده كتب القراءة تترى ، تقفو أثره ، وتنهل من منهله على اختلاف عدد القراء في كل منها^(٣) .

أما فنُّ التجويد فأول من صنّف فيه موسى بن عبيد الله بن خاقان (٣٢٥) صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد^(٤) ، وهي تضم واحداً وخمسين بيتاً في حسن أداء القرآن الكريم^(٥) ، وقد شرحها الإمام اللداني (٤٤٤هـ) صاحب التصانيف العديدة في القراءات والتجويد ، ولعل من أهمها في هذا الباب رسالته « التحديد في الإلتقان والتجويد^(٦) » . التي

(١) علم اللغة العام - الأصوات ٢٨-٢٩ ، وعلم الأصوات العام ٧ ، ١٧٦ .

(٢) النشر ٣٤/١ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ .

(٣) يراجع فيها النشر ٣٤/١ - ٣٥ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ - ١٣٢٢ ،

وتاريخ التراث العربي ١٧/١-٣٦ .

(٤) كشف الظنون ٣٥٤/١ ، وأبجد العلوم ١٨٨/٢ .

(٥) حققها الدكتور علي حسين البواب مع مقتطفات من شرحها لللداني في مجلة

المورد العراقية مج ١٤ عدد ١ سنة ١٩٨٥ . وانظر في نسخ هذه القصيدة ونسخ شرحها

تاريخ الأدب العربي (المترجم) ٥/٤ وتاريخ التراث العربي ١/٢٩-٣٠ .

(٦) كذا ورد اسمها في المصادر ؛ كشف الظنون ٣٥٥/١ ، وغاية النهاية

٥٠٣/١ ، وغيرهما ، على أني أحفظ بمصورة عنها أثبت عليها عنوان مغاير نصه : « كتاب

تجويد التلاوة وتحقيق القراءة » وأصل هذه المصورة تحتفظ به مكتبة جاز الله باصطنبول تحت

رقم ٢٣ . هذا وقد أعلمني أستاذنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنها نشرت مؤخراً .

ضمّنها باباً في ذكر مخارج الحروف وآخر في أصنافها وصفاتها ، ثم أتى على ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين عند جميع حروف المعجم ، وأفرد باباً لذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمل بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها^(١) .

ومن أقدم ما وصلنا بعد القصيدة الخاقانية رسالة « التنبيه على اللحن الجنلي واللحن الخفي » لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي المقرئ (٤٦١هـ) وهي ذات موضوع طريف يتعلق بنطق الأصوات العربية ، ويكشف عن الانحرافات النطقية الخفية التي يمكن أن يقع فيها المتكلم لا سيما قارئ القرآن الكريم حيث يتطلب الأمر عناية خاصة بأداء الأصوات^(٢) .

وما ينحو نحوها كتاب « بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء » لابن البناء (٤٧١هـ) وهو لا يقتصر على بيان الانحرافات النطقية في الأصوات والعجز عن أدائها وبيان كيفية علاجها ، إنما يتجاوز ذلك إلى معالجة موضوعات أخرى تتعلق بكيفيات الأداء ، وبيان العادات الذميمة المتعلقة بالهيئات والجوارح مع

(١) تجويد التلاوة للداني ورقة ٩٨/أ .

(٢) نشرت هذه الرسالة بتحقيق د. غانم قدوري حمد في مجلة المجمع العراقي سنة ١٩٨٥ مج ٣٦ ج ٢/٢٤٠-٢٨٧ . والمجدير بالذكر أن مؤلفها استخدم فيها مصطلحات صوتية تستأهل العناية والتتبع ، من ذلك ما جاء في قوله : « واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقن من ألقاظ الأستاذين ، المؤدي عنهم ، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه ، المتجنب عن الإفراط في الفتحات والضربات والكسرات والهمزات ، وتشديد المشدّات وتخفيف المخففات ، وتسكين المسكنات ، وتطين النونات ، وتفريط المدات وترعيدها ، وتغليظ الرءات وتكريرها ، وتسمين اللامات وتشريحها الغنة ، وتشديد الهمزات وتلكيزها .. » ص ٢٦٠ .

توضيح معايب النطق الخاصة ببعض الأصوات ، مما يدخل في بابي أمراض الكلام والأصول الواجب مراعاتها عند القراءة^(١) .

على أن أوسع ما وصلنا في علم التجويد كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة^(٢) للإمام المقرئ أبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) صاحب التصانيف الجليلة في علوم القرآن والعربية وقد جمع فيه صاحبه فأوعى ، ثم زاد فأرى على كل من تقدمه ، وفي ذلك يقول : « وما علمت أن أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها ، ولا إلى ما أتبعته فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى ، والتنبيه على تجويد لفظه ، والتحفظ به عند تلاوته^(٣) » .

وحسبنا أن نشير ، تدليلاً على هذا ، أنه ذكر لحروف العربية أربعة وأربعين لقباً ، بينها وشرحها ، « وكل واحد من هذه الألقاب يدل على معنى وفائدة في الحرف ليسا في غيره مما ليس له ذلك اللقب^(٤) » .

وتتابعت بعد ذلك رسائل التجويد تقفو أثر مال تقدم ، ولا نكاد نجد فيها جديداً يذكر . ولعل أبرزها ما وضعه الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ)

(١) عرّف الكتاب وحقق نصه د. غانم قدوري حمد في مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٨٧ . حج ٣١ ج ١/٧-٥٨ . وتجدر الإشارة إلى أن ثمة مصنفات أخرى على هذه الشاكلة أشار إليها ابن البناء في كتابه وصرح بنقله عن واحدة منها لأبي الحسين المنادي (٣٣٦هـ) . انظر المرجع نفسه ٣٣ ، ٤٨ .

(٢) حققه د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٣ بدمشق ونشرته دار الكتب العربية ، ولأستاذنا المرحوم العلامة أحمد راتب النفاخ نقداً وملاحظ عليه ، كان قد أذن لي بنقلها إلى نسختي برحمة الله .

(٣) الرعاية ٤٢ .

(٤) الرعاية ١١٣ . وانظر فيه باب صفات الحروف وألقابها وعملها ٩١-١١٨ .

المقرئ المشهور ، وله في هذا الباب أكثر من أثر ؛ من ذلك كتابه التمهيد في علم التجويد^(١) وقد تناول فيه كل مسائل التجويد وضم إليها باباً في الوقف والابتداء ، وآخر في معرفة الظاء وتمييزها من الضاد^(٢) . ومن ذلك أيضاً قصيدته المعروفة بالمقدمة الجزرية وهي أرجوزة في ثمانية ومئة بيت في التجويد والرسم والوقف والابتداء .. وقد تداولها خالفوه بشروح عديدة^(٣) ، أذكر منها الحواشي المفهومة في شرح المقدمة لأحمد بن الجزري (٨٢٧هـ) ابن الناظم ، والدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية لزكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ)^(٤) .

-
- (١) حققه د. علي حسين البواب ، ونشرته مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٥ .
 (٢) التمهيد في علم التجويد ١٦٥ ، ٢٠٩ .
 (٣) ذكرها صاحب كشف الظنون ١٧٩٩/٢ - ١٨٠٠ .
 (٤) حققه د. نسب نشاوي ونشره بدمشق ١٩٨٠ .

ثبت المراجع

- أجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ) . أعده للطبع عبد الجبار زكار ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ .
- أسباب حدوث الحروف ، الحسين بن عبد الله بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- الاشتقاق ، ابن السراج (٣١٦هـ) ، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدري ، دار مجلة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣ م .
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٥ ، ١٩٧٥ م .
- الأصوات ووظائفها ، محمد منصف القماطي ، منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٦ م .
- الأصول في النحو ، أبو بكر السراج (٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- أضواء على الطيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي ، د. عبد الكريم شحادة ، أبحاث الندوة الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ١٩٧٧ م .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ ١٩٨١ م .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٥ ١٩٨٠ م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ١٦٣٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٤ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

- (٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء ، لابن البناء (٤٧١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ٣١/ج ١ ، الكويت ، ١٩٨٧ .
- البيان والتبيين ، الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار وزملائه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ١٩٧٧م .
- تاريخ التراث العرب ، د. فؤاد سزكين ، ترجمة د. محمود حجازي و د. فهمي أبو الفضل-، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة جار الله باسطنبول رقم (٢٣) .
- التصور اللغوي عند الإسماعيلية - دراسة في كتاب الزينة للرازي (٣٢٢هـ) ، د. محمد رياض العشري ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٥م .
- التفكير الصوتي عند الخليل ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ١ ١٩٨٨م .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ١٩٨١م .
- التمهيد في علم التجويد ، محمد بن الجزري (٨٣٣هـ) ، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- التنبيه على حدوث التصحيف ، حمزة الأصفهاني (٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد أسعد طلس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ، لأبي الحسن علي بن جعفر السعدي (٤٦١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة المجمع العراقي ، مج ٣٦/ج ٢ ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون وزملائه ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) ، بعناية أوتوبرتزل ، مصورة دار الكتاب العربي بيروت ، ط ٣ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .
- الحمل في النحو ، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ) ، تحقيق علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت ودار الأمل – إربد ، ط ٢ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .
- جمهرة اللغة ، ابن دريد (٣٢١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الهندية ١٣٥١هـ .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط ٢ .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، د. مهدي الخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ٢ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام سعيد النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٠م .
- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، زكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ) ، تحقيق د. نسب نشاوي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، المجلد الأول – القسم الرياضي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٥هـ .
- رسالة يعقوب الكندي في اللثة ، تحقيق محمد حسان الطيان ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٠/ج ٣ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ، دمشق ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .
- سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ – ١٩٣٢م .
- سر صناعة الإعراب ، عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، الجزء الأول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ١ ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م . نسخة ثانية دراسة وتحقيق د. حسن هندراوي ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
- شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن والزفراف وعبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

- شرح كتاب سيويه ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة فيض الله باصطنبول رقم (١٩٨٧) .
- شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- علم الأصوات العام - أصوات اللغة العربية ، د. بسام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
- علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب ، د. محمد مراياي ، محمد حسان الطيان ، يحيى مير علم ، مطبوعات مجموع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
- علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء ، د. يوسف الهليس ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، مج ٣/ العدد ٢ ، الخرطوم ، ١٩٨٥ .
- علم اللغة العام - الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ م .
- علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السمران ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، بعناية ج ، برجستراسر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- الفهرست ، ابن النديم (٣٨٥هـ) ، تحقيق رضا-تجدد ، طهران ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١ .
- في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية ، د. غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٤ م .
- في صوتيات العربية ، د. محيي الدين رمضان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٧٩ م .
- القانون في الطب ، الحسين بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق د. إدوار القش ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م .
- كتاب الجيم ، أبو عمرو الشيباني (٢١٣هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .
- كتاب سيويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦ م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي الخزومي - د. إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، إيران - قم ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف

- بجاجة خليفة (١٠١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان . الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٩م .
- ما ذكره الكوفيون من الإدغام، أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ)، تحقيق د. صبيح التميمي، دار الشهاب - بانه - الجزائر .
- محاضرات في الألسنية العامة، فردينان ديه سوسر، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان، ١٩٨٤م .
- مدخل إلى الألسنية، د. يوسف غازي، منشورات العالم العربية الجامعية، دمشق، ط ١، ١٩٨٥م .
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية، محمد حسان الطيان، رسالة ماجستير، جامعة دمشق - ١٩٨٤م .
- المغني في تصريف الأفعال، د. عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ط ٣، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- مفتاح العلوم، يوسف بن محمد السكاكي (٦٢٦هـ)، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- المفصل في علم العربية، الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، ط ٢ .
- المقتضب، أبو العباس المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، مصورة عن نسخة القاهرة ١٩٦٣ .
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٨٣٣هـ)، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت .
- النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ)، تحقيق محمد خلف الله أحمد - د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م .
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلام الشتري (٤٧٦هـ)، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- وفيات الأعيان، ابن خلكان (٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(التعريف والنقد)

من كلام العرب قولهم

« أمّا أنت منطلقاً انطلقت »

وجولة مع الدكتور رمضان عبد التواب فيه

الدكتور محمد أحمد الدالي

« أمّا أنت منطلقاً انطلقت » من عبارات العربية التي كثر دورها على ألسنتهم ، واجترؤوا عليها بال حذف طلباً للخفّة ، وهم ممّا يفعلون ذلك فيما كثر استعمالهم إياه^(١).

قال سيبويه^(٢) في « باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي » : « ومن ذلك قول العرب : أمّا أنت منطلقاً انطلقت معك ، وأمّا زيدٌ ذاهباً ذهبٌ معه ، وقال الشاعر (العباس بن مرداس) :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفيٍ فإن قومي لم تأكلهم الضبُع
فإنما هي « أن » ضمّت إليها « ما » ، وهي « ما » التوكيد ،
ولزمت كراهية أن يحذفوا بها ، لتكون عوضاً عن ذهاب الفعل
حتى صار كأنهم قالوا : إذ صرت منطلقاً فأنا أنطلق معك ، لأنها في معنى

(١) من ذلك قولهم « هل لك في كذا وكذا » . وقد بسطنا الكلام على هذه العبارة في مقالة أفردناها لها نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٢ ج ٢/٣٧٦ - ٣٨٣ .

(٢) في الكتاب ١/١٤٧ - ١٤٨ .

« إذ » في هذا الموضع ، و« إذ » في معناها أيضاً في ذا الموضع ، إلا أن « إذ » لا يحذف معها الفعل ، و« أمّا » لا يذكر بعدها الفعل لأنه من المضمير المتروك إظهاره حتى صار ساقطاً فإن أظهرت الفعل قلت : إمّا كنت منطلقاً انطلقت ، إمّا تريد ، إن كنت منطلقاً انطلقت . فحذف الفعل لا يجوز ههنا كما لم يجوز ثم إظهاره ، لأن « أمّا » كثرت في كلامهم واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل اهـ . وقال في موضع آخر^(٣) : « وكما قلت : أمّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك ، حين لم يجوز أن تبدئ الكلام بعد « أمّا » فاضطرت في هذا الموضع إلى أن تحمل الكلام على الفعل » اهـ . وقال في موضع آخر^(٤) قبل هذا الكلام : « وسألته^(٥) عن قوله : أمّا أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرجع ، وهو قول أبي عمرو ، وحدثنا به يونس . وذلك لأنه لا يجازى بـ « أن » ، كأنه قال : لأن صرت منطلقاً أنطلقُ معك » اهـ .

وقال أبو سعيد السيرافي في « شرح كتاب سيويه » ، فيما نقله منه ملخصاً من وقف على طبعة بولاق من كتاب سيويه^(٦) ، عند قول سيويه : « ومن ذلك قول العرب : أمّا أنت منطلقاً انطلقت معك إلخ » = قال : « اتفق الكوفيون والبصريون على وجوب حذف الفعل في هذا ونحوه ، واختلفوا في المعنى : فالكوفيون يقولون : هو بمعنى « أن » ، وإن « أن » المفتوحة فيها معنى « إن » التي للمجازاة ، ويحملون قوله تعالى ﴿ أن ﴾

(٣) الكتاب ١/٤٧٤ .

(٤) الكتاب ١/٤٥٣ . وانظر المسائل المثورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٢/٩٩ -

(٥) يعني شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي .

(٦) حاشية الكتاب ١/١٤٨ .

تفضل إحداهما ﴿ الآية [سورة البقرة : ٢٨٢] عليه . والبصريون يقولون :
إنه على معنى التعليل ، أي لأن كنت منطلقاً أنطلق معك ، وشبهوها
بـ « إذ » ؛ ولأجل أن الثاني استحق بالأول جاز دخول الفاء في الجواب «
اه .

فقول العرب « أمّا أنت منطلقاً انطلقت » وما كان على مثاله قد
رواه البصريون والكوفيون ، و « أمّا » مفتوحة الهمزة عند الفريقين ، والفعل
« كان » أو « صار » بعدها محذوف عندهما جميعاً للتعويض عنه بـ « ما » ،
وأصلها « أن ما » . ثم اختلفوا في جهة تفسيرها : فأهل الكوفة يجعلون
« أن » بمعنى « إن » الشرطية ، وذهبوا في قول الشاعر :

أبا خراشنة أمّا أنت ذا نضر فإن قومي لم تأكلهم الضبع
إلى أن الفاء في « فإن » هي فاء الجزاء . وذهب البصريون إلى أن
التقدير : « لأن كنت » فحذف الفعل وحذفت اللام ، وحذفها قبل
« أن » قياساً (٧) .

وأما قولهم « أمّا أنت منطلقاً أنطلق معك » فالذي رواه الخليل
وأبو عمرو ويونس عن العرب أنهم يرفعون « أنطلق » لأنه لا يجازى
بـ « أن » . وحكى الجرمي^(٨) المجازاة بـ « أمّا » هذه ، وهو مذهب الكوفيين
في جواز المجازاة بـ « أن » .

وقول الشاعر :

أبا خراشنة أمّا أنت ذا نضر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

(٧) انظر مقالنا « عبارة هل لك في كذا وكذا » ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

مج ٦٢ ج ٢/٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٨) انظر المسائل المنشورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ - ١٠٠ .

الذي استشهد به في هذه المسألة عزي في مطبوعة الكتاب ١٤٨/١
 (بولاق) إلى العباس بن مرداس السلمي ، وليست النسبة من سيوييه
 نفسه . وإلى العباس عزي في شرح اللمع لابن برهان ٢٤٣ ، وأما ابن
 الشجري ٣٤/١ ، ٣٥٣ و ٣٥٠/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٩/٢ ،
 وشذور الذهب ٢٤٢ ، وتحليص الشواهد ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، والمقاصد
 النحوية ٥٥/٢ ، والخزانة ٨٠/٢ و ٤٢١/٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب
 ١٧٣/١ . ولم يرد في أصل ديوانه فزاده ناشره فيه ص ١٢٨ .

ونسب إلى بعض هذيل في المفصل ٧٣ ، وشرح المفصل لابن يعيش
 ٩٨/٢ ، والانتخاب لكشف الأبيات المشككة الإعراب ص ٥٨ .

ونسب إلى مالك بن ربيعة العامري في اللسان (ض ب ع) .

وعزي ضلة إلى خفاف بن ندبة السلمي ، انظر ديوانه ص ١٣٢ .

وهو بلا نسبة في الخصائص ٣٨١/٢ ، والمنصف ١١٦/٣ ،
 والفصول لابن الدهان ٤٢ ، والإفصاح للفارقي ٢٨٨ ، وشرح المفصل
 ١٣٢/٨ ، وسفر السعادة ٧١٩ ، والإنصاف ٧١ ، ووصف المباني ٩٩ ،
 ٢٠١ ، وأما ابن الحاجب ١٢٣/٢ ، ١٤٥ ، وشرح الكافية ٢٥٣/١ ،
 والأزهية ١٤٧ ، والجني الداني ٥٢٨ ، وأوضح المسالك ١٦٥/١ ، وشرح
 التصريح ١٩٥/١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١١٨/١ ، وحاشية
 الصبان على الأشموني ٢٤٤/١ و ٢٤٩/٤ ، وهمع الهوامع ١٠٦/٢ ،
 وغيرها .

وقد روي « إِمَّا كُنْتُ ذَا نَفَرٍ » ، وعلى هذه الرواية لا شاهد في
 البيت على المسألة .

ولما وقف الدكتور رمضان عبد التواب على هذه الرواية « إِمَّا كُنْتُ

ذا نفر» علق عليها بقوله في كتابه «بحوث ومقالات في اللغة»^(٩) في الفصل الثاني منه «حاجة تراثنا اللغوي إلى التهذيب والتنقية»: «إنه ليلاحظ في هذا التراث النحوي أن فيه متابعة تكاد تكون كاملة، لكثير مما جاء به سيبويه في كتابه، دون تمحيص أو تدقيق، على ما في بعض مسائله أحياناً من الخطأ المبني على تحريف في الرواية أو تغيير في الشواهد العربية. وهذا مثال واحد، من أمثلة كثيرة، يدل على صدق ما نذهب إليه.

يرى النحاة العرب، منذ أيام سيبويه، أن (كان) الناسخة تحذف وحدها أحياناً، وذلك بعد أن المصدرية، في مثل قولك: «أما أنت منطلقاً انطلقت»..... ويستشهدون على ذلك بقول العباس بن مرداس السلمي:

أبأ خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضيع
وقول الشاعر:

أما^(١٠) أقت وأما أنت مرتحلاً فالله يكأ ما تأتي وما تذر
ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة، بين شاهدي هذه المسألة، لأن البيت الثاني يروى بلا نسبة، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها. وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً، وأن النحاة

(٩) ص ١٥٥ - ١٥٧ منه.

(١٠) كذا وقع، وصوابه «إما أقت وأما» الأولى منهما مكسورة، والبيت في تهذيب اللغة ٣٢١/٦ و٦٢٩/١٥، وشرح أبيات المغني ١٧٩/١، وأمالى ابن الحاجب ١٢٣/٢، ١٢٤، وارتشاف الضرب ٩٩/٢، وشرح المفصل ٩٨/٢.

وعلى رأسهم سيويوه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس ، وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأن صواب رواية البيت :

أبسا خراشسة إمّا كنت ذا نضر فإن قومي لم تأكلهم الضبع
هكذا : « إمّا كنت » بدلاً من « أما أنت » التي يزعم النحاة منذ أيام سيويوه أن البيت يروى بها . و « إمّا » هذه هي « إن » الشرطية المؤكدة بما الزائدة

ولعل الدليل على صحة ما نقول ، أن بيت العباس بن مرداس ، يروى كثيراً في غير كتب النحو (التي ينقل بعضها عن بعض) ، بالرواية الصحيحة ، وهي « إمّا كنت » . ويكفي أن تراجع ذلك في كتاب العين للخليل بن أحمد ١/٣٣١ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٢/١١٠ ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ٢٦ وحماسة الخالدين ١/٨٩ . وجمهرة اللغة لابن دريد ١/٣٠٢ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٤٣ ، ولسان العرب (خرش) ٨/١٤٣ ، والاشتقاق لابن دريد ٣١٣ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٣٤١ ، وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ١/٣٤٩ ، والحيوان للجاحظ ٥/٢٤ ؛ ٦/٤٤٦ وغير ذلك « اهـ .

هذا كلامه . وفيما يأتي تعقيب على مواضع من كلامه :

١ - قوله « ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدي هذه المسألة » فيه أن المسألة مبنية على هذين البيتين ، وليس الأمر كذلك . بل المسألة مبنية على ما أطبق أئمة البصريين والكوفيين على روايته عن العرب في كلامهم نحو « أما أنت منطلقاً انطلقت معك » . والبيتان مما يستشهد به من الشعر على المسألة ، ولم تبين المسألة عليهما .

وفيه أيضاً القطع بأن روايته « أما أنت » تحريف وأن من رواها كذلك محرّف للرواية . والدكتور لم يذكر ما دعاه إلى اتهام هذه الرواية لا من جهة روايتها ولا من معناها . وهذا منه تحكّم واطمئنان إلى رأي رآه بغير دليل .

وفيه أيضاً أن البيت الذي اختلف في نسبه لا يستشهد به !! وهذا شيء غريب لا يقوله من كان له عناية بشواهد العربية ومعرفة بقواعد الاحتجاج بها . وشواهد العربية التي هي دلائل على مسائلها : القرآن الكريم وقرآته ، والحديث الشريف المروي عن النبي عليه السلام بلفظه أو بلفظ من يحتج به ، وكلام من يحتج به شعراً ونثراً .

وقوله في بيت العباس : « وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة » غير صحيح ، فقد عزي البيت إلى غيره ، وليس ذلك بضارّه شيئاً .

٢ - وقوله : « لأن البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوءها » غريب من كل وجه . فالعباس بن مرداس شاعر إسلامي ، وهو محتج بكلامه المشتغل على معان إسلامية والخالج منها . وقد أطبق العلماء على الاحتجاج بشعر أهل الجاهلية وأهل الإسلام إلى نحو سنة ١٥٠ هـ . ولو ذهب ذاهب مع الدكتور فأسقط ما كان فيه عبارات إسلامية أو كان قائله إسلامياً لأسقط قدراً عظيماً مما يحتج به في كل علم من العلوم .

وقد استشهد سيويوه^(١١) وغيره بشعر الشعراء الإسلاميين ، وآخرهم إبراهيم بن هرمة ، ومنهم جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والحطيئة ، والراعي ، ورؤبة ، والعجاج ، وابن قيس الرقيات ، والعباس بن مرداس ،

(١١) انظر « شواهد الشعر في كتاب سيويوه » ٢٦٨ - ٣٠٣ (شعراء سيويوه) .

وحسان بن ثابت ، وابنه عبد الرحمن ، وهدبة بن خشرم العذري ،
والظري ، وغيرهم .

٣- وقوله « وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية
أصلاً ، وأن النحاة وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في
بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأن »
دعوى بغير دليل ، وطعن صريح في مجلة من علماء العربية الذين رواوا
ما سمعوا من العرب ومنهم الخليل وأبو عمرو ويونس وسيبويه وأهل الكوفة ،
وما منهم إلا ثقة ثبت إمام ، أدوا ما سمعوه من العرب ، واختلفوا في تفسير
أشياء منه .

وقوله « لا وجود لها في اللغة أصلاً » أغرب ما في كلامه ولا يكاد
يقضى منه العجب . فمن مضى من الأئمة الأثبات جميعاً حكوا أن العرب
يقولون « أمّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه ، وهم قد علموا ذلك وفسروه ،
والدكتور رمضان يقول : « لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً » !! وأنى له
أن يدعي هذا؟! وللدكتور - بلا ريب - أن يوافقهم أو يخالفهم في تفسير
ما رووه عن العرب .

ومدار الأمر وملاكه في شواهد العربية - وإن عرف قائلوها أو
جهلوا أو تعددت الرواية فيها أو اختلفت في نسبتها - على مخارج روايتها
وصدق روايتها والثقة بهم^(١٢) . قال أبو سعيد السيرافي في شرح كتاب
سيبويه^(١٣) ، في إنكار أبي العباس المبرد « لولاي » وخطأ الشعر الوارد فيه ،
وهو قول يزيد بن الحكم الثقفي :

وكم موطن لولاي طحّت كما هوى بأجرامه من قُلّة النّيقِ مُنّهوي

(١٢) انظر كلام ابن جني في الخصائص ٣/٣٠٩ - ٣١٣ في الباب الذي عقده

لصدق النقلة وثقة الرواة والحملة .

(١٣) انظر حاشية الكتاب ١/٣٨٨ .

« ما كان لأبي العباس أن يسقط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب ... » اهـ . وقال ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه^(١٤) : « فلا ينبغي أن يذهب إنسان له علم وتحصيل إلى أن سيبويه غلط في الإنشاد ، وإن وقع شيء مما استشهد به في الدواوين على خلاف ما ذكر = فإنما ذلك سمع إنشاده ممن يستشهد بقوله على وجه ، فأنشد ما سمع ، لأن الذي رواه قوله حجة ، فصار بمنزلة شعر يروى على وجهين » اهـ . وقال^(١٥) أيضاً : « واعلم أن اختلاف الإنشاد إذا وقع في مثل ذا الموقع لا ينبغي أن ينسب أحد إلى اضطراب سيبويه ، وإنما الرواية تختلف في الإنشاد ، ويسمعه سيبويه ينشد على بعض الروايات التي له فيها حجة ، فينشده على ما سمعه ، ويرويه راو آخر على وجه آخر لا حجة فيه ، والرواة المختلفون إنما أخذوه من أفواه العرب الذين يحفظون الأشعار ، فالتغير واقع من جهتهم . والشواهد في كل رواية صحيحة لأن العربي الذي غير الشعر وأنشده على وجه دون وجه قوله حجة ، ولو كان الشعر له لكان يحتج به . ألا ترى أن الخطيئة راوية زهير وكثيراً راوية جميل ، والراوي والمروي عنه كلاهما حجة » اهـ . وهذا كلام نفيس في بابه جامع بين .

هذا كلام ابن السيرافي في موضعين من كتابه « شرح أبيات سيبويه » ، وقد كان تحقيقه موضوع رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور رمضان .

فقول العرب إذاً « أمّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه من الأمثلة التي

(١٤) شرح أبيات سيبويه ١/٣٠٣ .

(١٥) المصدر نفسه ٢/١١٨ . وانظر الشعر والروايات المتعددة في « شواهد الشعر

في كتاب سيبويه » ٣٠٧ - ٣٨٨ .

وقفنا عليها في الشعر والنثر والتي لم نقف عليها مما كثر في كلامهم .
وأصله : لأن كنت منطلقاً ، والمصدر المؤول من أن وما بعدها في محل جرّ
باللام المتعلقة بالعامل المؤخر « انطلقت » ؛ فحذفت اللام قبل أن ،
وحذفتها في ذا الموضع حسن كثير ، فصار : أن كنت منطلقاً ، ثم حذفت
« كان » فانفصل الضمير ، وعوضوا بـ « ما » عن كان المحذوفة وأدغمت
النون من أن في ما ، فصار « أما أنت منطلقاً » .^(١٦)

والفعل المحذوف بعد « أن » المصدرية والمعوض عنه بـ « ما » من
الأفعال المضمرّة المتروكة إظهارها عند جمهور البصريين ، وأجاز المبرد
إظهاره ، وعنده هو ومن وافقه أن « ما » زائدة لا عوض . وذهب جماعة من
البصريين منهم أبو علي الفارسي وابن جني^(١٧) إلى أن « ما » المعوض بها عن
« كان » هي العاملة في الاسم والخبر لا « كان » .

وعند الكوفيين ومن وافقهم^(١٨) أن « أن » في ذا الموضع شرطية بمعنى
« إن » . والفاء التي في نحو قوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع
عندهم فاء الجزاء ، وهي زائدة عند البصريين .

والكوفيون يقولون « أما أنت منطلقاً أنطلق معك » بالجزم ،
ويجوزون رفعه لكون الشرط محذوفاً حذفاً لازماً ، والبصريون يرفعونه
ولا يجيزون جزمه .

(١٦) انظر تعليق محقق المقتضب ٣٤/٤ ح ٤ ، والأزهية ١٤٨ ، وشرح الكافية

٢٥٣/١ ، وحاشية الخصري على ابن عقيل ١١٨/١ ، ومع الهوامع ١٠٦/٢ .

(١٧) انظر الخصائص ٣٨١/٢ ، والمغني ٥٧٢ .

(١٨) منهم ابن هشام في بعض كلامه ، انظر المغني ٥٤ . وقال الرضي في شرح

الكافية ٢٥٣/١ : « ولا أرى قولهم بعيداً من الصواب » .

المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور مصطفى العباس ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٨٩ .
- الأهمية في علم الحروف ، للهروي ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢ .
- الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، للفارقي ، تحقيق سعيد الأفغاني ، جامعة بنغازي ، ط ٢ ، ١٩٧٤ .
- أمالي ابن الحاجب (الأمالي النحوية ، لابن الحاجب) تحقيق هادي حمودي ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب بيروت ١٩٨٥ .
- الأمالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ، ط ٤ ، ١٩٦١ .
- الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ، لابن عدلان ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط ٥ ، ١٩٦٧ .
- بحوث ومقالات في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٢ .
- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور عباس الصالح ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٦ .
- مهذّب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ومحمد علي النجار وآخرين . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٣ .

- حاشية الخضري على ابن عقيل ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
 حاشية الصبان على الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
 خزانة الأدب ، للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩هـ .
 الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
 ديوان العباس بن مرداس ، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري ، دار الجمهورية ببغداد ١٩٦٨ .
 رصف المباني في شرح حروف المعاني ، للمالقي ، تحقيق أحمد الخراط ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ .
 سفر السعادة وسفير الإفادة ، للسخاوي ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .
 شرح أبيات سيويه ، لابن السيرافي ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٣ .
 شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٣ .
 شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهرى ، دار إحياء الكتب العربية .
 شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، رتبته وعلق عليه عبد الغني الدقر ، دار الكتب العربية بدمشق ودار الكتاب .
 شرح الكافية ، لرضي الدين الأسترابادي ، الشركة الصحافية العثمانية ١٣١٠هـ .
 شرح اللمع ، لابن برهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، الكويت ١٩٨٤ .
 شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .
 شواهد الشعر في كتاب سيويه ، للدكتور خالد عبد الكريم جمعة ، مكتبة دار العروبة بالكويت ١٩٨٠ .
 الفصول في العربية ، لابن الدهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، مؤسسة الرسالة ودار الأمل ، بيروت ١٩٨٨ .
 الكتاب ، لسيويه ، بولاق ١٢٩٩هـ .
 لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ببيروت .
 مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٢ ج ٢ .
 المسائل المنثورة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق مصطفى الحدري ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ .

- مغني اللبيب ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٩ .
- المفصل ، للزمخشري (مع شرح شواهدہ للنعساني الحلبي) ، طبعة مصورة ، دار الجيل بيروت .
- المقاصد النحوية ، للعيني ، (بهامش خزنة الأدب - ط بولاق) .
- المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ .
- المنصف ، لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة مصطفى الباسي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .
- همع الهوامع ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٥ .

(آراء وأنباء)

مؤتة للبحوث والدراسات

مأمون الصاغر جي

وصل إلى خزانة المجمع مؤخراً مجلة « مؤتة للبحوث والدراسات » من سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة مؤتة - الأردن ، (المجلد الثامن / العدد الثاني / أيلول ١٩٩٣) وكان موضوع هذا العدد اللغة العربية .

افتتح العدد بمقال بعنوانه « عوف بن محلم الخزاعي » حياته وشعره ، كتبه رشدي حسن (ص ١١ - ٦٧) . استهل الكاتب مقاله بمقدمة بين فيها الأسباب الداعية إلى كتابته ، ولخص فيها مضمون بحثه ، ثم تناول بالتفصيل حياة الشاعر وعلاقاته الاجتماعية ، وألم بالأغراض الشعرية التي تناولها في شعره ، وتكلم في الخصائص الفنية التي تميز بها ، ثم ذكر المصادر التي استخرجه منها والمنهج الذي اتبعه في جمع شعره ، وكان قد جعله في قسمين : الأول ما صحت نسبته إلى الشاعر ، والثاني ما ينسب إليه وإلى غيره من الشعراء .

وقام الكاتب بضبط النص وتخريجه من المصادر ، وأثبت اختلافات الروايات ، وشرح ما احتاج إلى شرح ، وهو جهد يشكر له ، ولكن يبدو أن الأخطاء الطباعية شوّهته وأحالت ألفاظه ومعانيه إلى الالتواء ، فمثلاً في البيت الثالث من المقطعة الأولى ص ٣٠ جاء ضبطه هكذا « وأبصير ما يُريئهم » والصواب « وأبصير ما يريئهم » وفي البيت الثالث من المقطعة ١٢ ص ٤٦ : « نوح حملة » والصواب « نوح حمامة » . وفي البيت

الخامس من المقطعة ١٣ ص ٥١ : «أمالك رحمة» والصواب «رحمة» بالرفع .

ولو رحنا نستعرض جميع الأخطاء لما خلت منها مقطعة أو بيت .

وثمة ملاحظات تؤخذ على الكاتب في عمله ، ففي المقطعة الثامنة

ص ٣٨ في البيت الأول :

أنشسدي رُوْح مسديحاً له فقلت : شعرٌ ؟ قال لي : فإيش
ثم علق الكاتب على البيت بقوله : فيش : لعلها منحوتة من « فأي
شيء هو » وفي معاجم اللغة : فاش الرجل فيشاً : افتخر وتكبر ورأى
ما ليس عنده ، فايشه مفايشةً : فاخره . وفايش الرجل : أكثر الوعيد في
القتال ثم لم يفعل . (انظر تاج العروس ج ١٧ ص ٣١٩ وما بعدها ، مادة
فيش) والمعنى الأول هو المقصود اهـ .

قلت : الصواب أنها منحوتة من قولهم : « أي شيء هو » كما جاء في
معجم متن اللغة (أيش) ، والفاء للاستئناف ، إذ لا صلة للفظ (الشيء)
بمادة (فيش) ، وربما أوقع الكاتب في اللبس ضرورة الوزن التي ألجأت
الشاعر إلى تحويل همزة القطع من قوله « فأيش » إلى جعلها همزة وصل
« فايش » ليستقيم وزن البيت من السريع .

وضبط الكاتب البيت الخامس من المقطعة التاسعة ص ٣٩ هكذا :

ركبتُ به الأهوال حتى تركته بمنزلي ضنك لا يكد ولا يمضي
والصواب أن يكون « بمنزل » على أنه مضاف إلى « ضنك »
ليستقيم وزن البيت من الطويل .

وجاء في المقطعة (١١) البيت الخامس ص ٤١ هكذا :

وقارت مني خطي لم تكن مقارباتٍ وثنت من عنانٍ

فخطى جمع خطواته ، والصواب في كتابتها هكذا « خُطاً » لأن أصلها واوي .

ومن مقالات هذا العدد « الغربية في شعر أسامة بن منقذ (٤٨٨هـ/١٠٩٥م - ٥٨٤هـ/١١٨٨م) (ص ٦٩ - ١١٨) كتبه حلمي إبراهيم عبد الفتاح الكيلاني ، بدأه بمقدمة بين فيها مفهوم الغربية والاعتراب في اللغة وعلم النفس ، وأشار إلى هدف دراسته هذه أنها التحدث عن الغربية المكانية أو غربة النفي قهراً في حياة أسامة وشعره . وأتبع المقدمة بمدخل تمهيداً لفهم الحياة السياسية في عصر أسامة وأسرته والاضطرابات التي عاشتها في زمن الاحتلال الصليبي ، وما تعرضت له من اضطهاد وتغريب ، ثم تحدث بشيء من التفصيل عن غربته واعتراجه عن موطنه ، فكانت غربته الأولى من سنة ٥٢٥ - ٥٣٢هـ من جراء تخوف عمه سلطان بن علي حاكم شيزر منه ، إذ كان دائم الافتخار ببطولته وشجاعته ، وربما كان ولعه باصطياد الأسود وجز رؤوسها ما نقر قلب عمه منه ، وأدى إلى تخوفه على سلطانه ، ففي منتصف إحدى الليالي يأمره عمه بالخروج معه إلى موقع سماه خارج شيزر ، وفيه صارحه ببعضه ، وأبدى له تخوفه منه على سلطانه ، وطلب إليه ألا يساكنه شيزر ؛ فامثل لأمره وودّعه .

وينتظم أسامة في جيوش عماد الدين زنكي ، ولا يني في الفخر بشجاعته وبلائه في المعارك التي خاضها معه ضد الصليبيين ، ويجد في عمله هذا عزاءً عن فقد أهله ووطنه .

وحين يهاجم الروم والفرنج قلعة شيزر يهب للدفاع عنها ناسياً ما كان بينه وبين عمه سلطان ، آملاً أن يستقر في وطنه من جديد ، إلا أن عمه لم يستطع التخلص من حقه ، فنفاه مرة ثانية مع أسرته وأخوته سنة ٥٣٢ ، فذهب بهم إلى دمشق ، ثم انتقل منها إلى مصر سنة ٥٤٠ ومكث بها إلى سنة ٥٤٩ حيث عاد إلى دمشق ، وبقي فيها إلى أن حدث زلزال مروّع في

شيرز عام ٥٥٢ . ثم ينتقل بعد ذلك مع ولده سنة ٥٥٨ إلى حصن كيفا - جنوب شرق تركيا قرب حدودها مع العراق اليوم - إلى أن استدعاه صلاح الدين الأيوبي الذي أعجب به وبنظمه إلى دمشق ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره .

ويصور لنا الكاتب شدة وطء الزمن على أسامة ، وتقلبه في البلاد غريباً يحن إلى وطنه وأهله حتى يقول فيما يقول :

أهكذا أنا باقي العمر مغترب ناء عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرُ جيادي في معرّسها حتى أروعها بالشدّ والظعن
وقد عاش أسامة عمراً مديداً ستة وتسعين عاماً كان له تجارب
طويلة مع الحياة والناس أنطقته بالحكمة من مثل قوله :

الق الخطوب إذا طرقــــ من بقلب محتسب صببور
فسينقضي زمن الهموم كما انقضى زمن السرور
فمن المحال دوام حــــا ل في مدى العمر القصير
ثم يتناول الكاتب مظاهر الغربة في شعره ، منها الشعور بالوحدة والحنين إلى الأهل والأوطان وفقد الأحبة ، ومنها أيضاً تأكيد ذاته بما يحمله بين جنبيه من ماضٍ مجيد في الشجاعة والفروسية ، وفي آخر المطاف بعد عمره الطويل يجد الملجأ والملاذ في الزهد بالدنيا وما فيها من مغريات .

ويختتم الكاتب بحثه بنتائج توصل إليها من دراسته شعر أسامة بين فيها أسباب الأغراض التي تناولها وأثر الأحداث في حياته وشعره .

وقد بذل الكاتب جهداً مشكوراً في تبيان هذا الجانب من شعر أسامة فأحسن وأجاد ، وعمله مع ذلك لم يكن يخلو من هنات ، من ذلك مثلاً قول أسامة ص ٩٠ :

إذا عنّ ذكراّم عرتني سكرة كأتّي سقاني البابلية خماراً^(٩٠)

وعلق الكاتب على البيت بقوله ص ١١٤ حاشية ٩٠ : الخمار : بقية
السكر . اهـ .

وما شرحه الكاتب هو (الخمار) - بضم الخاء المعجمة وتخفيف
الميم المفتوحة - وليس مراداً ، والمراد حسب ضبطه لـ (خمار) - بفتح
الحاء المعجمة وتشديد الميم المفتوحة - في البيت فهو : بائع الخمر .
وجاء في ص ٨٦ قوله :

انظر بعيشك هل ترى أحداً يدوم على المودة
لترى أخلاء الرخا عدا إذا نابتك شدة
ففيه أولاً : القافية هي الدال ، والهاء للوصل ، فتكتب من غير نقط
هكذا « المودة ... شدة » .

ثانياً : قوله (عدا) بمعنى الأعداء ، الصواب أن يكتب « عدى »
بالياء وإن كان واوياً لكسرة أوله ، انظر التاج (عدو) وشرح شافية ابن
الحاجب ١٢٣/٢ .

وجاء في الصفحة نفسها^(٨٦) قوله :

وقد ساءني أن الليالي غيرت أخلاي حتى ما يدوم خليل
والصواب في تقطيعه ، أن تكون كلمة « أخلاي » في أول الشطر
الثاني ليستقيم الوزن .

يضاف إلى ذلك الأخطاء الطباعية التي شوهت جمال شعر أسامة ،
من ذلك قوله ص ٧٥ .

أطاع ما قلّه الواشي وما هرقا فعاد ينكر منّا كل ما عرفا
والصواب : « ما قاله ... وما هرقا »

وقوله ص ٨٩ :

ما أنت أول أرض مسّ ترايبها جسمي ولا فيك أوطاني وأوطاري
فالشطر الأول مختل الوزن ، ويستقيم بقوله « تربتها » .

ومن المقالات التي ضمها هذا العدد « شعر الرثاء في حروب الردة :
دراسة موضوعية وفنية » (ص ١١٩ - ١١٦) كتبه علي ارشيد المحاسنة ،
تناول فيه شعر الرثاء الذي قيل في حروب الردة ، وقسم فيه بحثه إلى
قسمين :

الأول تحدث فيه عن القضايا الموضوعية في شعر رثاء المسلمين ،
منهم رسل أبي بكر ودعاته الذين حاولوا ردع المرتدين وإرجاعهم إلى
الصواب ودين الحق ، فقتلوهم لموقفهم هذا ، كعبد الله بن يزيد بن قيس
السكوني ؛ ومنهم شهداء سقطوا في المعارك التي خاضها المسلمون
كعبد الله بن المنذر التيمي ونافع بن غيلان وغيرهما .

وتعرض الكاتب أيضاً للشعر الذي قيل في رثاء المرتدين وعلى رأسهم
مالك بن نويرة الذي كان لشعر متمم أخيه النصيب الأوفى من البحث ،
إذ تنوعت فيه المراثي بين نذب وتأبين وتعزية .

أما القسم الثاني من البحث فتناول فيه الكاتب قضايا فنية متعددة ،
منها شكل القصيدة والعاطفة والموسيقى ، بيد أنه لاحظ أن المقطعات
خاصة تكاد تخلو من هذه الجوانب الفنية ، فهي أقرب إلى التاريخ منها إلى
الفن ، وقد ارتبطت موضوعاتها بأحداث التاريخ . لذا ركز الدراسة الفنية في
هذا القسم على شعر متمم دون سواه لشموله على قضايا التي دار البحث
حولها في هذا القسم .

وفي هذا المقال ما في سالفه من أخطاء طباعية وعروضية كنا نتمنى

لو نحلا العدد منها .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٩٤م

أ - الكتب العربية

خير الله الشريف

آثار محمد البشير الإبراهيمي / الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٧
(ج ٣) - ١٩٨٥ (ج ٤) .

آلاف السنسين من الطساقة / تأليف : فلاديمير كارتسيف ، بيوتر
خازانوفسكي ؛ ترجمة : محمد غياث الزيات . - الكويت : المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ . (سلسلة : عالم
المعرفة رقم ١٨٧) .

أبو العيلاء : دراسة في حياته وشعره ونثره / د. أنور أبو سويلم . - ط ١ . -
عمان : دار عمار ، ١٩٩٠ .

الاتجاه القومي في الرواية / د. مصطفى عبد الغني . - ط ١ . - الكويت :
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ . (سلسلة :
عالم المعرفة رقم ١٨٨) .

إدارة أنظمة المعلومات الحكومية / دائرة التعاون الفني للتنمية بالأمم
المتحدة . - نيويورك : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٨٩ .

استخدام النباتات الطبية كعقاقير علاجية : المؤتمر العربي الأول / وزارة
التعليم العالي . - دمشق : وزارة التعليم العالي ، ١٩٩٤ .

- الاشتياق اللغوي / د. عبد المنعم عبد الله حسن . - ط ١ . - القاهرة : المؤلف ، ١٩٩٣ .
- أصول الإيقاعات الشرقية / عمر عبد الرحمن الحمصي . - دمشق : [د . ن .] ، ١٩٩٢ .
- أضواء وظلال / سعد صائب . - دمشق : الإدارة السياسية ، ١٩٩٢ .
- أعلام الفكر في دمشق بين القرنين الأول والثاني عشر للهجرة / احسان بنت سعيد خلوصي . - دمشق : دار يعرب ، ١٩٩٤ .
- ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ / د. رشيدة اللقاني . - الرياض : جامعة الملك سعود - عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .
- أمام السنة الذهب / تأليف : غرغري أورفلي ، ترجمة : هنري مطر . - عمان : مركز الكتب الأردني ، ١٩٨٩ .
- الأندلس الزاهية / تأليف : ضيا باشا ؛ تعريب : عبد الرحمن ارشيدات ؛ راجعه وحققه : صلاح ارشيدات . - ط ١ . - عمان : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٩ . - ٣ ج .
- بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين / تحرير : ناظم كلاس . - عمان : [د . ن .] ، ١٩٨٩ .
- البيبليوغرافيا الجزائرية / المكتبة الوطنية الجزائرية . - الجزائر : المكتبة الوطنية ، ١٩٩٣ .
- التخطيط والرقابة المالية / نضال رشيد صبري . - عمان : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٩٤ .
- التدريس من أجل الكفاية / تأليف : هوارد سلفان ، نورمان هجنز ؛ ترجمة : محمد عيد ديراني ، د. مصطفى محمد متولي . - الرياض : جامعة الملك سعود - عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

- تشجيع الغذاء / ترجمة : د. نجم الدين شرابي . - دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٢ .
- التصوير الضوئي في التعليم والتدريب / د. مصطفى بن محمد عيسى فلاتة . - الرياض : جامعة الملك سعود - عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .
- التعريفات / الجرجاني ، ضبطه وفهرسه : محمد القاضي . - ط ١ . - القاهرة : دار الكتاب المصري ؛ بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩١ .
- تزييل الآيات على الشواهد من الآيات : شرح شواهد الكشاف / تأليف : محب الدين أفندي ؛ أخرجه وقدم له : عبد الله بن محمد بن خميس . - الرياض : دار الحضرة ، ١٩٩٤ .
- حادي الأظعان النجدية إلى البلاد الشامية / تأليف : محب الدين الحموي ؛ تحقيق محمد عدنان البخيت . - عمان : جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .
- الحركة العياشية / عبد اللطيف الشاذلي . - الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨٢ .
- حقائق حول تشجيع الغذاء / ترجمة : د. نزار حمد . - دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٤ .
- حياة الأمير عبد القادر / تأليف : شارل هنري تشرشل ؛ ترجمة : د. أبو القاسم سعد الله . - الجزائر : الشركة الوطنية ، ١٩٨٢ . - (سلسلة : أعلام المغرب) .
- دائرة المخطوطات والوثائق / وزارة التراث القومي والثقافة . - سلطنة عمان : مطبعة مزون ، ١٩٩٤ .

دراسات طيبة ميسرة / د. صبيحة الدباغ . - بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٦ . - (سلسلة : الموسوعة الصغيرة ١٩٩) .
 دور التعريب في تطوير اللغة العربية : ترقية العربية في تونس / ملتقى ابن منظور . - ط ١ . - تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .
 الدولة الصنهاجية / تأليف : الهادي روجي إدريس ؛ ترجمة : حمادي الساحلي . - ط ١ . - بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ .
 ج ٢ .

ديوان ابن الأبار / تعليق : د. عبد السلام الهراس . - تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥ .

ديوان امرئ القيس بشرح الحضرمي / تحقيق : د. أنور أبو سويلم ، د. علي الهروط ، د. علي الشوملي . - ط ١ . - عمان : دار عمار ، ١٩٩١ . - (سلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ١) .
 ديوان الخزائمر / سليمان العيسى . - الجزائر : المركز الوطني لتوثيق الصحافة والإعلام ، ١٩٩٣ .

ديوان الحنساء بشرح ثعلب / تحقيق : د. أنور أبو سويلم . - ط ١ . - عمان : دار عمار ، ١٩٨٨ .

ديوان النابغة الذبياني بشرح الحضرمي / تحقيق : د. علي الهروط . - ط ١ . - الكرك : جامعة مؤتة ، ١٩٩٢ . - (سلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ٣) .

رجل الصناعتين / عبد الله بن سليم الرشيد . - الرياض : مكتبة التوبة ، ١٩٩٤ .

الروض المعطار في خير الأقطار : معجم جفراي / تأليف : الحميري ؛ تحقيق : د. إحسان عباس . - بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ .

- زمن الترهات في ثلاث مسرحيات / د. محمد رشاد الحمزاوي . -- تونس :
الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٨ .
- شرح مقامات جلال الدين السيوطي / تحقيق : سمير محمود الدروري . --
ط ١ . -- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ . -- ٢ ج .
- شعر ابن جبير / تحقيق : فوزي الخطبا . -- ط ١ . -- عمان : دار الينابيع ،
١٩٩١ .
- علم النفس الاجتماعي التجريبي / تأليف : أ. أنسكو ، ج. سكوبلر ؛
ترجمة : د. عبد الحميد صفوت إبراهيم . -- الرياض : جامعة الملك
سعود - عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .
- فارس الأحلام القديمة / د. وليد قصاب . -- الدوحة : دار الثقافة ،
١٩٩٠ .
- فن الإملاء في العربية / د. عبد الفتاح الحموز . -- ط ١ . -- عمان : دار
عمار ، ١٩٩٣ . -- ٢ ج .
- قاموس حتمي الطبي : انكليزي عربي / د. يوسف حتي . -- ط ٤ . --
بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٠ .
- قضية البنيوية : دراسة ونماذج / د. عبد السلام المسدي . -- ط ١ . --
تونس : دار أمية ، ١٩٩١ .
- قوانين ومبادئ المقاطعة العربية لإسرائيل / د. محمد عبد الحميد أبو زيد
عبد الغني . -- الرياض : جامعة الملك سعود - عمادة شؤون
المكتبات ، ١٩٩٣ .
- القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة / د. رشاد
عبد الله الشامي . -- ط ١ . -- الكويت : المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب ، ١٩٩٤ . -- (سلسلة : عالم المعرفة ١٨٦) .

- كان شاعراً/ د. أجد الطرابلسي . - ط ١ . - الرباط : المجلس القومي
للثقافة العربية ، ١٩٩٣ . - (سلسلة : إبداع ٧) .
- الكتابات في المساجد العمانية القديمة / إعداد : إيروس بلديسيرا .
- ط ١ . - سلطنة عمان : دار جريدة عمان ، ١٩٩٤ .
- الكليات/ تأليف : الكفوي ؛ قابله : د. عدنان درويش ، محمد المصري .
- ط ١ . - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢ .
- مأساة كشمير المسلمة/ د. إحسان حقي . - ط ١ . - دمشق : إبراهيم
حقي ، ١٩٩٤ .
- الاجتماع المغربي في القرن التاسع عشر/ أحمد التوفيق . - الدار البيضاء :
دار النشر المغربية ، ١٩٧٨ . - ج ١ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ المشرف العام : د. عبد الله عبد المحسن
التركي ؛ تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين . - ط ١ . - بيروت :
مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ . - ج ١ - ٥ . - (سلسلة : الموسوعة
الحديثة ١) .
- المصطلحات وأساليب التعبير في الرياضة البدنية قديماً وحديثاً/
عبد الحميد سلامة . - تونس : المؤلف ، ١٩٩١ .
- المصطلح الصومقي/ د. عبد القادر مرعي خليل . - ط ١ . - عمان :
جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .
- معاني القرآن/ تأليف : الفراء ؛ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٠ . - ج ٣ .
- معجم إسباني عربي وعربي إسباني/ فرناندو بلديراما مرتينيث . - مدريد :
المعهد الإسباني العربي للثقافة ، ١٩٨٠ .
- المعجم الموحد/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . - تونس :

- المنظمة ، ١٩٨٩ - ١٩٩٣ . ج ١ - ٨ .
- المعجم الوافي في النحو العربي / د. علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزعبي . - عمان : دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٨٤ .
- من أعلام الحضارة الإسلامية / حمد بن ناصر الدخيل . - الرياض : المؤلف ، ١٩٩٣ .
- من سلة الأخبار العلمية / د. صلاح يحيى . - ط ١ . - بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٥ .
- من لا يحضره الطبيب / تأليف : الرازي ؛ تحقيق : د. محمود الحاج قاسم محمد . - بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩١ .
- منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر / طاهر الأخضر حمروني . - تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .
- نثر الدر / تأليف : الآبي ؛ تحقيق : د. عثمان بوغانمي . - تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٣ .
- ندوة النحو والصرف / المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . - دمشق : المجلس ، ١٩٩٤ .
- نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة / تأليف : د. أحمد الطرابلسي ؛ ترجمة : إدريس بلمليح . - ط ١ - الدار البيضاء : دار توبقال ، ١٩٩٣ .

ب - المجلات العربية المهداة

المصدر	سنة الإصدار	العدد	اسم المجلة
سورية	١٩٩٤	٧٧ - ٧٨	الآداب الأجنبية
سورية	١٩٩٤	٤١١ ، من ٤١٤ - ٤٢٥	الأسبوع الأدبي
سورية	١٩٩٤	٥٥ - ٥٦	التراث العربي
سورية	١٩٩٤	أيار ، حزيران ، تموز	الثقافة
سورية	١٩٩٣	٥١ - ٥٢	الحياة التشكيلية
سورية	١٩٩٤	٥	الحياة الموسيقية
سورية	١٩٩٤	من ٣١٧ - ٣١٩	صوت فلسطين
سورية	١٩٩٤	من ٢ - ٧	الضاد
سورية	١٩٩٤	٢٩ ، ٣٠	عالم الذرة
سورية	١٩٨٩	١٦ (إنسانية)	مجلة بحوث جامعة حلب
سورية	١٩٩٠	١٩ (إنسانية)	
سورية	١٩٩٣	٢٣ (إنسانية)	
سورية	١٩٩١	١٤ (اقتصادية)	
سورية	١٩٩٤	١٣٥ - ١٣٦	المجلة البطريركية
سورية	١٩٩٣	١٢	مجلة جامعة البعث
سورية	١٩٩٢	٢٩ - ٣٠ (مجلد ٨ / أساسية)	مجلة جامعة دمشق
	١٩٩٢	٢٩ - ٣٠ (مجلد ٨ / إنسانية)	
سورية	١٩٩٤	من ٣٦٩ - ٣٧١	المعرفة
سورية	١٩٩٤	٢٧٧ ، ٢٧٦	الموقف الأدبي
الأردن	١٩٩٤	٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣٤	الأبناء
الأردن	١٩٩٤	١	الجديد في عالم الكتب والمكتبات

المصدر	سنة الإصدار	العدد	اسم المجلة
الأردن	١٩٩٣	٥ (مجلد ٢٠/سلسلة ب)	دراسات
	١٩٩٤	٣، ٢، ١ (مجلد ٢١ / سلسلة ب)	
الأردن	١٩٩٣	٢ (مجلد ٢)	راية مؤتة
الأردن	١٩٩٣	٦، ٥ (مجلد ٨ / سلسلة أ)	مؤتة للبحوث والدراسات
	١٩٩٣	٦، ٥، ٤ (مجلد ٨ / سلسلة ب)	
الإمارات المتحدة	١٩٩٤	٨	مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية
تونس	١٩٩٢	١٥٩ - ١٦٠	الكراسات التونسية
الجزائر	١٩٨٥	٨٧	الثقافة
السعودية	١٤١٥هـ	٢	الدارة
السعودية	١٩٩٤	٣	عالم الكتب
السعودية	١٤١٣هـ	١ - ١٢ (مجلد ٤١)	القافلة
	١٤١٤هـ	١ - ١٢ (مجلد ٤٢)	
قطر	١٩٩٣	١٦	حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية
الكويت	١٩٩٣	٣٣، ٣٤	أخبار التراث الإسلامي
الكويت	١٩٩٤	٦٤، ٦٥	الثقافة العالمية
الكويت	١٩٩٣	نشرة دورية	حديث الدار
الكويت	١٩٩٤	١١، ١٢	علوم وتكنولوجيا
لبنان	١٩٩٣	-	الأبحاث
لبنان	١٩٩٤	١٧، ١٨	الدراسات الفلسطينية
لبنان	١٩٩٤	٦٢٩، ٦٣٠،	الشرع
		٦٣٢، من ٦٣٥ - ٦٤١	
لبنان	١٩٩٤	٧٧	الفكر العربي
مصر	١٩٩٢-١٩٩١	٥٥ - ٥٩	أخبار التراث العربي
المغرب (المنظمة العربية)	١٩٩٣	٣٧	اللسان العربي

المصدر	سنة الإصدار	العدد	اسم المجلة
المغرب	١٩٩٣	١٠٣ - ١٠٤	الوحدة
انكلتره	١٩٩٤	٩	عالم الطباعة
إيران	١٩٩٤	٥٤	الثقافة الإسلامية
باكستان	١٩٩٣	٢	الدراسات الإسلامية
تركيا	١٩٩٤	٣٣	النشرة الإخبارية لمنظمة المؤتمر الإسلامي
كوريا	١٩٩٤	٥٣ ، ٥٢ ، ٥٠ ، ٤٨	جمهورية كوريا الديمقراطية
الهند	١٩٩٤	٨	صوت الأمة

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والستين

(الصفحة)	(المقالات)
٦٧٧	الدكتور إحسان النص كتب الأنساب العربية (١٠)
٦٤٤	الدكتور عوض القوزي علم العربية في المراحل القرآنية
٦٧٢	الدكتور حاتم صالح الضامن شرح أبيات الداني الأربعة
٧٠٠	الدكتور موسى رابعة النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية
٧٣٣	الدكتور سامي حمارنة الطيب الرائد يحيى بن ماسويه
٧٧٧	الدكتور محمد حسان الطيبان علم الأصوات عند العرب

(التعريف والنقد)

٨٠٣	من كلام العرب قولهم « أما أنت منطلقاً انطلقت » الدكتور محمد الدالي
-----	---

(آراء وأنباء)

٨١٦	الأستاذ مأمون الصاغر جي مؤنة للبحوث والدراسات
٨٢٢	الكتب المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الثالث من عام ١٩٩٤
٨٣٢	فهرس العدد
٨٣٣	فهرس المجلد

الفهارس العامة للمجلد التاسع والستين

أ - فهرس أسماء كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

(أ)

٥٩٣	إبراهيم التريزي
٦٧٧، ٤٠٣، ٢١٩	د . إحسان النص
١٩	د . أحمد محمد قدور

(ح)

٦٧٢	د . حاتم صالح الضامن
-----	----------------------

(س)

٧٣٣	د . سامي حمارنة
-----	-----------------

(ش)

٥٨٣، ١٥٦	د . شاكر الفحام
----------	-----------------

(ص)

٤١٨	د . صالح الأشر
٥٧٧	د . صالحه سُنُقُر

(ع)

٣	د . عبد الكريم الأشر
٦٤٤	د . عوض القوزي

(٨)

٨١٦ ، ٣٨٤ ، ٣٥٧ ، ١٦١	مأمون الصاغرجي
٧٧٧	محمد حسان الطيان
٨٠٣	د . محمد الدالي
٥٩٨	د . محمد الهادي بن إسماعيل
٤٦٧ ، ٢٨٠ ، ٩١	د . محمود محمد الطناحي
٧٠٠	د . موسى رابعة

(٩)

٥٢٥ ، ٣٤١	وفاء تقي الدين
٢٣٦	د . وليد محمود خالص

(١٠)

١٧٣	د . يحيى مير علم
٥٤٣	يوسف الصيداوي

ب - فهرس المقالات

منسوقة على حروف المعجم

(أ)

- انتخاب الدكتور عدنان الخطيب أميناً للمجمع ١٧٢
انتخاب لجان المجمع الدائمة ٣٦٥

(ت)

- التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري ١٥٦
التقرير السنوي عن أعمال المجمع في دورته الجمعية ٣٦٩
١٩٩٢ - ١٩٩٣
توصيات مؤتمر مجمع القاهرة في دورته الستين ٦٠١

(ح)

- الحيوان في صورته الإنسانية ٤١٨

(د)

- ديوان المعاني (٣) ، (٤) ، (٥) ٤٦٧ ، ٢٨٠ ، ٩١

(ش)

- شرح أبيات الداني الأربعة ٦٧٢
شرح المقدمة الجزولية الكبير ٣٥٧
شعر ابن جبير ١٦١

(ط)

- الطبيب الرائد يحيى بن ماسويه ٧٢٣

(ع)

- العربية الفصحى ومشكلة اللحن ١٩
علم العربية في المراحل القرآنية ٦٤٤

(ك)

- ٦٧٧ ، ٤٠٣ ، ٢١٩ كُتِبَ الأَنسابُ العَرَبِيَّةُ (٨) ، (٩) ، (١٠)
٢٣٦ كَمالُ الدِّينِ مِيثَمُ بنِ عَلِيِّ بنِ مِيثَمِ البَحْرانِيِّ

(م)

- ٣٨٤ مَجَلَّةُ «العالم العربي في البحث العلمي»
٦٠٤ مَسأَلَةٌ في كَلِمَةِ الشَّهادَةِ
٥٢٥ ، ٣٤١ مَصطَلَحاتُ مَعجمِ الصَّيدَلَةِ والحَقاقيرِ (٣) ، (٤)
٨٠٣ مَن كَلَّمَ العَرَبَ قَوْلُهُم «أما أنتَ منطَلَقاً انطَلَقْتَ»
٣ المَنهَاجُ التَّأثِريُّ في النِّقَدِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ
٨١٦ مَوْتَةٌ لِلبَحوثِ والدراساتِ

(ن)

- ١٧٣ النَّدْوَةُ العِلْمِيَّةُ التَّالِثَةُ حَولَ المَعجمِ العَرَبِيِّ المَخْتَصِ
٥٧٠ نَدْوَةُ مَعجمِ النِّفْطِ
٧٠٠ النِّسِيبُ في مَقَدِمَةِ القَصِيدَةِ الجاهليَّةِ
٥٤٣ نَظَرَةٌ في القَصِيدَةِ الأوَّلَى مَن دِيوانِ النابِغَةِ الشَّيبانِيِّ

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٧

- فهارس مجلة المقتبس ، وضع رياض عبد الحميد مراد .
- إعراب الحديث النبوي ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العسكري ، تحقيق عبد الإله نهبان .
- شرح أبيات سيويه ، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي ، (ج ٢) ، تحقيق د. محمد علي سلطاني .
- معجم المصطلحات الحديثية ، للدكتور نور الدين المنز .
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عاصم — عائد) تحقيق د. شكري فيصل .
- محمد كرد علي مؤسس المجمع (الكلمات التي أقيمت في الاحتفال بمرور مئة عام على مولده) .
- نص مستدرک من كتاب العبر ، تحقيق رياض مراد .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٨

- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج ١ ، وضع محمد رياض مراد .
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن عمران — عبد الله بن قيس) ، طبعة مصورة عن مخطوطة .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٩

- تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور يوسف العشي ، مراجعة سماء المحاسني .
- تاريخ الخلفاء محمد بن يزيد ، تحقيق محمد مطيع الحافظ .
- عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ، ل محمد خليل المرادي ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد .
- محمد أسعد الحكيم ، للدكتور عدنان الخطيب .
- قاموس الأطباء وناموس الألبا ج ١ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٠

- فهرس مخطوطات الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة) ، وضع مصطفى سعيد الصباغ .
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج ٢ ، وضع محمد رياض المناع .
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج ١ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
- قاموس الأطباء وناموس الألبا ج ٢ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري ، (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .
- شعر أبي هلال العسكري ، جمع وتحقيق الدكتور جورج قناز .

- تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١ — ٢) ، تحقيق نعمة الله القوجاني .
- تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (طبعة ثانية) ، تحقيق محمد بهجة الأثري .
- المعاصرون للأستاذ محمد كرد علي ، تعليق محمد المصري .
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية لابن طولون ج ١ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .
- القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ، لعبد اللطيف الطيباوي .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

- فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج ٢ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
- شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول) ، تحقيق د. محمد يوسف . مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
- شعر منصور التمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش .
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج ٢ ، وضع صلاح الخيمي .
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر — عبد الله بن زيد) ، تحقيق د. شكري فيصل ، شهابي ، طرايشي .
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية لابن طولون ج ٢ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى — عبد الله بن ثوب) تحقيق د. فيصل ، نحاس ، مراد .
- كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط ٢) ، تحقيق عبد المعين الملوحي .
- التاريخ المنصوري ، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي ، تحقيق د. أبو العيد دودو ، مراجعة د. عدنان درويش .
- شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، مراجعة قدرى الحكيم .
- كتاب الأفضليات ، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي ، تحقيق د. وليد قصاب ، د. عبد العزيز المانع .
- فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج ١ ، وضع رياض مراد وياسين السواس .
- زجر الناجح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري ، جمع وتحقيق د. أجمد الطرابلسي (ط ٢) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

- مشيخة ابن طهمان
- سفر السعادة وسفير الإفادة ج ١
- شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط ٢)
- الثقافة الإسلامية في الهند (ط ٢)
- شرح الكافية البديعية لصفى الدين الحلبي
- رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا
- نظرات في ديوان بشار بن برد
- التوفيق للتلفيق للثعالبي
- فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج ٣
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج ٢
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ١
- تح د. محمد طاهر ملك
- تح محمد أحمد الدالي
- صنعة د. عبد الكريم الأشتر
- لعبد الحمي الحسني
- تح د. نسيب النشاوي
- تح د. طيان وميرعلم
- للدكتور شاكر الفحام
- تح إبراهيم صالح
- وضع محمد رياض المالح
- وضع مراد وسواس
- الدكتور حسني سبيع
- وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

- فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق ١
- سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج ٢ ، ٣
- نوح العندليب
- فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج ٢ ، ٣
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق ١
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة -- أحمد بن محمد)
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)
- وضع ياسين السواس
- تح محمد أحمد الدالي
- لشفيق جبيري
- وضع صلاح الخيمي
- تح نشاط غزاوي
- تح عبد الغني الدقر
- تح سكينه الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

- شعر عمرو بن معدى كرب
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ١
- معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج ٢
- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ١
- جمعه ونسقه مطاع الطرايبشي
- تح محمد كامل القصار
- تح حافظ وبدير
- تح عبد الإله نهان

مطبوعات التجمع في عام ١٩٨٦

- | | |
|----------------------|---|
| تح مطاع الطرابيشي | - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٤ |
| تح سكينه الشهابي | - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٩ |
| تح غازي طلبات | - الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، مج ٢ |
| تح مصطفى الحدري | - المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي |
| وضع ياسين السواس | - فهرس مخطوطات الظاهرية (التجميع) ق ٢ |
| تح سبيع الحاكمي | - المسوط في الفراءات المشر لأبي بكر الأصبهاني |
| تح إبراهيم عبد الله | - الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي مج ٣ |
| إعداد رياض مراد | - المستدرک علی فهرس (الشعر) |
| تح إبراهيم صالح | - تاريخ دنيسر للطيب أبي حفص عمر بن اللمش |
| للدكتور عدنان الخطيب | - الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً |
| للدكتور أحمد عمروة | - الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا |

مطبوعات التجمع في عام ١٩٨٧

- | | |
|--|--|
| تح غلاونجي والذمبي | - المحب والمحبوب للمري الرفاء مج ١ - ٤ |
| صنعه د. يحيى الجبوري | - شعر خلدش بن زهير العامري |
| تح سكينه الشهابي | - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٨ ، ٤٠ |
| تح عبد الإله نهان | - إعراب الحديث النبوي للعكري (ط ٢) |
| وضع غزوة بدر | - فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٦ |
| وضع الخيمي والحافظ | - الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية |
| تح أحمد مختار الشريف | - الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، مج ٤ |
| دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان وسير علم | - علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب |
| وضع محمد خير محمد | - فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٥ |

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٨

- تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البهقي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثالثة) .
- رسالة ابن فضلان ، تحقيق الدكتور سامي الدهان (ط ثانية) .
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية للأمير مصطفى الشهابي (ط ثانية) .
- البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي (ط ثانية) .
- الإبتاع لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي (ط ثانية مع استدراك للأستاذ أحمد راتب النفاخ) .
- عمر فروخ ، كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام ، للدكتور عدنان الخطيب .
- الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب .
- الدكتور صبحي المحمصاني ، حياته وآثاره (فصلة) للدكتور عدنان الخطيب .
- الأستاذ عبد الهادي هاشم فقيد المجمع (فصلة) ، للدكتور شاكراً الفحام .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٩

- ديوان أبي الفتح البُستي ، تحقيق درية الخطيب ، لظفي الصقال .
- الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأقوال الفاسدة لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي .
- تحقيق محمد صغير حسن المعصومي .
- فصول التماثيل في تباشير السرور لأبي العباس عبد الله بن المعتز .
- تحقيق وتقديم الدكتور جورج فنازع ، الدكتور فهد أبو خضرة .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- ... *فصلة* في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة)
- تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش ، صنعة عاصم بهجة البيطار

REVUE
DE L'ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P (327)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٤١
تح سكينه الشهابي
– تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، السيرة النبوية (القسم الثاني)
تح نشاط غزاوي
– عبد الله كنون : سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة
للدكتور عدنان الخطيب
(فصلة)
– كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية ، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تح وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٤٢
تح سكينه الشهابي
– أكران من التصحيح والتحرير في كتب التراث
تأليف الدكتور صالح الأشر
– بقية الحاطريات لابن جني (وهي ما لم ينشر في المطبوعة)
تح الدكتور محمد أحمد الدالي
... حفل تأبين فقيه المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ - ١٩٩٢ م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٤٣ تح سكينه الشهابي
– حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ - ١٩٩٢

مطبعة القصر

السعر : ٤٠ ل. س داخل القطر

